

الحياة القديمة

تناغم الذاكرة والحجر والإنسان

تأليف: الدكتور محمود حريتاني

د. محمود عباسی

أحياء حلب القديمة

- الطبعة الأولى ٢٠٠٥
 - جميع الحقوق محفوظة
 - الناشر: شعاع للنشر والعلوم
- حارة الرباط ٢ - المنطقة ١٢ - حي السبيل ٢

تلفاكس : ٣٦٤٣٥٤٥ (٢١) ٠٠٩٦٣

هاتف : ٣٦٤٣٥٤٦ (٢١) ٠٠٩٦٣

سورية - حلب

ص.ب ٧٨٧٥

لمزيد من المعلومات ولشراء كتب الدار مباشرة على الانترنت
يرجى زيارة موقعنا <http://www.raypub.com>

nabilray@scs-net.org

البريد الإلكتروني للقراء:

raymail@raypub.com

البريد الإلكتروني لدور النشر والموزعين:

شعاع للنشر والعلوم

بالحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

أحياء حلب القديمة

إعداد

الدكتور محمود حريثاني

تم الطباعة في دار الطباعة والنشر في حلب - سورية - ١٩٨٠

هذا الكتاب إلى كل حلي يحمل هويته، وينتمي إليها، ويرى فيها أين سجله المدني "القيد". ليكون على معرفة تامة بهويته التي يحملها ويعرف بها.

يقرا صاحب الهوية في هذا الكتاب، تاريخ هذا القيد، فيترسخ انتماءه إلى بلده ومدينته، ومكان ولادة أحد أصوله، وحتى الفروع.

الدكتور محمود حريثاني

نشرت هذه المقالات منذ عام ١٩٩٠، تباعاً، في جريدة الجماهير في حلب تحت عنوان "حلب متحف للتاريخ"

مقدمة

ليس من المستغرب أن يهتم المثقف، في أي بلد في العالم، بالتراث الإنساني؛ أيًا كان شكله، وأيًا كانت مواطنه. هذا المثقف يتمتع بإنسانيته، وكذلك يتمتع بكل عمل قام به الإنسان في أية بقعة من بقاع الأرض. إن التراث الإنساني، هو أولاً وآخرًا، ملك للإنسانية جمعاء، وعلى مر العصور.

مدينة حلب القديمة، تراث إنساني عالمي، معترف به، من كل المنظمات الدولية، ومن "منظمة التربية والثقافة والعلوم - الأونيسكو" في "هيئة الأمم المتحدة" منذ عام ١٩٨٦م.

إنني عشقت هذه المدينة القديمة، منذ رأيت النور فيها، وإلى اليوم. كنت مسؤولاً رسمياً عنها، فترة عقدين ونيف من السنين. قدمت عنها دراساتي لنيل درجة الدكتوراه. وإن معظم ما اطلعت عليه، ودرسته، وكتبته، وحاضرت عنه، في العديد من مدن العالم وجامعاتها؛ كان عنها. وقد أشرفت على دراسة أكثر من مائة وثلاثين باحثاً أجنبياً عنها؛ وحاضرت في جامعة حلب أمام طلاب الدراسات العليا أكثر من عقد ونيف من السنين عنها. وما زلت أعطني بها وتعني بي، وأنا شيخ متقدم في العمر.

واليوم أجمع معظم ما نشرته عن : أزقتها وحاراتها وبواباتها... في هذا الكتاب الذي أقدم له؛ وأنا سعيد بنشره؛ لمن يريد أن يقرأ عن هذا البلد العريق في تاريخه وتقاليده وعمرانه وتراثه، وفي كل حجر من حجارته.

قرأت عن كل حي، في المصادر التاريخية المتوفرة، ثم زرت هذا الحي، واطلعت على معظم زواياه. ثم زرته ثانية لأتصور ما سيؤول إليه حاله في المستقبل. وبعد هذا كله كتبت عنه. وحاولت في بدء كل موضوع، أن أورد قولاً لأجد الباحثين المهتمين بالتراث، أو أن أقدم له بكلمة عابرة. ثم أنهى البحث برأي خاص أبديه. وأكثر ما كان يسعدني، أنني عرفت أناساً، فيما بعد، صرحوا لي أنهم كانوا ينتظرون نشر مقالي، ومن أجلهم كتبت، وبعضهم لم يكن يعرفني.

إن من بين أسباب اهتمامي بهذه المواضيع، أنني أردت، من كل حلي أن ينظر إلى هويته الشخصية، ويعرف "قيده"، ليقوم بزيارة الحي الذي ولد فيه جدّه أبوه، جدّته أو والدته؛ قبل عقود طويلة من السنين، وإنه بزيارة إلى "خانته"، يتعرف على المدينة القديمة، ويساهم بالحفاظ على ماضيه وتاريخه وتراثه، الذي هو موضع إجلال واحترام كل مثقف.

كان إمامي في هذه البحوث؛ شيخنا المؤرخ كامل الغزي في كتابه "نهر الذهب في تاريخ حلب" وشيخنا الآخر، الشيخ راغب الطباخ في كتابه "إعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء" ومؤرخون آخرون.

كان هدفي أن أوثق لهذه الأحياء، خشية أن تزول يوماً مع "التحديث"؛ وقد زال بعضها... كما كان مرشدي، منذ البداية وإلى اليوم، صديق حلب، والعارف بها، الأستاذ، الدكتور، جان كلود دافيد؛ الذي لم يأل جهداً حتى تاريخه، من متابعة دراساته القيمة عن حلب قديمها وحديثها، مع باحثين حليبيين، يهتمون بتراث هذه المدينة؛ أقدم مدينة في التاريخ. كلمة أخيرة. أردت من كتابي هذا، أن يكون همسة، وقد تصبح صرخة، في آذان الحليبيين، ليعرفوا تاريخ بلدهم، وقيمة تراثهم الكبير، وهو لهم أولاً وأخيراً؛ والويل لمن يضيع هويته، في زمن العولمة...

كلمة شكر

يشكر المؤلف، الزميل والأستاذ الدكتور جان كلود دافيد، مدير البحوث، في المركز الوطني للبحث العلمي في جامعة ليون الثانية في فرنسا لموافقته على السماح بنشر بعض الصور، ومخطط اصطلياد الأبنية العالية للمساكن التقليدية في نسيج المدينة القديمة بحلب.

كما يقدم شكره للباحثة في علم الأتودولوجيا، والإختصاصية في التصوير الفوتوغرافي؛ السيدة كريستين دليال، على موافقتها لنشر بعض الصور من كتابها الموضوع بالاشتراك مع الاستاذ جان كلود دافيد، بعنوان "مرور نحو الشرق".

إلى حلب المحروسة

أحياء المدينة القديمة

يقرأ المواطن في حلب على صفحة هويته الشخصية محل قيده، فيرى مثلاً أنه سجل في محل السليمية أو ابن يعقوب وابن نصير أو تلة عائشة وتلة السودا وهكذا... دون أن يدري أنه حين يقرأ هذه الكلمات فإنه يقرأ تاريخ مدينة حلب، فالأسماء التي أعطيت إلى الأحياء، وخاصة الأحياء القديمة، هي أسماء تدل على تاريخ هذه الأحياء والمناسبات التي أقيمت من أجلها، ونخص بالذكر الأحياء التي تقوم ضمن أسوار المدينة القديمة ووراء أبوابها.

حتى إن الأوابد الأثرية من أسوار وأبواب وقساطل وسبلان وخانات، حتى برج ساعة باب الفرج، فإنها جميعها تحمل أسماء لها دلالة عميقة تشير إلى الباني والمؤسس والواقف والناظر وغيره.

وإن من يتعمق في دراسة كتب التاريخ والمخطوطات والمسكوكات والنقوش الحجرية فإنه يقرأ تاريخاً حافلاً بالذكريات والحوادث والمناسبات، وهذا لا ينطبق على المدينة فقط أياً كانت هذه المدينة، بل ينطبق على القرى والمزارع والأماكن، وبهذه المناسبة نود أن نورد ملاحظة سريعة فنقول إن من الخطأ الفادح تغيير الأسماء القديمة مهما كانت، فهي تحمل مفتاح تاريخها، ولهذا يجب أن نحتفظ بها.

حلب هي من أقدم مدن العالم، وإن لم تكن أقدمها فعلاً، فهي لا تزال تمسك خيوط تاريخها ومخططها المعماري القديم وتكوينها المعماري القديم وتكوينها الأول منذ القرن الرابع قبل الميلاد؛ حتى إن نصاً تاريخياً اكتشف في قلعة حلب يعود إلى ثلاثة آلاف وثمانمائة عام قبل اليوم، وقد اكتشف نص آخر على جدار أحد الأبنية القائمة حتى اليوم يعود إلى ثلاثة آلاف وأربعمائة عام.

هذا فضلاً عن حفريات جرت في موقع محلة الحمدانية، أظهرت مستوطنة تعاصر مدينة إبلا المعروفة وتعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد.

كانت المدن القديمة تشاد عادة على مرتفع أو أكثر، وبجانب نهر يزودها بالماء للشرب والزراعة. وأحد هذه المرتفعات يشكل النواة الأولى أو - الأوكروبول - والأمثلة على ذلك كثيرة في مدن العالم القديم. وفي حلب المدينة القديمة، لا يزال المرتفع النواة - الأوكروبول - موجوداً وقد بنيت عليه المدينة القديمة ثم القلعة العتيقة الماثلة أمامنا حتى اليوم، وفيها اكتشف كما ذكرنا أقدم نص تاريخي.

أما التلال الأخرى فهي أكثر من واحدة بعضها داخل الأسوار، وبعضها الآخر خارجه وعلى سبيل المثال فهناك - تلة السودا - : وهي إحدى محلات حلب القديمة خارج الأسوار، تقع إلى جانب باب قنسرين أحد أبواب حلب القديمة والقائم كالقلعة حتى اليوم، هذه المحلة هي مرتفع من الأرض، اصطناعي، وهو ركام أثري تميز بترابه الأسود ومن هنا جاءت التسمية - وقد ظهرت فيه عن طريق الصدفة بعض الأواني حين أقيم بناء مدرسة عليه في الستينات دون دراسة مسبقة، فكان أن تشققت جدران البناء، وقد أزيل مؤخراً. وأقيمت فوق المرتفع حديقة عامة. ومن المعروف أن أرض هذه التلة كانت وقفاً خالصاً للجامع الأموي بحلب.

أما - تلة عائشة - وهي محلة مرتفعة داخل أسوار المدينة القديمة، فتقع بالقرب من محلة - السفاحية - سميت نسبة إلى عائشة بنت صالح بن علي العباسي زوجة موسى الهادي وقد بنى عليها والي حلب محمد باشا دوقه كين؛ خان العلوية، وجامعه المعروف بجامع العادلية لجواره دار العدل عام ٩٥٧ هـ - ١٥٥٠م، وقد ذكرت المصادر التاريخية وجود كنيسة مندثرة في المكان.

وهناك - تلة الست - وهي إحدى محلات حلب القديمة، تقع في مركز المدينة. ولا نعرف سبب التسمية إلا أن المصادر التاريخية المتوفرة لدينا قد أتت على ذكرها منذ بداية العصور الأولى لمدينة حلب، بنيت عليها حمام عرفت بـ - حمام الست - وهي حمام النحاسين حالياً القائمة أمام خان النحاسين، بجانب سوق الحمص.

أما محلة - ابن نصير - وهي إحدى محلات حلب القديمة، خارج الأسوار فقد ضاع اسمها لدى أهالي حلب، ولم يعد يذكر سوى في الكتب والسجلات الرسمية وعلى القبر الطويل الموجود في جامع الحلي. فالمحلة تعرف حالياً باسم - جب القبة - بسبب وجود سبيل للماء كان عليه قبة جميلة الصنعة حتى وقت قريب. وقد عرفت هذه المحلة، ولا تزال بسوقها؛ المحلية التي يرتادها سكان القرى الشمالية والشرقية لبيع منتوجاتهم، وخاصة الحيوانية. ولهذا انتشرت فيها الخانات، حيث كانت تجمع الغلال وتباع كما كان فيها مدار لطحن البرغل والنشا وغيره.

وبالقرب منها محلة - ابن يعقوب - وهي محلة قديمة خارج الأسوار تقع قرب بانقوسا، تدعى المحلة باسم - حارة الزغار - أو الصغار بسبب أحداث جرت فيها، وفيها جوامع ومساجد وقساطل وحمامات بني بعضها عام ٧٩٢ هـ - ١٣٨٩م. وكان من جملة ساكنيها الشيخ محمد الزرقا فقيه حلب وأمين الإفتاء في استانبول عاصمة الإمبراطورية العثمانية آنذاك.

أما محلة - أرض الحلبة - فهي من أقدم محلات حلب القديمة خارج الأسوار، وتقع بجانب جبل الجوشن - الأنصاري حالياً - بنى فيها سيف الدولة الحمداني قصره سنة ٣٣٦ هـ - ٩٤٧م.

ومنه كان يشاهد سباق الخيل. وقد بقيت هذه العادة حتى مطلع القرن العشرين، ثم انتقلت إلى موقع مستشفى الرازي الحالي إلى أن انقرضت.

سميت المحلة أيضاً بأرض العقيقة، حيث تنبت شقائق النعمان في الربيع، ويصبح لون التربة بلون العقيق. وكانت مصيف أهالي حلب، وفيها يودعون حجاجهم الذاهبين إلى الأراضي المقدسة. وفيها أيضاً يستقبلون والي حلب الجديد. بنيت فيها محلة حديثة - نسيباً - دعيت بـ - السليمية - نسبة إلى ابن السلطان عبد الحميد الثاني الذي انتهى حكمه عام ١٩٠٨م وقد توسعت هذه المحلة في عهد الوالي جميل باشا، فدعيت بـ الجميلية في عام ١٣٠٤ هـ - ١٨٨٦م وقد بنيت فيها مدرسة السلطاني - حالياً ثانوية المأمون - ثم دار المعلمات ١٣١١ هـ - ١٨٩٣م - حالياً ثانوية معاوية - ثم عدة قصور منها مبنى جمعية العاديات الحالي، ومحطة الشام - التي هدمت مؤخراً وبني بجانب مكانها مبنى السكك الحديدية - . سكن محلة الجميلية المهاجرون إلى حلب، ثم جميع الطوائف ولا تزال بعض هذه الأبنية قائمة إضافة إلى مستشفى القديس لويس - المعروف بمسشفى فريشو - نسبة إلى أحد الأطباء الذين عملوا فيه، واكتسب شهرة - والذي بني عام ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧م.

محلة باب أنطاكية

قد يستغرب صاحب المخزن في محلة باب أنطاكية كثرة الزوار العرب والأجانب يقفون أمام الباب الأثري، يتأملون حجارته، ويقرؤون الكتابات المنقوشة على جدرانه، وقد يستعينون بكتاب معهم يقرؤونه، أو يستمعون إلى شرح دليل معهم. وإذا كان صاحب المخزن هذا ممن تقدم به العمر، يشير إليهم إلى بعض زوايا الباب المزخرفة، ليفهمهم أنهم يرون أثراً، أو إلى كتلة حديدية على شكل الكرة عليها بعض الزخارف، وقد علقت بها حربة، فيقول لهم هذه - كلة معروف - ثم يسكت.

الواقع أن هؤلاء الزوار قد جاؤوا من أطراف المعمورة، يقودهم كتابهم أو دليلهم المختص فيشرح لهم أهمية هذا الباب الأثري والمحلة التي يقوم بها. ولا عجب في ذلك، فهما معلم من معالم حلب السياحية الهامة.

إن محلة باب أنطاكية هي من محلات حلب القديمة، داخل السور وخارجه يجمع بينهما الباب الأثري، وجسر كان قائماً على نهر قويق.

تضم المحلة خارج السور تربة ومسجداً وحمامين أحدهما خصص للدباغين الذين انتقلوا من مكائهم القديم قرب موقع السبع بحرات الدباغة العتيقة، وقد بني الحمامان في عام ٩٨٢ هـ - ١٥٧٤ م.

هدمت محلة باب أنطاكية خارج الأسوار مؤخراً، وبقيت المئذنة فقط، وقد أحيطت بمزآب حديث للسيارات السائحة الصغيرة.

أما المحلة داخل السور فقد بنيت فيها المدرسة الشعبية سنة ٥٤٥ هـ - ١١٥٠ م وتدعى أيضاً جامع الأتراس - حيث أراح العرب الفاتحون، حين دخلوا حلب من باب أنطاكية، أتراسهم هناك -.

وقد حول السكان الأبراج المحصنة المحيطة بالباب إلى خانات ومساكن، حيث كانت المحلة وما زالت المدخل الأساسي لمدينة حلب القديمة وحيث ينشط التبادل التجاري مع سكان المدينة والقرى الغربية والجنوبية المجاورة لمدينة حلب.

محلة باب قنسرين

ومن محلات حلب القديمة المشاهدة هناك محلة باب قنسرين داخل الأسوار وقد سميت باسم الباب المذكور وستحدث عنه وعن أبواب حلب حديثاً واسعاً.

تعد هذه المحلة من أكبر وأعمر محلات حلب لا يزال فيها عدد كبير من الأوابد الأثرية من منازل جميلة وجوامع ومساجد منها : جامع الإسكافي، وقد بني عام ٥٤٢ هـ - ١١٤٧ م والطرسوسي عام ٥٤٩ هـ - ١١٥٤ م وغيرها.

كما يوجد فيها البيمارستان الأرغوني - وستحدث أيضاً عنه فيما بعد حديثاً خاصاً - وقد بني عام ٧٥١ هـ - ١٣٥٠ م ونحان القاضي ٧٨٣ هـ - ١٣٨١ م فضلاً عن العديد من الحمامات والمصابن لصنع الصابون الحلبي المعروف، وكذلك - حبس الشرع - أي السجن. إن أجمل وأوسع دور هذه المحلة : قنّاق الجزار الذي بني عام ١٢٧٥ هـ - ١٨٥٨ م. وقد أنشئ فيها في فترة ما مكتب للصنائع في عام ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م لتعليم المهن اليدوية، لكنه توقف حين أنشئت مدرسة للصنائع في محلة تحت القلعة. لازالت هذه المحلة قائمة كما كانت سوى أن بعض دورها الجميلة قد قسمت إلى عدة دور.

لقد استقبل بعض ساكني هذه الدور مؤخراً خبراء في هندسة العمارة من سويسرا برئاسة خير من اليونسكو قاموا بدراسة مستفيضة لمخطط هذه الدور التي اشتهرت في العالم.

محلة أرض الخناقية

لا تزال أحياء حلب تحتفظ بأسماء تاريخية، وغالباً ما تكون هذه الأسماء هي البداية لمعرفة تاريخ المدينة بكاملها، إذ إن اسم الحي لا يطلق اعتباراً فهو يدل على حادثة معينة أو اسم شخص معين أو منطقة معينة وهكذا...

إن بعض هذه الأسماء ما زالت باقية وبعضها زال مع زوال الحي أو مع ظهور حي جديد مكان القديم وكثير من الأحياء أو حتى القرى والمدن قد زالت بسبب الكوارث من زلازل وحرائق وفيضانات أو حروب. فتظهر لهذه المواقع أسماء جديدة، تكون أحياناً مشتقة من الاسم القديم أو تختلف اختلافاً كلياً أو تحرفه قليلاً ومع هذا تبقى آثار تدل على الاسم القديم من كتابات أو نصوص أو حتى ذكريات مكتوبة أو متناقلة أو متوارثة شفهيّاً.

أن - أرض الخناقية - مثلاً هي من محلات حلب القديمة تقع خارج الأسوار، وإلى الغرب منها. سميت بذلك لوقوعها في خناق منخفض بين مرتفعين من الأرض على شكل هضبتين. لم تذكر المصادر التاريخية كثيراً عنها سوى أن الوافدين الأرمن قد سكنوها منذ نهاية القرن العشرين. وقد شق فيها طريق حديث ونشأ على جانبي الطريق شارع حديث دعي - بشارع فيصل - كما نشأ فيها مبنى كبير لجمعية الأيتام الإسلامية ومدرسة تابعة لها. وقد نسي الناس اسم - الخناقية - ولم يعد يذكر سوى اسم الشارع الحديث.

محلة الأعجام

أما محلة - الأعجام - فهي من محلات حلب القديمة داخل الأسوار، وتقع داخل - باب النيرب -. كانت ولا تزال عامرة، وبني فيها جامع الأطروش عام ٨٠٦ هـ - ١٤٠٣ م وفيها سوق القصيلة، وعدة خانات ومقهيان وأفران. واعتبرت امتداداً لمحلة جب القبة من حيث الأهمية الاقتصادية، شقت فيها أول - جادة - عريضة ودعيت بـ الجادة العظمى - بعد ردم الخندق المجاور للمحلة.

محلة أغيور " أقيول سابقا "

أما محلة - أغيور - فقد كانت من محلات حلب القديمة وأصبحت اليوم تعد من المحلات الحديثة بعد أن تغيرت معالمها، ولم يعد يذكر القدم منها إلا الشيوخ نسبياً. فقد بنيت خارج أسوار المدينة القديمة، وحرف الاسم من اسم تركي هو - أق يول - ويعني - الدرب الأبيض - ربما بياض التربة في المحلة، أو من كلمة - آغا يولي - وتعني - طريق الآغا - سكنها المسلمون والطوائف المتعددة وكان فيها تجار الفحم المجلوب من جبل الأكراد شمالي حلب. فيها تكية بابا بيرم التي بنيت عام ٧٦٤ هـ - ١٣٦٢ م ومشهد الصوفية الذي بني عام ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م إضافة إلى أربعة مقاهي ومدارين وثلاثة أفران وخمسة خانات زالت كلها بعد أن شق فيها في الخمسينات شارع عريض، فتغيرت معالم المحلة ولم يبق إلا جامع البختي مع أبنية حديثة مجاورة له.

لعبت المحلة دوراً في تاريخ المدينة وخاصة في أحداث حلب عام ١٨١٩ م و ١٨٥٠ م - في بوابة أغيور وزقاق الطويل.

محلات : الأكراد والطون بغا والألمجي

من المحلات القديمة بحلب والتي لم تتغير كثيراً واحتفظت باسمها (محلة الأكراد)، وهي تقع في شمال شرقي المدينة القديمة.

أي في الضاحية الشمالية. ذكرها المؤرخ الحلبي المعروف ابن شداد المتوفى سنة ١٢٨٥م والمؤرخ ابن الشحنة المتوفى سنة ١٤٨٥م. وأهم أبنيتها مسجد خير الله الذي بني في العهد المملوكي، وكان مقراً للطريقة القادرية وتقام فيه الأذكار الشاذلية.

أما محلة (أطون بغا) فقد عرفت سابقاً باسم (المزوق) وباسم (الميدان الأسود)، وبني فيها جامع الطونبوغا عام ١٣١٨، ولا يزال باقياً، وقد توسعت المحلة حوله حتى الآن. كما بني فيها حمام يلبغا الناصري عام ١٤٨٧ م، أو جدد بحسب بعض الروايات التاريخية. وقد جدد ثانية مؤخراً لتستثمره وزارة السياحة.

كما أن محلة (الألمه جي) قديمة وقد عاش فيها مختلف سكان حلب، ولعبت دوراً كبيراً في الصراع ضد بعض ولاة حلب من العثمانيين المتسلطين. وفيها جامع الميداني الذي بني عام ١٥٢٧م. كما بنيت فيها عدة قيساريات لحياكة النسيج، وفيها أربعة قساطل لتوزيع مياه حيلان وعدة حمامات. وبدأت بلدية حلب مؤخراً بفتح ساحات فيها بدلاً من شوارع عريضة، وهكذا تتبدل ملامح المدينة القديمة.

لمحة تاريخية عن محلة الأنصاري : تالعة

أما محلة (الأنصاري) فهي من محلات حلب الحديثة بجانب قرية (الياروقية) التي ذكرها ياقوت ونسبها إلى ياروق التركماني من أمراء نور الدين المتوفى عام ١١٦٨م. وكان صلاح الدين قد ضرب خيامه فوقها حين حاصر حلب. وفيها ضريح عبد الله الأنصاري، ومن هنا جاءت التسمية الحديثة والذي جدد سنة ١٢٢٥م، وجرى توسيعه في عام ١٤٢٦م. وعرف كذلك بـ (مشهد سعد الأنصاري). وقد توسعت هذه المحلة منذ النصف الثاني من القرن العشرين. وارتبطت بمركز المدينة بطريق إسفلتي، وتعد اليوم من الأحياء ذات الكثافة السكانية الكبيرة.

محلة أوغل بك

أما محلة (أوغل بك) فهي من محلات حلب القديمة، وعرفت بارتفاعها وطيب هوائها وقد دُعيت باسم (باب الأحمر) لأنها تجاور باباً من أبواب حلب بهذا الاسم، دمر منذ فترة طويلة. ونسبت المحلة إلى عثمان بن أحمد أوغلبك الذي بنى جامعها عام ١٤٨٠م ويوجد في المحلة الزاوية الصيادية التي بدئ ببنائها عام ١٨٧٨م، وانتهى عام ١٩٠٩م. وهي اليوم مركز الإفتاء بحلب.

محلات : بادنجك وبالي برغل وبانقوسا

تعاقبت العصور على مدينة حلب وتناثرت عليها الأحداث فترك ذلك كله آثاره على المدينة من مباني وأسماء وغير ذلك.

إن دراسة تطور أسماء المواقع، والطراز العمراني للأبنية هي دراسة للمراحل التاريخية التي مرت على المدينة، وكذلك دراسة لتطورها الاقتصادي.

مثال ذلك: انتشار مهنة النسيج اليدوي في حلب وبناء القيسريات وكان في كل قيسرية عشرات الأنوال النسيجية اليدوية، فلا يخلو حي من أحياء حلب من وجود أكثر من قيسارية.

ففي محلة بادنجك وهي خارج الأسوار والتي قد يكون اسمها التركي قد حرف عن كلمة ميدان جوك أي الميدان الصغير، ويعود جامعها الذي ينسب إلى ابن العديم مؤرخ حلب إلى أواسط القرن الحادي عشر الهجري أي أواسط القرن السابع عشر الميلادي، كانت هذه المحلة تمتلئ بالقيساريات، وتنتشر فيها مهنة النسيج اليدوي، وقد نقلت إليها المياه عبر قناة حيلان من قسطل علي بك. لم يعد للقيساريات وجود، فقد انقرضت تقريباً مهنة النسيج اليدوي، فضلاً عن فتح الشوارع الحديثة قربها.

ومن محلات حلب القديمة محلة بالي برغل، وهي خارج أسوار المدينة القديمة في الضاحية الشمالية وهي ما تعرف بـ الجديدة. وقد كان عدد من القيساريات ينتشر فيها، وكان فيها عشرات المئات من النساجين. واليوم لم يعد يوجد فيها إلا العشرات فقط. بل إن سكانها الأصليين قد نزحوا عنها للسكن في الأحياء الحديثة. وبقيت المحلة قائمة كما كانت حين أنشئت في القرن الخامس عشر الميلادي.

أما حي بانقوسا - فقد كان من أهم أحياء حلب القديمة خارج الأسوار. ويقع بالقرب من باب الحديد. وهو قديم ذكره الشاعر البحري ثم من بعده الصنوبري وغيرهما.

عرف هذا الحي بارتفاعه عن باقي أجزاء المدينة وبكثافة أشجاره في القرون الأولى من عصورنا الحاضرة، وكان يلعب دور الحصن المتقدم لصدد الأعداء عن حلب.

ولم يكن باستطاعة أي مهاجم للمدينة أن يأخذها إن لم يستول على بانقوسا حتى السلطان صلاح الدين الأيوبي ومن جاء بعده إلى العهد العثماني، حيث ثار سكان الحي مراراً ضد الولاة العثمانيين.

حين ازدهرت حلب اقتصادياً، كانت القوافل المغادرة، وتعد آلاف الجمال، تنظم في الحي المذكور. كما أن التبادل الاقتصادي بين المدينة والمناطق الشمالية والشرقية يتم في هذا الحي؛ ولهذا بني فيه عدد كبير من الخانات لاستيعاب الحاصلات الاقتصادية، بالإضافة إلى حمامات ومساجد وجوامع أقدمها جامع الحدادين، ويعود إلى القرن الثامن الهجري - العاشر الميلادي. فضلاً عن سوق عامرة لتأمين احتياجات رواده من سكان المدينة والوافدين عليها من الريف بشكل خاص وكذلك عدد من المقاهي.

أصاب الحي تبديل جذري، فهدم معظم السوق وقسم من الحي في أواخر الخمسينات، وفتح فيه شارع عريض، فأضاع جزءاً كبيراً من أهميته الاقتصادية القديمة. وعمرانه التقليدي العريق وإذا ما قامت الأبنية العالية على طرفي الشارع الحديث، فسيكون ذلك سبباً لزوال الدور الجميلة الباقية في الحي، إذ تصبح هذه الدور تحت رحمة الأبنية العالية، فتؤدي إلى هجرها وبالتالي تدهورها، إذ تمنع الهواء والشمس عنها، وتقضي على خصوصية سكانها. وهذا ما يجري لدى تداخل النسيج العمراني الحديث مع النسيج العمراني التقليدي - وبذلك تضيع معالم البناء القديم، ويصبح فريسة سهلة لزحف الأبنية البرجية الحديثة التي تصطاد الدور التقليدية الجميلة فتقضي عليها، وتفقد أصالتها. ولنا عودة إلى التفصيل في ذلك.

إن ما تحدثنا عنه في حي بانقوسا قد تم في حي بحسيتا في منطقة باب الفرج، وسيكون هذا الحي موضوع بحثنا القادم.

زقاق الزهراوي

ما زلنا نسير على دروب مدينة حلب القديمة العريقة في القدم والتي لا تزال تمسك خيوط تاريخها الطويل بدءاً من الألف الثالث قبل الميلاد أي خلال خمسة آلاف سنة من عمر الزمن.

إن أي باحث في تطور مدينة حلب القديمة لا يستطيع أن يحدد فترة زمنية قديمة معينة في أي جزء من أجزاء المدينة، كما يجري ذلك في موقع تاريخي وأثري مثل إيبلا وغيرها. ذلك أن مدينة حلب ككل المدن القديمة القائمة اليوم، كائن حي، ينمو ويتطور باستمرار ويحتفظ في كل مرحلة من مراحل نموه بشاهد يشهد على تطوره قد يكون بناءً أو جزءاً من بناء، وقد يكون الاسم فقط والاسم لا يحفظ تاريخ الموقع فحسب، بل وتطوره عبر التاريخ.

موضوعنا اليوم يتناول هذه الناحية الأخيرة، إذ سنتحدث عن محلة من محلات حلب لا تزال تحتفظ باسمها التاريخي القديم، وبيعض الأوابد القليلة.

إن زقاق الزهراوي الموجود شمالي أسواق المدينة القديمة ويشكل امتداداً لها، هو اليوم زقاق حديث، بل هو شارع حديث فيه كل ما هو جديد من مباني ومحلات وواجهات، حتى إن جامعہ القديم قد أصبح جديداً تماماً، ويقوم في الطابق الأول ولا يدل مظهره الخارجي على وجوده إنما يتخلل أبنية هذا الزقاق بعض الدور القديمة جداً والتي لم تعد تستعمل للسكن، بل هي ورشات ومستودعات.

عرف زقاق الزهراوي قديماً باسم - درب البازيار - نسبة إلى أحمد بن نصر بن حسين البازيار المتوفى سنة ٣٥٢ هـ - ٩٦٣ م، وكان من حاشية أمير حلب الكبير سيف الدولة الحمداني ونديمه. ذكر مؤرخ حلب الشيخ راغب الطباخ في كتابه إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء - أن سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز قد أقاما في هذا الدرب. - اهتم به معمار حلب الكبير الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي، فأوصل إليه مياه قناة حيلان، في بداية القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي. وذكر المؤرخ ابن شداد المتوفى ٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م فيه مسجداً معلقاً.

يعود المؤرخ طباطبا لذكر أن هذا الدرب كان مليئاً بالمدارس والخانقاوات وهي كما يلي:
المدرسة البدرية التي أنشأها بدر الدين عتيق عماد الدين شادي بن الملك صلاح الدين الأيوبي
وذكرها المؤرخ ابن شداد أيضاً.

المدرسة الرواحية أنشأها أبو القسم هبة الله بن عبد الواحد ابن رواحة المتوفى سنة ٦٢٢ هـ -
١٢٢٥م وخانقاه الشمسية أنشأها شمس الدين أحمد أبو بكر المتوفى سنة ٦٣١ هـ - ١٢٣٣م،
وخانقاه الخادم التي خصصت للنساء مع دار ملحقة بها لا نعرف إلى من نسبت وخانقاه أخرى
لم يذكر المؤرخون من بناها.

يؤكد المؤرخ الطباطبا أن هذه المدارس والخانقات قد دثرت منذ زمن طويل إلا أنه رأى أبوابها
ذات الأحجار الثلاثة السوداء لكل منها. ومن المعروف أن ساكن طرقي الباب الخارجي لأي
بناء هام، كانت من الحجارة البازلتية السوداء، ولا يعرف القائمون على هذه الأبنية أهمية
الحجارة السوداء فيقومون بطلائها بالدهان الأبيض تغطية لسواد الحجارة وزخرفتها أيضاً، كما
جرى في مدخل مسجد ميرو بنهاية سوق المحمص وفي الطريق إلى البيمارستان الأرغوني. متى
نتعلم ذلك!!!!

بقي هذا الدرب عامراً، فذكر فيه خلال العهد العثماني مسجد من آثار بني زهير، ولم تذكر
المصادر من هم بنو زهير هؤلاء وقد يكونون قد أعطوا اسمهم للدرب فدعي بدرب أو زقاق
الزهرابي كان مسجدهم مخصصاً لتعليم الأطفال في بعض أقسامه.

كما ذكر فيه سبيل وقسطل يقعان في بدء الزقاق من الجهة الجنوبية وقد حدثنا الرجال القدماء
أن الزقاق كان مسدوداً إلا أنه فتح في جهته الشمالية فمنه يمكن النفوذ إلى محلة السويقة يمينا
وإلى محلة بحسيتا يساراً وكان يشار إليه على أنه يقع إلى الشمال من المدرسة الشرفية التي لعبت
دوراً في تاريخ حلب العلمي، ولا تزال ببعض أقسامها قائمة إلى اليوم وتعرف حالياً باسم مكتبة
الأوقاف.

إن الزائر لزقاق الزهرابي - وهذا اسمه دائماً وسيبقى - لا بد له أن يعرف أنه يسير في درب ابن
البازيار، حيث سكن خليفتان أمويان وأن عمره يعود إلى ألف سنة ونيف مضت، وأن
الورشات الكثيرة العاملة فيه والتي تصدر ما تنتجه من ألبسة جاهزة بالدرجة الأولى محلياً وعربياً
ودولياً لن تغير من اسمه التاريخي العريق.

حي بحسيتا - محلة البختي - أغيور (أقيول)

ما أكثر ما تتبدل حياة الشعوب، فتصيبها تطورات هامة إلى الهجرة والانتقال والغربة والاغتراب وفي كل هذه الأحوال تبقى منازلها شاهدة عليها... تتحدث عنها - وما أحلى حديث المنازل - ومهما أصابها التدمير، فالجذور منها تبقى خالدة أبد الدهر...

إن حي بحسيتا، وقد أصابه ما أصابه من تطورات، فإن بعض أوابده قائمة. لقد اختلف الرواة والدارسون حول تسميته، فقد تكون - سيتا - باحت بالسر، أو ظهر صيتها وذاع، فإن هذا الحي كان من بين أقدم أحياء حلب داخل الأسوار وعلى مقربة من باب الفرج أحد أبواب المدينة المندثرة غير أن اسمه وأحد أبراجه لا يزالان قائمين، والبرج اليوم فندق صغير اسمه فندق زهرة الشهباء... لقد ذكر ياقوت الحموي - وهو المتوفى سنة ٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ م - هذا الحي كما أن مسجد - سيتا - لا يزال قائماً وله منارة جميلة عليها كتابة يستدل منها أنها بنيت عام ٧٥١ هـ - ١٣٥٠ م..... وقد سكنه عام ٨٩٨ هـ - ١٤٩٢ م عدد كبير من اليهود الذين هاجروا من أسبانيا. ولهم فيه معبد قديم يضم مدرسة للتعليم... كما يضم هذا الحي المدرسة القرموطية التي بنيت عام ٨٨٣ هـ - ١٤٧٧ م وبيت رجب باشا والذي لا تزال واجهته شامخة حتى اليوم وقد بناه والي حلب عام ١١٣٢ هـ - ١٧١٩ م. ثم الجامع العمري، وأخيراً قسطل السلطان الذي هدم في عام ١٣١٦ هـ - ١٨٩٩ م وبني على أنقاضه برج ساعة باب الفرج... أما بقية آثار هذا الحي فقد هدمت ليحل محلها مشروع باب الفرج والذي كان القصد منه إنشاء مركز تجاري حديث ضخم يضم الأبنية البرجية العالية، ولكن بعد ظهور البرجين الأثرين في الزاوية الغربية الشمالية أحدهما برج الثعابين - وجزء من السور المزدوج والفصيل بينهما حال ذلك دون تنفيذ المشروع السابق واستعاض عنه بمشروع آخر تنفذه حالياً مؤسسة الإسكان العسكرية وفيه أبنية غير عالية أكثرها للخدمات : كمركز ثقافي وسوق محلية ومسرح وغير ذلك فضلاً عن إعادة ترميم الأبنية التي هدمت والتي لا يزال بعض أجزائها قائماً وبشكل ينسجم مع الجهة الثانية لشارع شكري القوتلي أو جادة الخندق. وهكذا ورغم نزوح سكان الحي إلى أحياء أخرى في المدينة فقد بقي الحي وأوابده الأثرية. وفرضت هذه الأوابد تغييراً جذرياً للمشروع، وسيعود للحي بعض أبنيته القديمة...

أما محلة البختي وكانت تدعى - الرمادة - وهي من محلات حلب القديمة خارج الأسوار - فهي تقع في أقصى الشمال إلى الشرق قليلاً من حي أقيول. لعبت دوراً كبيراً كما سنرى بعد قليل، فكانت تقوم بجانب مقبرة جبل العظام. وفي الحي جامع صغير أنشأه عيسى بن موسى الكردي في عهد السلطان الناصر يوسف الثاني عام ٦٤٥ هـ - ١٢٤٧م وجدده السلطان عبد الحميد الثاني... وكان في المحلة مغارة كبيرة وساحة واسعة أمامها وقد كان يُجمع فيها المهجرون الأرمن عام ١٩١٥ وما بعدها، ولهم فيها ذكريات لا تنسى...

لقد توسعت محلة أقيول أو أغيور في الخمسينات بعد فتح شارع عريض فيها وزاد البناء فيها بحيث وصل إلى محلة البختي وبذلك بدأت تضيع معالمها تقريباً... ولم يعد هناك إلا القليل من السكان من يذكر الفسحة الواسعة بين نهاية حي أغيور ومحلة البختي. هذه الفسحة كانت مجال التزهة لأهل محلة أغيور لقضاء أمسيات الصيف وبعض أيام الربيع... والتاريخ يذكر الدور الذي لعبته هذه الفسحة التي عرفت قبل مائة وسبعين عاماً باسم بوابة أغيور أو برية أغيور أو اختصاراً البرية، حيث كانت الحرب سجلاً بين أهالي حلب وبين خورشيد باشا الوالي العثماني عام ١٨١٩م، وكان مقره في تكية - الشيخ أبو بكر - المجاورة. وفي هذا المكان بالذات كانت تجري مناوشات بل معارك حقيقية بين أهالي الحي وبين الجند الفرنسي أيام الانتداب والذين كانوا يحاولون دخول الحي عن هذا الطريق...

حي برية المسلخ

للمدينة العربية والإسلامية بشكل خاص، خصائص تتميز بها من حيث تكوينها واتساعها، والحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها.

إن كل تجمع سكاني فيها يقوم على أسس معينة بدءاً من المركز وانتهاء بالضواحي. هذه الأسس تقوم على عوامل اجتماعية ودينية وإتنوغرافية وغيرها.

إن كل حيّ عمراني يتعد عن مركز المدينة وعن مركز الحي أيضاً هو برية. وكلمة البرية جاءت من البر وجمعه براري. وهي في عرف تنظيم المدن : الفسحة من الأرض بعيدة عن المدينة وأحياناً عن تقاليدھا وعاداتھا... حتى إن كل شيء فيها لا يمت إلى المدينة العربية الإسلامية أيضاً هو : برية. وكثيراً ما كنا نسمع قبل عقدين أو ثلاثة من السنين، أن الناس يذهبون إلى البرية ويقصدون بذلك دور اللهو غير الأصيل والمعروف في قلب المدينة والحي. وهذه هي دور الرسوم المتحركة أي السينما ودور الرقص وغير ذلك. وهذه كانت خارج أسوار المدينة وبعيداً عنها نسبياً، انتشرت في أوائل الربع الثاني من القرن العشرين في منطقة باب الفرج وعلى وجه التحديد في منطقة بستان كل أب وهي منطقة ظهرت في ذلك الوقت بعد دخول السيارة. وسنبحث هذا في حينه.

إن حي برية المسلخ ليس من هذا القبيل إنما كان حياً بعيداً عن مركز المدينة وخارج أسوارها وكانت فيه ساحة واسعة تجمع فيها المواشي لذبحها وسلخها لاستهلاك المدينة من اللحوم ومن هنا جاءت التسمية برية المسلخ.

إضافة إلى ذلك ففي ساحتها الواسعة والبعيدة، كان العثمانيون يجمعون الجنود لإرسالهم إلى جبهات القتال، وخاصة خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨.

وقد تطور هذا الحي كغيره فبعد التوسع العمراني لمدينة حلب أصبح هذا الحي من ضمن أحياء المدينة وقد أنشئ أول حوض للماء فيه عام ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م وأول مطحنة آلية عام ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م.

وخلال الانتداب الفرنسي ١٩٢٠ - ١٩٤٦ م أنشئ في الساحة حديقة عامة لا تزال قائمة بعد أن حُسن تنظيمها مؤخراً وبني بجانبها مستوصف لا يزال قائماً ومدرسة موجودة أيضاً سنتحدث عنها فيما بعد وقد بني مؤخراً بجانبها مدرسة حديثة.

إذن ما زال اسم البرية موجوداً ولم يعد للبرية من وجود واسم المسلخ أيضاً والمسلخ بعيد جداً. ولكن الاسم ما زال يعني لنا الشيء الكثير.

أما حي البساتنة فقد لا يذكره الكثيرون. ولكننا سنتحدث عنه ونعرفهم به...

حي البساتنة وحارة البستان

فرض البساتنة - الذين يعملون في البساتين - اسمهم على حيهم الذي يقطنون فيه، كما فرض مثل ذلك الحدادون والنحاسون وغيرهم اسمهم ومهنتهم على أحيائهم وأسواقهم، فعرفت هذه بهم. وقد يكون - البساتنة - اليوم قلة، لكنهم كانوا كثرة في الماضي القريب، وكانوا يعملون في بساتين كثيرة جداً تنتشر على ضفتي نهر قويق، وقناة حيلان، وتطوق المدينة القديمة تقريباً، وكانوا يستقبلون أهالي حلب، الذين يمضون أحياناً أشهر الصيف بين ظهرانيتهم فضلاً عن أنهم يقدمون لأهالي المدينة ما يحتاجونه اكتفاء ذاتياً.

ومحلة - البساتنة - هي من محلات حلب القديمة، خارج الأسوار ضمن حي الجديدة أي الضاحية الشمالية. فيها مسجد وحمام كانت ملكاً للسلطان عبد الحميد الثاني من بين أملاكه الكثيرة، ثم آلت بعد سقوطه إلى الأملاك الأميرية، ثم أخيراً إلى أملاك الدولة. وفيها مدار وعدة قيساريات لمهنة النسيج اليدوي سكنها عدد كبير من مهاجري الأرمن في الربع الأول من القرن العشرين، وأبناء الطوائف الأخرى. تقلصت فيها حرفة النسيج وغادرها أكثر سكانها القدماء، ولكنها ما زالت قائمة تحكي تاريخها.

أما حارة - البستان - فهي من محلات حلب القديمة أيضاً، داخل الأسوار، بالقرب من باب النيرب أحد أبواب حلب المندثرة. سكنها في البدء بعض رؤساء الحامية الإنكشارية - الأغوات - وبعض التجار الغرباء، وعمرها فيها دوراً جميلة، فيها أكثر من مسجد وقسطل وسبيل. توهنت دورها بعد أن هجرها أصحابها. وأصبح أحد قساطلها بيتاً وعمرها مجدداً سكانها الجدد الذين عملوا في تربية الأغنام مشاركة مع سكان القرى. رغم هذا فإن التغيير أصابها بعد أن فتح فيها شارع واسع ومدت فيه خطوط الحافلات الكهربائية، وأصبح بجوارها قصر العدل الحالي.

بستان كل آب، محلة البلاط

وما دمنا في الحديث عن الأحياء التي حملت اسم البستان - وكانت فعلاً بساتين - فإن أهمها هو حي - بستان كل آب - وهو من أحياء حلب الغربية، خارج الأسوار، تشكل على أراضي وقفية من أوقاف والي حلب بويي أكري محمد باشا ومن أوقاف المدرسة الحلوية. تشكل في أوائل القرن العشرين بعد وصول السيارات إلى حلب. وخاصة التي كانت تأتي من دمشق. ولهذا يظهر تخطيطه العمراني الحديث بعيداً عن تخطيط المدينة القديمة، يستوعب السيارات والوافدين إلى المدينة. فقد بنيت فيه الفنادق والمطاعم ودور الملاهي والمكاتب والمخازن الحديثة ومرائب السيارات. يصيبه التغيير في أواخر القرن الحالي فترتفع فيه الأبنية وتعرض الشوارع، إلا أن الصفة الأولى التي كانت يتصف بها منذ نشأته، لا تزال هي الغالبة، كما أن التسمية - بستاناً - ما زالت موجودة. أما " كل آب " فهي ماء الورد كل أي ورد. وأب أي ماء - وقد تكون التسمية جاءت من - جلاب - وهو العسل أو السكر عقد بوزنه أو أكثر من ماء الورد، كما يفيد بحث الألفاظ الفارسية المعربة.

أما محلة البلاط، فهي في الواقع محلتان قديمتان إحداهما التحتاني والأخرى الفوقاني، وتقعان خارج الأسوار، بالقرب من - باب الملك - أحد أبواب المدينة المندثرة منذ القدم. فيها جامع البلاط وجامع سليمان. عمل أهلها في مهنة النسيج اليدوي حتى عهد قريب. لا تزال المحلتان قائمتين. وقد أصابهما بعض التغيير في الجهة الجنوبية.

حي البندرة، حي البياضة

إن دراسة أسماء المواقع الأثرية والأحياء والأوابد التاريخية تلقي الضوء تاريخياً على كثير من النواحي التي توضح بداية وتطور هذه المواقع.

وإن اسم حي البندرة كما يذكر الباحثة خير الدين الأسدي مشتق من كلمة بندر الفارسية بمعنى السوق. وألحقوا التاء في الكلمة لتعني الحارة. ومن المعروف أن سكان هذا الحي من مسلمين وغيرهم حتى الأجانب قد اشتهروا بالتجارة المحلية والخارجية.

وهذا الحي من أحياء حلب القديمة والكبيرة داخل الأسوار ويمتد من باب النصر شرقاً حتى باب الفرج غرباً ويحاذي خندق المدينة بين البابين المذكورين، عرف هذا الحي بدوره الجميلة التي سكنها التجار، ولليهود معبدهم كما للمسلمين عدة مساجد (الجامع العمري)، وفيها حمام القاضي الذي جدد عام ٩١٤ هـ - ١٥٠٨ م، ودار جنبلاط. وستكلم بالتفصيل عن كل مبنى على حدة.

هدم القسم الأكبر من الحي ما عدا المباني الأثرية لتنفيذ مشروع باب الفرج والذي كان مقرراً أن تنشأ فيه أبنية برجية عالية غير أن ظهور أبراج سور المدينة وقسم من السور فرض تغيير المشروع، بحيث سترمم الأبنية الأثرية القديمة وتبنى سوق محلية، وأبنية غير عالية لها صفة الخدمات العامة.

أما حي البياضة وأصل الكلمة يلفظ بتخفيف الياء وليس تشديدها فهي من محلات حلب الواسعة كان يمر بجانبها السور القديم قبل أن تتوسع حلب ويبنى سور آخر لها والذي كان يحيط بالمدينة. وهكذا أصبحت داخل الأسوار وتقع شمالي شرقي القلعة. جاء سبب تسميتها هذه بسبب شارعها قبل أن ييلط فكانت أرضيته من الحوار الكلسي الأبيض أو أن المحلة تشتمل على خان مختص ببيع البيض حسبما ذكر المؤرخ الغزي في كتابه - نهر الذهب في تاريخ حلب - . أهم جوامعها جامع الصروي يعود بناؤه إلى عام ٧٨٠ هـ - ١٣٧٨ م، وقد شيده الحاج ناصر الدين بن محمد بدر الدين بتلنك الصروي، وفي سنة ٩٢٠ هـ - ١٥١٤ م أنشأ تتمته علي بن سعيد الملطي، وجعلها مدرسة ملحقة به.

وفيها جامع الحموي أنشأه الحاج محمد بن داود النوري المغربي سنة ٩٦٨ هـ - ١٥٦٠ م، ودفن فيه. وفي سنة ١١٨٣ هـ - ١٧٦٩ م جده ووسعه الحاج حسن بن عبد الرحمن الحموي، وعمر له منارة. فعُرف به.

في المحلة مساجد وحمام بني عام ٨٥٤ هـ - ١٤٥٠ م لا يزال قائماً يعمل فضلاً عن مصبغة وقيساريات دثرت.

وفيها زوايا دينية كانت لها شهرتها منها: الزاوية البهادرية التي بنيت عام ٨٤١ هـ - ١٤٢٧ م والتكية الإخلاصية - الرفاعية - وهي ما زالت قائمة، وقد بنيت حوالي ١٠٤٤ هـ - ١٦٣٤ م ونسبت إلى الشيخ إخلاصي الخلوتي نزيل حلب والمتوفى سنة ١٠٧٤ هـ - ١٦٦٣ م. وقد أمر بإعمارها الوزير الأعظم محمد باشا الأرئود حين حضر إلى حلب لإصلاح بعض أحوالها، فعمرت، وأمر بشراء أملاك وقفها عليها.

ومن أوابد محلة البيضاء : المدرسة الكتاوية التي بنيت عام ٧٨٧ هـ - ١٣٨٥ م. وقد زارها واهتم بها السلطان العثماني سليم الأول حين دخل حلب عام ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م بعد انتصاره على آخر المماليك السلطان قانصوه الغوري في معركة مرج دابق.

لا تزال المحلة قائمة، وتحتفظ بأكثر أوابدها التاريخية كما كانت.

محلات : تاتارلر وتراب الغرباء والتومايات

كثير من الأحداث التاريخية تترك ذكرها وبصماتها في أحياء حلب وأوابدها التاريخية وهذه الذكرى تظهر في الكتابات التي نراها على جدران الأبنية التاريخية أو في التسمية. ومن المعروف أن حلب تعرضت إلى أكثر من غزو جاءها من أقاصي الشرق على يد المغول أو التتر.

وإن محلة - تاتارلر - وهي من محلات حلب القديمة خارج الأسوار بالقرب من باب الحديد تحمل هذه التسمية التركية وتعني: حي التتر - أو التتريون. وذكر المؤرخ الغزي في كتابه: نهر الذهب في تاريخ حلب أن سكانها من التتر قد جلوا عنها بعد فتنة تيمورلنك عام ١٤٠١ ميلادية، كما كان يسكنها عدد من رعايا الطوائف الدينية، وقد نزحوا عنها إلى محلة الجديدة.

لقد انقضت غزوة التتر بقيادة تيمورلنك ونزح سكانها التتر وبقيّة السكان، ولكن اسم الحي باق حتى اليوم لمحلة واسعة تقع بين قارلق وقاضي عسكر.

أما محلة تراب الغرباء فهي من محلات حلب القديمة خارج الأسوار قرب باب النصر تذكرها المصادر التاريخية باسم - ترب الغرباء - لأنها كانت مخصصة كمدافن لدفن الموتى الغرباء ثم أصبحت حياً سكنياً، وكان أكثر سكانها من الطوائف المتعددة نزحوا عنها إلى محلة الجديدة في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي. أهم مبانيها قسطل بني عام ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م وسبع مصابغ لصباغة الأقمشة وستة مدر - مفردها مدار - لطحن الحبوب والبرغل والعسل هدمت جميعها مع القسطل في الثلاثينات من القرن العشرين لفتح شارع حديث في المحلة.

كما بنيت فيها تكية المخملجي، ثم أهملت وبني فيها مسجد نور الدين وفرن بجانبه خصاص وقفاً عليه جدداً في عام ١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م، ولا يزالان قائمين.

أدخلت إلى المحلة بعض الأبنية الحديثة، ولكن المحلة بمجملها لا تزال قائمة. وبقي اسمها رغم أن الغرباء لم يعودوا يدفنون فيها.

إن أسماء الأحياء في حلب بسجلها الحافل تحفظ ذكرى الأشخاص أيضاً كما يجري اليوم حيث تسمى الأماكن بأسماء أشخاص لعبوا دوراً في تاريخ البلد.

وإن محلة - التومايات - هي من محلات حلب القديمة في الضاحية الشمالية خارج الأسوار فيما يعرف اليوم باسم الجديدة. وقد حملت اسم أحد سكانها المعروفين واسمه توما هداية وكان معه آخرون عرفوا بنفس الاسم فأطلق على المحلة اسم تومايات. سكنتها رعايا جميع الطوائف ولهم فيها عدة كنائس : منها كنيسة طائفة الأرمن الكاثوليك بنيت عام ١٢٤٧ هـ - ١٨٣١ م وكنيسة المواردنة وقد بنيت عام ١٢٩٠ هـ - ١٨٧٣ م وكان فيها عدة مدارس تدرس العلوم الحديثة.

ما زالت المحلة وبيوتها التقليدية الجميلة وأوابدها التاريخية قائمة، ولكنها تتعرض إلى تحولات هامة أهمها هجرة سكانها الأساسيين إلى الأحياء الحديثة في حلب. كما أن بعض الدور الكبيرة تتحول إلى مدارس أو مياتم أو ملاجئ للعجزة.

محلّتا: جب أسد الله، وجب قرمان (حي البكره جي)

رغم أن تسمية الأحياء القديمة لم تعد تصلح لإعطاء فكرة عن الحي، حيث إن هذا الحي قد تغير، ولم تعد التسمية القديمة تنطبق عليه، إلا أن التمسك بالتسمية القديمة، أمر واجب للحفاظ على تاريخ الحي وخصائصه ومعالمه القديمة.

إن محلة أسد الله، ضمن الأسوار من محلات حلب القديمة العامرة نسبت إلى وجود جب نخيري فيها أنشأه المدعو سعد الله من رؤساء الإنكشارية في العهد العثماني وكان يسمى جب الزلة أيضاً. كان يسكنها مختلف الطوائف، مع الأجانب الذين كانوا يقيمون في حلب لأغراض التجارة الدولية والتي كانت حلب أهم مراكزها. منذ القرن الخامس عشر الميلادي كان فيها عدد من المساجد والزوايا والمدارس والزيارات، هدم قسم كبير منها في عام ١٣٧٧ هـ - ١٩١٨ م لتوسيع الطريق الواصل بين باب الفرج وبين أسواق المدينة القديمة، وآخر هذه الجوامع كان جامع بيش قبة ذو القباب الخمسة، ويعود إلى القرن العاشر، فقد هدم لتحل محله بناية حديثة، يحتل فيها الجامع الطابق الأول.

لقد بقي من أوابد هذه المحلة بقايا كاتدرائية حلب العظمى التي بنيت في القرن الخامس الميلادي، وتقوم هذه البقايا ضمن المدرسة الحلوية أمام المدخل الغربي للجامع الأموي الكبير.

كما أن الخانات المتعددة التي بنيت فيها منذ العصرين المملوكي والعثماني ما زالت قائمة أقدمها خان القصايبية أو خان أبرك المملوكي وخان ميسر - كان يسمى خان البنك - وفلكلروز والجاكي والحرير والحبال، وبني هذا في عام ١٥٩٥ ميلادية.

ما زالت هذه المحلة عامرة، وقد يتذكر القليل منا هذا الاسم وهو موجود في سجلاتنا الرسمية وعلى بطاقات الهوية الشخصية. والسبب في ضياع التسمية القديمة هو ظهور أسماء الأسواق التي في هذه المحلة مثل سوق العواميد، وكذلك ضياع وزوال الأوابد الأثرية؛ إذ إن الجامع بيش قبة الذي هدمت قبابه الخمس أصبح جامعاً، بل مسجداً حديثاً لا يعرف من القباب حتى الاسم.

ومن المحلات القديمة التي حملت اسم جب - والجباب العامة كانت تدل على فعل الخير في بلد يأتي بمياهه منذ أقدم العصور من خارجه ومن مسافات بعيدة - محلة جب قرمان وهي تقوم خارج أسوار حلب القديمة نسبت إلى تاجر وفد عليها من الأناضول يدعى الحاج محمد قره مان

أو إلى مزار شيخ يسمى القرمانى. كما وفد إليها الفقيه الرهاوي - من مدينة - الرها - أحمد الرهاوي البكره جي، وعمّر جامعاً باسمه في نفس المحلة فدعيت أيضاً بمحلة البكره جي في عام ٩٤٠ هـ - ١٥٣٣ م.

بين عام ١٣٤٠ و ١٣٤٣ هـ - ١٩٢١ و ١٩٢٤ م ردم الخندق المجاور لها. كما هدم فيها بعض السبلان ومداران للبرغل والعدس وتقوم مؤخراً دراسات اجتماعية وأثرية وتاريخية في كل زاوية منها ولتوثيق أبنيتها بالمخططات والصور والدراسات؛ فقد بقيت هذه المحلة حتى اليوم تحافظ على نسيجها العمراني ودورها الجميلة الرحبة وحتى أكثر العائلات التي سكنتها ولا يزال أحفادهم إلى اليوم فيها يرفضون مغادرتها إلى الأحياء الحديثة كما فعل غيرهم لتمسكهم بتاريخهم وتقاليدهم، بل يحاولون بإصرار الحفاظ على حيهم من الحداثة وبناء الأبنية العالية بجوارهم خاصة في الشارع المجاور بناء أبنية حديثة تفسد على أهالي المحلة التاريخية خصوصيتهم وحريتهم، بل ونظافة بيوتهم...

محلة الجابرية، وجادة البرقة وجادة الخندق

التاريخ من أهم العلوم الإنسانية. فالماضي يعيش في حياتنا الحاضرة، ويؤثر فيها، ويغنيها بما يحمل إليها من أخباره ونحن نعيش التاريخ في حياتنا اليومية: في عاداتنا وأعمالنا وفي تفكيرنا أيضاً.

البيت والحى والمدينة والعمارة بشكل عام هي التاريخ نفسه هي الماضي والحاضر وحتى المستقبل.

نحن نقرأ في أسماء أوابدنا الأثرية وبيوتنا وأحيائنا وقرانا ومدننا بعض سطور هذا التاريخ.

إن حديثنا عن أحياء حلب قديمها وحديثها هو حديث التاريخ العريق لهذه المدينة العتيقة.

إن محلة الجابرية هي من محلات حلب العامرة خارج الأسوار ظهرت منذ عام ١٣٢٥ هـ - ١٩١٦ م امتداداً لمحلة الحميدية التي تنسب إلى السلطان عبد الحميد العثماني الذي حكم بين عامي ١٨٧٦ و ١٩٠٨ م.

نسبت محلة الجابرية إلى أحد أفراد عائلة الجابري والذي كان يتصرف في الأراضي التي نشأت فوقها هذه المحلة. وهكذا فإن هذه المحلة تعتبر حديثة نسبياً، ولا توجد فيها أوابد أثرية كما في المحلات الأقدم منها ضمن الأسوار. إلا أنها من المحلات العامرة المكتظة وقد سكنتها مختلف الطوائف، وتوسع فيها سكان حلب والمهاجرون من الريف.

أما جادة البرقة فهي من محلات حلب القديمة داخل الأسوار تقع على يمنة الداخل إلى المدينة القديمة من باب أنطاكية متجهاً إلى حي الجلولم الكبرى عرفت قديماً باسم درب - ويقصد بالتسمية المحلة والحارة - البزارة. وسبب التسمية يعود إلى زيارة المصابين بتشنج في ظهورهم - البرقة - لحجرة مكتوبة التماساً للشفاء. ما زالت المحلة قائمة والحجر الذي يجلس عليه المصاب والحجر الذي ينظر إليه والتسمية موجودة.

ومن الشوارع القديمة في حلب : الجادة الكبرى أو العظمى فقد كانت من الشوارع الرئيسية الحديثة في حلب في بداية هذا القرن وقد كانت ولا تزال تدعى أيضاً جادة الخندق. وسبب التسمية يعود إلى أن هذا الشارع أقيم على الخندق نفسه الذي يحيط بأسوار المدينة القديمة وأبوابها بدءاً من باب الأحمر ومروراً بجانب باب الحديد وباب النصر وباب الفرج. واستمر فيما بعد حتى محلة الجميلية بعد أن أقيم جسر على نهر قويق بالقرب من مبنى البريد الحالي.

فقد جمعت أنقاض الأبنية المتهدمة وخاصة بعد زلزال ١٨٢٢م، وردم بها الخندق منذ عام ١٨٩١ م - ١٣٠٩ هـ واستمر حتى ١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م.

ثم فرش الشارع بالحجر الأسود وسارت عليه العربيات التي تجرها الخيول. وسمي لذلك بـ :
درب العربية إلى أن جاءت السيارة في العشرينات من هذا القرن ثم الحافلات الكهربائية
- التراموي -. وانتهى الأمر بفرش الشارع بالأسفلت. وبعد الاستقلال سمي الشارع بشارع
شكري القوتلي.

لا يزال هذا الشارع حتى اليوم جادة عظمتى أو جادة كبرى وشریاناً رئيسياً للحركة في مدينة
حلب وما يجدر ذكره أنه افتتح رسمياً في عام ١٣١١ م ١٨٩٣ ميلادية، واحتفل دائماً بانتهاء
كل مرحلة من مراحله حتى عام ١٩١٢ م.

محلتا : جبل الغزالات والجبيلة (الكتاوية)

بنيت أكثر المدن القديمة - منذ الألف الرابع قبل الميلاد وحتى عهود متأخرة، على مرتفعات من الأرض ليسهل الدفاع عنها، أو لوقايتها من خطر فيضان النهر إن بنيت على ضفاف أحد الأنهار. وقد استمر مثل ذلك حتى في العصور الحديثة، حيث تبنى القرى على سفوح التلال والجبال، حفظاً للأراضي السهلية لاستثمارها في الزراعة.

وهكذا بنيت روما وأثينا وأنطاكية وغيرها وحلب أيضاً. هناك أكثر من نظرية حول حلب الأولى، بعض الباحثين يجعلها بنيت فوق مرتفع حلب الأول ونعني به - الأوكروبول - حيث تربع قلعة حلب اليوم. وبعضهم يجعلها في مرتفع العقبة المرتفعة المجاورة لنهر حلب - قويق - وبالقرب من أحد أبواب حلب القديمة - باب أنطاكية - والتي لم يتم أي تنقيب فيها لبناء المحلة الحديثة فوقها، وهناك أكثر من دليل على قدم هذه المحلة.

وبعضهم يجعلها في تلة السودا قرب باب قنسرين وهي كما هو واضح تلة اصطناعية، تألفت من تراكم الأبنية القديمة، ولهذا تنهار الأبنية التي تقوم فوقها من وقت إلى آخر، لأنها ليست بالأرض الطبيعية الصلبة العذراء.

وما يجدر ذكره في هذه المناسبة أن كثيراً من المدن والقرى تقوم حالياً فوق تلال أثرية، تعاقبت فيها المدن التي اندثرت على مر الزمن.

من هذه الهضاب في حلب - جبل الغزالات - في الأصل تخفيف الزاي، وهي من محلات حلب القديمة خارج الأسوار، وبالقرب من محلة الشيخ أبو بكر، محلة واسعة، أرضها وقف للجامع وتكية الشيخ أبو بكر الوفاي. بدأ البناء فيها في وقت متأخر نسبياً، في عام ١٢٧٩ هـ - ١٨٦٢ م. وفي عام ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م بنى أحد أفراد عائلة الجابري الحلبية العريقة، ويدعى أسعد باشا الجابري قصراً فيها، ثم هجره، ويقال إن الخطة كانت مهيأة لجعله محطة لسكة حديد بغداد. وحين جاءت جماعات الأرمن من تركيا، سكنه المهاجرون الأرمن في عام ١٣٤٠ هـ - ١٩٢١ م وأعطوه اسم - خان الزيتون - نسبة إلى بلدهم الذي جاؤوا منه في الأناضول. ولا يزال القصر قائماً، وتسكنه بعض العائلات الأرمنية أيضاً.

توسعت المحلة كثيراً، وأصبحت كثيفة السكان. واتصلت بالأحياء المجاورة حتى امتدت إلى محلة عين التل. وما زالت بعض مقاسمها العقارية باسم الجمعيات الخيرية العالمية التي اشترتها لإسكان الأرمن المهاجرين إلى حلب.

من المحلات المرتفعة أيضاً محلة الجبيل أو الجبلية، فهي من محلات حلب القديمة، داخل الأسوار بين بابي النصر والحديد والاسم تصغير لكلمة جبل، لأن المحلة تقوم على مرتفع من الأرض من الطبقة الحوارية الكلسية ولما كانت تقع على كتف خندق المدينة فقد جعل قسم منها مقبرة تدعى بنفس الاسم، وفيها قبور قديمة. وحين ردم الخندق وأصبح طريقاً، وكان من أولى الطرق العريضة في حلب في أواخر القرن الماضي، دعي القسم المجاور لمحلة الجبلية بدرب الحوار.

تدعى المحلة باسم الكتاوية أيضاً لوجود مدرسة بهذا الاسم فيها بنيت عام ٧٨٧ هـ - ١٣٨٥ م. وفيها سوق النجارين (قبو النجارين) وهو قبو المسلاتية، وسنبحثه مفصلاً فيما بعد. في المحلة قساطل ومزارات والمدرسة الأتابكية ٦٢٠ هـ - ١٢٢٧ م ومدرسة بني العجمي ٥٩٥ هـ - ١١٩٨ م. لا تزال المحلة قائمة عامرة لم يطرأ على نسيجها العمراني سوى تغير طفيف.

حي الجديدة

ترددت في دراساتي السابقة كلمتا: داخل الأسوار وخارج الأسوار - سنتحدث عن أسوار حلب وأبوابها في دراسات مقبلة.

إن ما يجب معرفته، أن مدينة حلب داخل الأسوار والتي تعود أقدم أوابدها الأثرية المكتشفة حتى الآن إلى عام ١٨٠٠ قبل الميلاد وتمتد حتى عام ١٨٠٠ بعد ميلاد السيد المسيح أي على مرحلة تاريخية مقدارها ثلاثة آلاف وستمئة سنة أو يزيد. لهذه المدينة العريقة ضواحي متعددة بنيت خارج الأسوار وحوّلها في الجهات الأربع. بعضها قديم جداً مثل ضاحية بنقوسا. وبعضها حديث نسبياً مثل الضاحية الشمالية، لأنها تقع شمالي المدينة القديمة.

أحد أحياء هذه الضاحية الشمالية خارج الأسوار هو حي الجديدة، وهو جديد كما يظهر من اسمه، وهذا الحي في الواقع عدة محلات منها الصليبية والشمالي وغيرها، عمرت هذه الضاحية وبدأ توسعها وازدهارها في الفترة المملوكية أي منذ النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي بعد الغزو المغولي الثاني لحلب بزعامة تيمورلنك في عام ٨٠٣ هـ - ١٤٠٠ م. وقد توسعت في القرون التالية، وسكنها المسلمون والمسيحيون جنباً إلى جنب وقامت معابدهم الدينية متجاورة، ودورهم السكنية إلى جانب بعضهما البعض.

توسعت في فترة الحكم العثماني منذ أوائل القرن السادس عشر، وازدادت محلاتها، وقد ذكر أن السلطان سليم قد أسكن فيها أربعين عائلة عرفت بامتهان التجارة من مسلمين ومسيحيين، ودعي الزقاق الذي سكنوه بزقاق الأربعين.

في الجديدة عدد كبير من الجوامع والمساجد والكثير من الكنائس والمقاهي والساحات، لا تزال قائمة عامرة فضلاً عن أنها تحافظ على تخطيطها العمراني من القرون الوسطى.

وسنتحدث عن أوابدها ومحلاتها بالتفصيل في أحاديث مقبلة.

ومن محلات حلب خارج الأسوار محلة جسر الحج، وهي في ظاهر محلة الكلاسة القديمة، كانت في الأصل أراضي فارغة خارج نطاق عمران المدينة، وفقاً على مباني تاريخية في داخل المدينة. بدأ البناء في هذه المحلة في بداية القرن العشرين، وتوسعت بسرعة حتى أصبحت حياً كبيراً، معظم ساكنيه من العاملين في قطاع البناء، يقطنون بجانب ورشاتهم التي يعملون فيها.

حي جسر الحج

توسعت مدينة حلب القديمة، فانتشرت بعض الأحياء خارج أسوارها وبالقرب من أبوابها في القرن السادس الميلادي وما بعده حتى بداية القرن الثالث عشر الميلادي حيث نشأت ضواحي سكنية كبيرة شرقي وشمالي وغربي المدينة القديمة حول خندقها المحيط بها أو بالقرب من نهر قويق.

ولقد كانت الجسور المتعددة هي وسيلة الانتقال بين المدينة وضواحيها عبر الخندق أو عبر النهر.

ولقد كان لهذه الجسور أسماء تميزها. وإذا استعرضنا هذه الأسماء اليوم نرى أنها بالرغم من أن هذه الجسور لم تعد موجودة الآن أصبحت تطلق على الأحياء التي كانت تؤدي إليها وعلى سبيل المثال هناك كثير من الأحياء والأزقة تحمل اسم - الجسر - جسر الحج، جسر الصيرفي وغيره... وإن أحياء أخرى تحمل اسم الجسر قد زالت، ولم تعد موجودة. ومنها حي جسر السلاحف أو حي الوراق.

نشأ هذا الحي بين باب الجنان وباب إنطاكية غربي حي العقبة على ضفة نهر قويق، وهذا ما كان يعرضه حيناً بعد آخر إلى فيضان هذا النهر حين كان عامراً قبل أن يحول مجراه في تركة بالقرب من ينايعة.

ذكر المؤرخ ابن الشحنة المتوفى عام ٨٩٠ هـ - ١٤٨٥ م كثرة السلاحف في النهر، ولهذا عرف هذا الحي بهذا الاسم كما عرف بـ الوراق لوجود المعامل التي تصنع الورق كما يذكر الغزي. وقد تكون التسمية جاءت من سكنى الذين يورقون الجدران بالكلس كما يوضح الأب توتل.

لقد كان هذا الحي يضم دوراً وحوانيت ومسجدين؛ أحدهما بناه والي حلب العثماني محمد باشا المعروف حسب وقفه بإبراهيم خان باني خان الجمر، وثانيهما مسجد أولاد أبي بكر.

لقد كان لطغيان نهر قويق وتوسيع مدينة حلب غرباً وقرب هذا الحي من مركز حلب الحديث، أي باب الفرج وبستان كل آب؛ لقد كان لهذه العوامل الثلاثة مجتمعة أثر في زحف العمران الحديث على حساب هذا الحي. فبدأت أعمال الهدم فيه منذ الثمانينات، وأدت إلى زواله. وأبقى فقط على المئذنة المربعة شاهداً على قدم هذا الموقع خارج الأسوار.

حتى إن النهر وسلاحفه اللذين أعطيا هذا الحي اسمه قد زالا. فغطى النهر، وانقرضت السلاحف وبقي الاسم في ذمة التاريخ، وأصبح يطلق على موقع الحي كلمة: انطلاق السيارات، وغير ذلك من التسميات...

محلة جسر الصيرفي

كانت مدينة حلب القديمة محاطة بحزام أخضر قوامه الكروم من الجهات الشرقية والشمالية والجنوبية الشرقية. والبساتين من الجهات الشمالية والغربية والجنوبية. ففي الكروم تنتشر أشجار الفستق الحلبي المعروف عالمياً وأشجار الزيتون والتين فضلاً عن الصنوبر الحلبي بأنواعه المتعددة. وهذا ما كان يميز حلب عن غيرها من المدن بيئياً وجمالاً ومناخاً مما لا مجال لذكره الآن.

أما البساتين فقد كانت تنتشر على ضفتي نهر قويق وضفتي قناة حيلان. وكانت تواكب النهر والقناة منذ دخولها منطقة حلب حتى خروجها منها وكانت مصيفاً لأهالي المدينة فضلاً عن إمدادهم بما يحتاجونه من منتجاتها من الخضار والفواكه.

عرفت أغلب هذه البساتين بأسماء أصحابها أو المواقع التي تقوم فيها كذلك الجسور التي تقام على النهر فيها.

واليوم زال أكثر هذه البساتين وبقي اسمها. كما زالت هذه الجسور. فهي إما بنيت بناء حديثاً أو لم يعد لها وجود بعد أن غطي سرير النهر منذ فترة قصيرة - ولا يزال يغطي - تفادياً لتلوث البيئة المجاورة. وقد حلت محل البساتين والجسور أحياء عامرة.

مثل هذه الحالة تنطبق على منطقة - جسر الصيرفي - . كان جسر الصيرفي أحد الجسور القليلة التي أقيمت على نهر قويق منذ القدم ربطت بين طرفي النهر الذي يعتبر منطقة حلب خارج الأسوار، من هذه الجسور جسر السلاحف وجسر الناعورة وجسر الجادة الكبرى وجسر المعزة وجسر الصيرفي وجسر القرّي وهكذا...

لقد كان هذا الجسر ضيقاً لا يتجاوز عرضه المتر ونصف المتر. وله حاجزان من الخشب يقع في بستان الصيرفي الذي يحتل - مسبح حلب - اليوم جزء كبيراً من البستان. أما موقع الجسر نفسه فهو منتصف الطريق بين مختبرات القطن ومعمل العوارض.

لم يعد الجسر موجوداً. لأنه أصبح جزءاً من الطريق الواصل بين حي الميدان وحي الشيخ مقصود.

لقد كانت منطقة - جسر الصيرفي - كما ذكرنا مصيف أهالي حلب بعيداً عن المدينة القديمة وضواحيها التقليدية غير أنها اليوم تعتبر من أحياء المدينة وقد امتد العمران إليها، فلم تعد بستاناً. وإنما أصبحت مسبحاً وورشات مواد البناء وشارعاً للفيلات ومكاناً لدوائر الزراعة والقطن ومختبراته. حتى إن النهر الذي كان يفيض خيراً على المنطقة أو يغضب أحياناً فيغمرها؛ أضحي غير موجود، فقد توارى تحت غطاء إسمنتي يحمل على ظهره آلاف الأطنان كل يوم.

إن سجلات مديرية المساحة والتحسين العقاري ما زالت وفية لتراث المدينة فقد حفظت التسمية القديمة. وهي اليوم تتناول مشروعاً بالبحث هو مشروع : تحميل الصيرفي - المعزة.

ما زلنا بانتظار تنفيذ مشروع تسمية شوارع المدينة، لنضع أسماء الشوارع الحديثة في منطقة جسر الصيرفي القديمة.

حي "جسر الكعكة"

كان الحلييون، إلى وقت قريب جداً، شديدي التعلق بمدنيتهم وحيهم وحارتهم و - زقاقهم - ... ولا غرابة في ذلك، فأهالي الحي الواحد يعرف بعضهم بعضاً منذ عقود طويلة من السنين، وهم أقرباء بعضهم البعض أيضاً، حتى إن الغريب عن الحي، سرعان ما يصبح قريباً عن طريق الإقامة الطويلة، وحتى المصاهرة.

إن سبب التعلق بالحي والانتماء إليه هو ملكية سكان الحي لدورهم التي ورثوها عن آبائهم أو التي بنوها بأنفسهم. والدار الواحدة - عادة - تضم العائلة الكبيرة والمؤلفة من الجد والجدة، والأولاد والأحفاد، وهي تشكل أربعة أجيال أحياناً - عمر الجيل الواحد عشرين عاماً، يكون فيها الطفل قد أصبح أباً -.

إن تعلق سكان الحي بحيهم يتعدى القرابة والمصاهرة ليصل إلى حد أن الشخص يُعرفُ بحيه. ولقد رأينا أن تسمية الحي أو الحارة تعود إلى عوامل متعددة ذكرنا بعضها في مقالات سابقة.

وحديثنا اليوم يتناول حارة - جسر الكعكة - وقد جاءت التسمية من وصف دقيق للحي.

إن حارة جسر الكعكة تقع خارج أسوار المدينة القديمة، فهي في الضاحية الشمالية المعروفة بأسماء متعددة. أكثر هذه الأسماء شمولاً ومعرفة هو اسم - الجديدة - فالحارة تقع في قسمها الشرقي - يحدها من الجنوب حارة الطبلية، ومن الشرق قسطل المشط، ومن الشمال حارة الأكراد، ومن الغرب حارة عبد الرحيم، وهي بذلك أقرب إلى منطقة باب النصر - أحد أبواب حلب القديمة.

لم يكن فيها - لصغر مساحتها - أبدة تاريخية تنسب إليها، وكل ما نعرفه أن بعض دورها كان وقفاً للمدرسة الأحمدية. فيها مسجد صغير يدعى الجامع العمري، لهذا عمد سكان هذه الحارة إلى تسميتها بوصف أبرز معالمها، فقد كانت المجاري، وكان بعضها مكشوفاً، تبدأ من الحارة وتمتد إلى مسافات بعيدة، وأحياناً إلى خارج الحي إلى أرض خلاء، إلا أن مجاري حارة جسر الكعكة، أو كما يدعوها المؤرخ الغزي - الأسربة - وكانت أربعة تجتمع في نقطة من الحارة - فيها بالوعة لها غطاء من الحجر مستدير محرق الوسط كأنه كعكة -.. بحسب وصف المؤرخ الغزي، ولما كانت هذه المجاري تصب في منتصف الحارة ولا تستمر حتى تصل إلى حارات مجاورة، لهذا أخذت الحارة هذه التسمية، وأضيف إليها كلمة جسر، ولا ندري سبباً لهذه الإضافة.

لا تزال هذه الحارة قائمة موجودة، ولم تتعرض إلى التحديث الذي أصاب الحارات الأخرى،
غير أن الأسربة والكعكة لم تعد ترى، ولكن التسمية موجودة أيضاً.

لقد كانت أكثرية سكانها حتى الأربعينات من مختلف الطوائف المسيحية، غير أنهم نزحوا كما
فعل غيرهم من سكان المدينة القديمة وضواحيها القديمة أيضاً، وحل محلهم المهاجرون من الريف
إلى المدينة، ولم يبق إلا القليل من سكان الحي القدماء.

شارع " جسر الناعورة "

لم يكن نهر قويق في حلب القديمة نهرًا مقدسًا، ويحرم صيد أسماكها المقدسة أيضاً لأنه يفيض بالخير والبركة على المدينة فقط، بل كان يشكل قوة كبيرة، كغيره من الأنهار يحرك طواحين الماء، ويدير النواعير فضلاً عن تغذية مئات الغرافات التي تحركها دواب الجر على طول ضفتيه، لسقاية البساتين والجنان، وحتى بعض الجوامع الضخمة والقصور الكبيرة.

لقد قامت عليه نواعير عدة كالتى نراها اليوم في مختلف مناطق نهر العاصي، متعطلة كما في شيزر وتعمل كما في بعض أحياء حماة.

وحيث توجد الناعورة عادة، توجد الحياة النشيطة من زراعة وري وتجمع سكاني، بالإضافة إلى حركة مرور بسيطة أو كثيفة.

من النواعير التي عرفت في حلب ناعورة على نهر قويق - خارج أسوار المدينة القديمة - في موقع غربي باب الفرج، بالقرب من بستان الشهبندر - مقصف ومطعم الشباب حالياً - . وكان يوجد إلى جانب الناعورة جسر لتأمين الاتصال بين ضفتي النهر. ولهذا عرفت المحلة المذكورة في القديم بمحلة : جسر الناعورة، ونحدد اليوم مكانها بالضبط في النقطة التي تقع بين مديرية السياحة ونهاية شارع بارون من الجهة الجنوبية - وقد ضاعت معالم الموقع بعد أن غطي النهر في هذه النقطة بالذات لتلافي التلوث وانتشار البعوض - .

لقد بقيت الناعورة قائمة حتى أوائل هذا القرن والشاهد عليها لوحة زيتية رسمها أحد أفراد عائلة بوخة وبجانبها مجموعة من نساء الحي يتمتعن بجمال الموقع ويثرثن.

اللوحة محفوظة لدى العائلة المذكورة - بالإضافة إلى بقاء الاسم القديم، حيث يطلق على الشارع الواصل بين برج ساعة باب الفرج والمتحف الوطني اسم شارع جسر الناعورة أو اختصاراً شارع الناعورة.

أن أول تغيير أصاب المحلة، هو فتح شارع الناعورة العريض عام ١٣٠١ هـ - ١٨٨٣م، وقد تم نتيجة ذلك تعريض الجسر في عام ١٣١١ هـ - ١٨٩٣م، فأضيفت إليه قنطرتان.

وفي عام ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م تم فتح شارع جديد عريض، وصل بين جسر الناعورة والجادة العظمى مكان الخندق الكبير. وهو ما يعرف اليوم بشارع بارون الواصل بين المتحف الوطني وبين شارع شكري القوتلي. كما تم إيصال الجسر المذكور بمحلة السليمية - أي محلة الجميلية اليوم بشارع عريض، تم تبليطه فيما بعد وقد مر هذا الشارع في بستان برأس جسر الناعورة يعرف ببستان الكتاب. وموقع هذا البستان يعرف اليوم بمحلة الكتاب.

وهكذا أصبح هذا الجسر هاماً، وعقدة مواصلات رئيسية في مدينة حلب الحديثة - بالمقارنة مع حلب القديمة داخل الأسوار - ولهذا بنى الأتراك العثمانيون في عام ١٩٠٨ م وبعد الانقلاب الذي أطاح بالسلطان عبد الحميد الثاني - بناء فخماً يكون مقراً للجمعية الاتحاد والترقي الحاكمة. وهو البناء الذي أصبح فيما بعد بناء المتحف الوطني القديم بعد أن أضيف إليه الطابق الأول؛ هدم في الستينات لبني في مكانه المتحف الوطني الحالي -

وحين دخل الفرنسيون حلب، وبدأت المدينة بالتوسع في محلة بستان كل أب، أصبح الجسر ضيقاً لحركة المرور الكثيفة، ولم يعد يكفي لاتقاء شر فيضان النهر وطغيانه على أقبية أبنية شارع بارون، لهذا عمد الفرنسيون إلى هدم الجسر القديم وبناء جسر حديث بالإسمنت المسلح بطول ١٨ متراً.

واليوم. وبعد التبدلات الكبيرة التي طرأت على المحلة بحيث لم يعد الجسر موجوداً، بعد أن غطي النهر وقامت الحدائق والساحات فوقه. وبعد أن نشأ الجليل الجديد الذي لم ير النهر والجسر والناعورة، وبقي أمام عينيه لوح صغير - لا يرى بشكل واضح يحمل اسم شارع الناعورة أصبح لزاماً علينا أن نحكي ذكرى هذه الأوابد وتاريخ هذه المحلة، وذكر لعل الذكرى تنفع.

حي "جسر المعزة"

عدد سكان حلب في النصف الأول من القرن العشرين لم يكن يتجاوز بضعة مئات من الألف يعيشون في المدينة القديمة داخل الأسوار. وفي الضواحي خارج الأسوار وبالقرب منها كانت هذه الضواحي تنتشر شمالاً حيث هناك الضاحية الشمالية وهي المنطقة السكنية الممتدة حول حي الجديدة؛ والضاحية الشرقية، وهي منطقة بنقوسا السكنية؛ والضاحية الجنوبية الشرقية بالقرب من باب النيرب، وتعرض حالياً لتغير كامل؛ وأخيراً الضاحية الغربية، وهي المشارقة التي بنيت بعد الضاحية الشمالية وخاصة حين توسعت بعد زلزال عام ١٨٢٢ الذي هدم جزءاً كبيراً من حلب، فقد نزح السكان الأجانب الذين كانوا يسكنون خانات أسواق المدينة إلى حي المشارقة وبنوا لهم كنيسة وبيوتاً من الخشب...

ولقد كانت البساتين والكروم تحيط بالمدينة وضواحيها إحاطة السوار بالمعصم، فقد كانت البساتين تنتشر على ضفتي نهر قويق وقناة حيلان التي كانت تنقل مياه الشرب من نبع حيلان إلى المدينة...

وكان سكان المدينة يعبرون النهر - وقد غطي القسم الأعظم منه حالياً - على جسور متعددة بعضها خصص للمشاة والبعض الآخر للعربات والقوافل المتجهة إلى دمشق وإنطاكية. أحد هذه الجسور هو جسر المعزة موضوع حديثنا اليوم. يذكر أهالي حلب هذا الجسر كثيراً فقد عبره سكان الجهات الشمالية والشمالية الغربية من المدينة خلال تنقلاتهم من أحيائهم الحديثة والبعيدة عن مركز المدينة أو خلال نزهاتهم في الصيف إلى البساتين وكانت هذه من أهم عادات الحلبيين في الترفيه عن أنفسهم...

ن الحلبيين الذين يقصدون بستان الشيخ طه بخط - أي حارة - النصبي والذين أصبحوا يقطنون حي الشيخ طه، كانوا يعبرون هذا الجسر يومياً، وكذلك الأمر بالنسبة للمصطافين في بستان الخواجهي المعروف ببستان الريحاوي الذي كان وقفاً على المدرسة العثمانية وفي بستان العويجة. ومكانه اليوم قرب جامع التوحيد ذي المآذن الأربع.

لقد كان جسر المعزة أصغر جسور نهر قويق إذ كان عرضه لا يتجاوز المتر والنصف، ويقوم على قناطر قديمة. وقد عمل والي حلب رائف باشا على إصلاحه وتحديدته بين عامي ١٨٩٦م و ١٩٠٠م. وكان هذا أحد أعماله الهامة التي أبرزتها صحيفة الفرات في ذلك الوقت في عددها رقم ١٥٦١ المؤرخ في ٤ محرم سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠م...

وهكذا يمكننا تحديد موقع الجسر غربي حي الشيخ طه الحالي أمام جامع التوحيد، على الطريق الذي يربط بين جامع التوحيد وجسر تشرين قرب كنيسة مار جرجس الحديثة...

لم تذكر لنا المصادر التاريخية سبب التسمية، رغم أنها باقية حتى الآن ورغم طغيان أسماء المدارس والأحياء والحداث التي تقوم عليه أو بقربه، فقد أصبح عريضاً وغطى أخيراً، فلم يعد له وجود.

لن يغيب اسم جسر المعزة لفترة طويلة، خاصة أنه لا يزال يحمل ذكريات سكان المنطقة، وأنه الآن موضوع مشروع تجميل ضخيم يحمل اسم: تجميل المعزة - الصيرفي...

حي " جقورجق أو سقرجق " أو " سبع عوجات "

بعض الحلبيين الذين يهتمون بدراسة المدينة القديمة داخل الأسوار وضواحيها القديمة خارجها، قد لا يعرفون المعلومات الوافية عن الضاحية الشرقية بالقرب من باب الحديد والمعروفة بـ : حي بانقوسا والتي نشأت قبل آلاف السنين ولعبت دوراً هاماً في تاريخ المدينة. وإن كل ما يعرفونه اليوم هو أن هذه الضاحية قد تقطعت أوصالها، وفقدت بعضاً من نسيجها العمراني القديم بعد أن فتح فيها شارع عريض يصل باب الحديد بأحياء قاضي عسكر وما جاورها.

وقد يكون الجزء الذي فتح فيه الشارع العريض المزدوج قد أصابه بعض التغيير العمراني إلا أن الحي بكامله لا يزال يحتفظ بنسيج عمراني قديم واضح وبسكانه الأصليين وحتى بفاعلياته الاقتصادية التقليدية القديمة، خاصة وأن طرفي الشارع الحديث بقيت على حالتها القديمة تقريباً لم تبني فيها الأبنية العالية الضخمة الآسرة التي تلتهم عادة ما وراءها من المنازل الناعمة والرائعة.

إن القليل من الحلبيين المهتمين بالمدينة القديمة ربما عرفوا أن سكان هذا الحي بمحلاته المتعددة قد تقدموا بعرائض للسلطات العمرانية يطلبون فيها الحفاظ على حيهم وإبعاد التحديث والمعاصرة المتمثلة بالأبنية العالية عنهم.

فقد كانت بعض أزقة حي بانقوسا منذ ثلاث سنوات ولا تزال حتى اليوم موضع دراسة عمرانية واجتماعية واقتصادية تقوم بها جامعات عالمية معروفة بغية معرفة تطور مدينة حلب عبر عصورها التاريخية، إذ إن هذا الحي لم يفقد بعد هويته الأساسية.

في حي بانقوسا تقوم عدة أزقة، نتحدث عن واحد منها وهو محلة : جقورجق أو سقرجق كما يلفظها البعض تحريفاً لسهولة اللفظ. إن تسمية جقورجق لفظة تركية تعني الجورة الصغيرة أو الحفر الكثيرة. ولما كانت هذه المحلة لا تزال تحتفظ بممراتها الضيقة التي خلقت لينعم بها المشاة فلا تزعجهم الآليات المتعددة، وهذه الممرات ذات منعطفات متعددة لهذا دعيت أيضاً محلة : سبع عوجات تمييزاً لها عن أزقة مجاورة ومماثلة.

تتميز هذه المحلة عمرانياً وتاريخياً بعدة مميزات، أهمها :

أولاً : الحفاظ على النسيج العمراني التقليدي والبيوت التقليدية الجميلة التي لا يزال قاطنوها يتمتعون فيها بخصوصياتهم بعيداً عن فضول ساكني الطوابق العليا وهم متمسكون بتقاليدهم وعاداتهم.

ثانياً : لا تزال المحلة تحتفظ بأماكنها العامة والدينية بشكل خاص ومنها مسجد الشيخ عثمان الذي اشتهر بأحد أئمة الشيخ أحمد بن محمد الحافظ المتوفي سنة ١١٨٠ هـ - ١٧٦٦ م ثم خان الدبس الذي بني في الفترة العثمانية بعده، وخصص لأبناء السبيل وهو لا يزال قائماً.

ثالثاً : كانت المحلة مركزاً لصناعة قماش المخمل المعروف والتي بقيت فيه حتى أواخر عام ١٨٠٠ م.

رابعاً : كانت أكثرية سكان المحلة من المسلمين، إلا أنها استضافت طائفة من الروم الكاثوليك عرفوا باسم البسارنة نزحوا من قريتهم بسيرين في محافظة حمص وسكنوا إلى جانب أخوانهم المسلمين، وبقوا فيها حتى عام ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م حيث غادروها إلى الأحياء الحديثة ولا يزال السكان الطاعنون في السن يذكرون ذلك.

إن لنا أخيراً كلمة : أن السلطات البلدية في مدينة حلب تعترم تنظيم أسماء الشوارع والمحلات والأحياء، والمطلوب أن تبقي على الأسماء القديمة، وتظهرها، وتفتش عنها.

إن هذه الأسماء القديمة تحمل تاريخاً حافلاً بالأحداث. وعلينا واجب الوفاء للبيت والأرض والبلد والوطن.

حي " الجلوم "

ذكرت الوثائق التاريخية المتعددة مدينة حلب منذ خمسة آلاف عام. إلا أن الأوابد التي اكتشفت فيها، وحفظت في المتحف الوطني، تشهد على وجود هذه المدينة منذ ثلاثة آلاف وثمانمائة عام.

إن الحفريات الأثرية المتعددة في أراضي القطر العربي السوري العريق تكشف مدناً قد تكون أقدم من مدينة حلب، إلا أنها مندثرة ترقد تحت آلاف الأطنان من الأتربة. بينما لا تزال حلب قائمة مزدهرة تتابع مسيرتها، وتمسك خيوط تاريخها القديم بل إنها لا تزال تحتفظ بتخطيطها العمراني وأسوارها وأبوابها منذ القرن الثالث قبل ميلاد السيد المسيح مع بعض التعديلات والترميمات التي جرت في فترات لاحقة.

هناك عدة نظريات ظهرت حول تطور مدينة حلب القديمة، بعضها يجعل بداية العمران فوق تلال متعددة - مثل مدينة روما، ومن هذه التلال تل القلعة وتلة السودا وتل بحسيتا وتل العقبة وفيه عقبة الياسمين - وأخيراً تل الجلوم.

إذن، فإن تل الجلوم يعتبر من المواقع الأولى لنشوء مدينة حلب.

إن الحديث عن حي الجلوم يطول فهو : حي قديم وأوابده التاريخية كثيرة جداً - وسنتعرض لها بالتفصيل حين نتحدث عن الجوامع والمساجد والكنائس والأديرة والحمامات والبيمارستانات والزوايا والمصاين وغيرها في مدينة حلب بشكل عام.

وفي هذه اللوحة التاريخية الموجزة سوف نبرز أهم مميزات هذا الحي العريق:

أولاً : يعتبر حي الجلوم من أهم أقسام المدينة القديمة داخل الأسوار، لا يزال يحافظ على نسيجه العمراني القديم حيث لم تقم فيه الأبنية العالية الشاذة التي تمنع الهواء والشمس عما حولها. فالحي لا يزال يضم المنازل التقليدية الجميلة ذات الباحات الواسعة والأواوين العالية والصهاريج لجمع مياه المطر، وإن كان بعض هذه المنازل قد تعرض إلى التقسيم بين أفراد العائلة الواحدة، وخاصة المنازل الكبيرة - القنايات - التي كانت خاصة بالعائلات الكبيرة والعريقة. ورغم أن حي الجلوم يقع على أحد محاور الدخول إلى قلب أسواق المدينة بدءاً من باب قنسرين، إلا أن له سوقاً خاصة به لتأمين الحاجيات اليومية لساكنيه.

ثانياً : لقد سكن في هذا الحي جميع أفراد الطوائف إلى جانب المسلمين. وأحد أقسامه يدعى : صليبة الجلوم إلى اليوم - فضلاً عن أن بعض أفراد الجاليات الأجنبية - الذين كانوا يعيشون في خانات أسواق المدينة - قد عاشوا فيه في بيوت جميلة ما زالت قائمة مثل بيت مدام صولا وغيره.

كما قامت في الحي كنائس وأديرة ضمت البعثات الدينية الأجنبية التي وفدت إلى حلب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وساهمت في الخدمات التعليمية والصحية والدينية لأهالي المدينة.

ثالثاً: قامت في الحي فعاليات اقتصادية هامة إلى جانب الفعاليات الدينية فانتشرت فيه، منذ القديم، المصابن والمصابغ والخانات والورشات المتنوعة، وما زالت تعمل حتى اليوم بأساليبها التقليدية المتوارثة منذ عشرات المئات من السنين، وأخصها بالذكر المصابن لصنع الصابون الحلي المعروف بأنواعه المتعددة.

رابعاً وأخيراً : لا يزال سكان هذا الحي متمسكين بحيهم ومنازلهم. وقد غادره عدد قليل نظراً لازدياد عدد أفراد العائلة الواحدة. كما أن الحياة التقليدية فيه ما زالت قائمة بدءاً من الأذكار الدينية في الزوايا إلى التزل، حيث يجتمع أفراد الحي يتدارسون شؤونهم، ويستقبلون ضيوفهم بحفاوة بالغة، إلى جلسات الأنس والطرب الأصيل. بقي أن نذكر في الختام أن للحي أسماء متعددة بدأت من الأصل السرياني القديم لكلمة الجلوم وانتهت بأسماء أقسام هذا الحي الكبير. فهناك : الجلوم الكبرى والجلوم الصغرى وخراق الجلوم وصليبة الجلوم وغير ذلك...

محلة الحميدية

بقيت مدينة حلب القديمة حتى بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر تتألف من قسمين الأول ضمن الأسوار وحول القلعة والثاني الضواحي التي كانت تحيط بها أحاطة السوار بالمعصم وهذه الضواحي كانت :

١. الحاضر السليماني وحي الكلاسة، ويقعان إلى الجنوب والجنوب الغربي.

٢. حي الكتاب والمشاركة، ويقعان إلى الغرب.

٣. حي بانقوسا وأقيول، ويقعان إلى الشرق.

٤. الضاحية الشمالية وتضم حي الجديدة وما جاورها وتقع إلى الشمال.

غير أن حلب توسعت وجاوزت هذين القسمين الكبيرين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فنشأت أحياء حديثة بأبنيتها وشوارعها وساحاتها تختلف تماماً عن التخطيط والنسيج العمراني التقليدي الذي ساد حلب القديمة وضواحيها المحيطة بها. وهذا ظاهر في أي مخطط حديث لحلب.

من الأحياء القديمة التي نشأت: حي الحميدية ويقع إلى الشمال من الضاحية الشمالية. ويحده من الشرق المستشفى العسكري القديم، ومن الشمال حي السليمانية والجابرية، ومن الغرب محلة النبال.

نشأ هذا الحي في عام ١٣٠٥ هـ - ١٨٨٧م في عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني فنسب إليه، وعرف به. سكنه منذ البداية عمال البناء، ومعظمهم من الطوائف - يقابل بذلك حي الكلاسة الذي كان يسكنه عمال البناء المسلمون - وكان سكان هذا الحي يترددون على كنيسة مار جرجس للروم الكاثوليك في محلة الشرعسوس للقيام بشعائهم الدينية غير أنه سرعان ما أنشئت كنيسة مار الياس للروم الأرثوذكس في قاعة كبيرة في أحد البيوت. ثم بنيت كنيسة مولليجون - باسم جبل يجون في أوروبا، حيث انتشرت طقوس تكريم السيدة العذراء. وقد أدخلها إلى حلب المطران ميخائيل أحرس أي - كنيسة الأنفس المطهرة - للموارنة عام ١٩١٠ ورغم أنها لم تعد تعمل إلا أنها قائمة مغلقة. ثم بنيت فيما بعد كنيسة مار أنطونيوس في عهد المطران بولس

حكيم، وتبرع لها الثري الإيطالي المعروف غنطوز دي كوبا مالك بيت كبة المعروف في محلة الصليبية والتي أصبحت مأوى للفقراء خلال سني الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨م غير أنها هدمت مؤخراً.

لقد تميز هذا الحي في الحرب العالمية الأولى حيث أصبح مقراً للجيش الألمانية المتحالفة مع الدولة العثمانية. فقد رابطت فيه، ونصبت في الفضاء المحيط به أول هاتف في حلب - كما ذكر المؤرخ الغزي - وقد دعت المنطقة فيما بعد - محلة التلفون الهوائي - وهي قائمة بهذه التسمية حتى اليوم رغم مرور نيف وثمانية عقود من السنين.

يعتبر حي الحميدية من أعمار أحياء حلب وأوسعها. ولا يزال يحتفظ باسمه رغم مرور أكثر من قرن. كما لا تزال بعض الدور القديمة قائمة فيه تنتظر معاول تجار البناء لهدمها وتشيد أبنية حديثة عالية محلها، إن لم تتداركها عناية لجنة المدينة القديمة؛ فتحتفظ بها لتعبر عن أصالة هذا الحي وقدمه.

ضاحية الحاضر السليماني " الكلاسة "

لاشك أن مدينة حلب تعتبر من أقدم المدن في العالم، لا تزال قائمة مزدهرة. لم تُظهر معالمها القديمة كما تم في مدن أبلا وماري وأوغاريت لأن المدينة الحديثة بنيت فوقها، غير أن معالمها تظهر أحياناً حين تجري حفريات عميقة لوضع أساس بناء أو غير ذلك...

إن شواهد أثرية اكتشفت في حي العقبة وفي قلعة حلب يعود تاريخها إلى ١٨٠٠ سنة و ١٤٠٠ سنة قبل ميلاد السيد المسيح، فضلاً عن النصوص التاريخية التي كشفت في أكثر من موقع، تذكرها في الألف الثالث قبل ميلاد السيد المسيح، مدينة مزدهرة لعبت دوراً سياسياً واقتصادياً في العالم القديم.

لقد تطورت مدينة حلب عبر العصور التاريخية، وأدى ذلك إلى زوال بعض أقسامها، وحلت محلها أقسام حديثة - إلا أن بقايا أثرية لا تزال شاهدة على الأقسام التي زالت وتدل عليها...

من هذه الأقسام حي ضخم كان قائماً خارج الأسوار القديمة بالقرب من باب قنسرين يدعى - الحاضر السليماني - ويضم محلة الكلاسة المعروفة، وهذه المحلة تعتبر من أقدم أحياء حلب القديمة، فقد ورد ذكرها تحت اسم - كلاسو - منذ عام ٢٨٥٠ قبل ميلاد السيد المسيح، وكانت تضم أفران الكلس؛ كما أن مؤرخ حلب الشيخ كامل الغزي يذكر في كتابه - نهر الذهب كيف أن الناس يجمعون في هذه المحلة - العاديات الزجاجية والخزفية - وقد تأكد لدى مديرية آثار حلب ذلك في أكثر من مناسبة...

إن حي - الحاضر السليماني - الذي كان يشكل قوساً يحيط بالمدينة القديمة من باب قنسرين حتى حي الفردوس، كان يدعى - حاضر حلب - وحاضر كلب - نسبة إلى القبائل التي سكنته، وكان يضم القصر الذي بناه سليمان بن عبد الملك وعدداً كبيراً من المباني والمساجد؛ وهذه بلغ عددها مائة وعشرة مساجد فضلاً عن أسواق عدة، وكان له وال مستقل به. وقد وصفها ياقوت الحموي في معجمه بقوله : محلة كبيرة سكانها من التركمان، مستعربة ولها وال مستقل. واسعة، ومن جملتها الكلاسة. وإن الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي أوصل مياه قناة حيلان إليها، كما اهتم بها أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين، وبنى مسجداً. كما اهتمت بها الملكة ضيفة خاتون وبنت جامعاً ورباطاً وتربة الفردوس، ثم أقيمت فيها مدرستا -

الكاملية والظاهرية. وإن وجود هذه الأوابد الأثرية الرائعة للدليل واضح على ازدهار هذا الحي الذي اهتم به أيضاً إبراهيم باشا المصري، فبدأ بناء ثكنة الشيخ يبرق - مركز التدريب الثاني - ولم يتمه.

أخيراً قد يكون التبدل الواسع قد أصاب هذا الحي الكبير، إلا أن تسميته تحمل ماضيه الكبير وسنعود إلى بحث أوابده الكبيرة.

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

محلة الحوارنة

بعد عام ١٢٥٠ ميلادية زال الحكم الأيوبي في مصر وسورية، وبدأ حكم المماليك أو كما يسميهم المؤرخ الغزي - الجراكسة - وكان في مدينة حلب حاكم مملوكي يدعى تارة - الكافل - أو - نائب السلطان - أو غير ذلك من الأسماء.

لقد ترك المماليك في مدينة حلب، خلال حكمهم الذي دام حوالي ثلاثمائة سنة آثاراً كثيرة ما زالت قائمة حتى اليوم : مساجد وجوامع وخانات وحمامات وغير ذلك كما أن بعض أحياء وأسواق في حلب أنشئت خلال حكمهم لا تزال قائمة أيضاً. وتجري الآن دراسات معمارية وتاريخية تلقي الضوء عليها بشكل خاص، وعلى تاريخ حلب بشكل عام.

إن موضوعنا اليوم لا يتناول دراسة حي من أحياء حلب القديمة في الفترة المملوكية فقط بل يتناول أيضاً علاقة سكان هذا الحي بالحكام المملوكي الغريب، وكيف كانت هذه العلاقة تتراوح بين القبول والرفض بحسب سياسة هذا الكافل أو ذاك.

حارة - الحوارنة - وكلمة حارة تعني كل محلة دنت منازلها أي تجمعت - هي من أحياء حلب القديمة التي نشأت خارج أسوار حلب القديمة وداخل الأسوار التي توسعت فيما بعد، تقع داخل باب المقام أحد أبواب حلب القائمة حتى اليوم وبجانب حي القصيلة المعروف. ذكرها المؤرخ ابن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م، وذكر بناء حمام ابن الدرמש الكبير فيها.

سكن فيها جماعة الحوارنة الذين نزحوا من حوران في جنوب القطر العربي السوري في القرن التاسع الهجري الموافق للخامس عشر الميلادي.

وكان نائب حلب المملوكي في ذلك الوقت ازدمر بن مزيد - الأشرم - ولاه عليها قريه السلطان الملك الأشرف قاتيباي للمرة الأولى في عام ٨٨٤ هـ - ١٤٧٩ م، وللمرة الثانية عام ٨٨٩ هـ - ١٤٨٤ م.

قام الوالي ازدمر ببناء خان الصابون في سوق الصابون، كما بنى حماماً بساحة باب المقام وترتبة قرب سعد الأنصاري - الأنصاري اليوم.

إلا أنه كان مع اهتمامه هذا سيء الخلق، وكذلك أعوانه المقربون إليه، فتصدى لهم الحوارنة وكانوا عتاة أبطالاً كما يصفهم المؤرخ الطباخ، فقتلوا بعضاً منهم حتى - الاستادار - وهو محصل الأموال، وحصلوا أضراراً في دار العدل غير أنه بعد فترة حاصرهم، وأراد الغدر بهم في يوم الموكب بحضور القضاة الأربعة. فقتل واحداً منهم، لكن القضاة رفضوا موافقته على قتلهم، ويقول المؤرخ الحلبي رضي الدين الحنبلي : -.. وكان منهم جدي الجمالي الحنبلي فأغلظ له القول، وقام من المجلس. وقام باقي القضاة، فحقنت دماء الباقيين بسببه.. -.

لقد ذهب الحوارنة وذهب الممالك منذ نيف وخمسمائة عام، وبقي الحي إلى اليوم كما هو يحمل الاسم المشرف شاهداً على تاريخ هذا البلد العريق، وليس أبلغ من التاريخ قولاً وشاهداً...

محلة " خراب خان "

لعبت حلب منذ سبعمائة سنة وحتى مطلع القرن العشرين الذي نعيشه، دوراً كبيراً في اقتصاد العالم القديم - أوربة وآسيا وأفريقية - فكانت مركزاً هاماً من مراكز الصناعة والتجارة الدولية بين الشرق والغرب.

الدليل الواضح على أهمية حلب الاقتصادية هو حجم الأسواق القديمة والخانات فيها والتي بنيت قبل أكثر من ستمائة عام وما بعدها لتستوعب حجم اقتصاد حلب آنذاك، وعدد سكانها لا يتجاوز الثلاثمائة ألف نسمة. تلك مسلمة يعرفها الجميع، ولا جدال فيها.

إلا أن مما لا يعرفه إلا القليل من الباحثين هو حجم الفعاليات الاقتصادية التي كانت توجد في كل محلة أو حي من محلات أو أحياء حلب القديمة والتي كانت تغص على صغرها بالخانات للتجارة والقيسريات لحياكة وتصنيع المواد وخاصة النسيج التي اشتهرت به حلب عالمياً، وما زالت، مثال ذلك عشرات الآلاف من الأنوال اليدوية التي كانت منتشرة في حي الجديدة.

سنعرض اليوم لمحلة صغيرة في أحد أحياء حلب كان فيها عدد من الفعاليات الاقتصادية المذكورة وهي محلة - خراب خان - .

لم يذكر لنا أحد المؤرخين الحلبيين سبب التسمية وقد يكون السبب خراب أحد الخانات الكبيرة في المحلة لأمر ما. تقع هذه المحلة خارج الأسواق بالقرب من باب الحديد أو باب القناة. يعود تاريخ جامع قاسم النجار فيها إلى عام ٧٦٥ هـ - ١٣٦٣ م، والذي جدد عام ١١١٢ هـ - ١٧٠٠ م. سكنها المسلمون والطوائف جنباً إلى جنب، وكانت هذه المحلة على صغرها، تضم ثلاث خانات لبيع محاصيل المناطق الشمالية والشرقية وقيساريين لحياكة النسيج ومصبغتين وثلاثة مدر - مفردها مدار لطحن البرغل والطحين والعدس وغيره - وأربعة بيوت قهوة بحسب تعبير المؤرخ الغزي - وكان من مالكي الخانات والعاملين بها عائلتان حلبيتان معروفتان : عائلة الدلاباشي وعائلة البيرقدار. ولأهمية المحلة قام إبراهيم العنبرجي بإيصال ماء القناة لها عام ١٢٧٢ هـ - ١٨٥٥ م.

ذكر المؤرخ الطباخ في كتابه إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، أن الفقيه قاسم النجار والذي ينسب إليه جامع المحلة، والذي يعتقد بعض المؤرخين أنه بني قبله، وقام على بنائه جماعة بني الحريري من أهالي حماه. يذكر الطباخ أن الفقيه النجار قد قام بتدريس الفقه مدة ست وستين سنة - توفي عام ١١٦٣ هـ - ١٧٤٩ م. وكان بعض طلابه من بلاد الروم - يقصد تركيا اليوم.

لا تزال هذه المحلة قائمة، إلا أن فعاليتها الاقتصادية قد توقفت منذ أن فقدت حلب أهميتها الدولية بفتح قناة السويس في النصف الثاني من القرن الماضي وتحول الطرق الدولية عنها، ثم بعد سلب لواء اسكندرون في بداية القرن الحالي. إن قسما منها لا يزال يحافظ على نسيجه العمراني كما كان، بينما القسم الشمالي الشرقي قد زال بعد فتح شارع أقيول المجاور.

حي : تحت القلعة

لا شك أن نواة المدن في أي عصر تبدأ صغيرة ثم تنمو وتتسع - حتى تغدو كبيرة عبر العصور التاريخية وينطبق هذا القول على مدينة حلب التي بدأت على مرتفع القلعة الأوكروبول، وأقدم شاهد أثري فيه لدينا الآن يعود إلى ثلاثة آلاف وثمانمائة سنة قبل اليوم.

ومن الطبيعي أن تتجمع المباني الهامة حول النواة - القلعة، حيث مركز السلطة. وهي الملاذ والملجأ حين يدهم المدينة عدو خارجي. وإذا رجعنا إلى تاريخ حلب القديم، وإلى موقع حول القلعة بالذات، أو كما هو معروف اليوم بحي تحت القلعة لرأينا كثيراً من المباني الهامة بنيت في هذه المحلة، كالمدارس والخانقاهات (مفردتها خانقاه، وهي كلمة فارسية تعني مكان الراحة) والمستشفيات و الحمامات وغير ذلك.

إن أقدم هذه المباني التي أوردتها المصادر التاريخية يعود تاريخه إلى منتصف القرن الثاني عشر الميلادي. وقد بدأها معمار حلب الكبير الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي، وتابعها المماليك من بعده.

إن استعراضاً سريعاً، وسنبحث في تفاصيله في ما بعد، يظهر لنا أهمية هذه المباني التي بنيت حول قلعة حلب، وما بقي منها اليوم. وهو شاهد على أهميتها والدور الذي لعبته المدينة القديمة.

إننا لا نستطيع تحديد موقعها، فقد هدم معظمها على مر الزمن ولا يوجد في مصادرها التاريخية سوى الاسم وبعض المعلومات، فضلاً عن أن أبنية أخرى قامت فوق أنقاضها، إلا أن للأسماء التي بقيت حتى اليوم دلالة كبيرة عليها، كما أن الأبنية المعاصرة التي بقيت تعطي الدليل على أهميتها.

من المباني الإدارية نذكر : دار النيابة ومكتب السلطان حسن، ومدرسة بني الشحنة، ودار العدل (موقع المستشفى الوطني سابقاً والمعهد الصحي حالياً) ومن المباني العامة : الخانقاه القديم، وقد بناه نور الدين محمود زنكي عام ٥٤٣ هـ - ١١٤٨ م. خانقاه الأمير علاء الدين طاي المتوفى سنة ٥٥٠ هـ - ١١٥٥ م. خانقاه القصر، بناه نور الدين أيضاً عام ٥٥٣ هـ - ١١٥٨ م. و خانقاه سنقرجا النوري عام ٥٥٤ هـ - ١١٥٩ م. وقيسرية بنيت أيام العادل محمود كانت وقفاً على خانقاه المجاهدية التي بنيت عام ٥٦٤ هـ - ١١٦٨ م، فضلاً عن زاوية

الطوشي والمدرسة الغوثية والحمام الناصري، رمم مؤخراً وفتح للجمهور، والمدرسة السلطانية لا تزال قائمة أمام باب قلعة حلب وحمام السلطان الحالية أما المباني الخاصة فأهمها دور بني الشحنة وقصر شجاع الدين فاتك.

وهكذا يستدل من كثرة المباني الإدارية والعامة على أهمية هذه المحلة - تلك الأهمية التي لا تزال قائمة حتى اليوم، إذ بنيت دار الحكومة في أواخر الحكم العثماني بالقرب من القلعة بجانب مبنى قسم الهجرة والجوازات القديم. وفي أواخر عهد الانتداب الفرنسي وبعد الاستقلال بنيت دار الحكومة الحالية، ثم ألحق بها قصر العدل الذي زاحم مبنى الحمام الناصري، كما بني مؤخراً ملحقة له. ولأهمية هذا المركز الإداري الحالي بجانب القلعة العتيقة، شقت الطرق وفتحت الشوارع في جسم المدينة القديمة ونسيجها العمراني، للوصول إليه.

حي الشيخ طه

اعتاد مؤرخو حلب مثل ابن شداد وابن العديم، ورضي الدين الحنبلي وغيرهم إطلاق كلمة - خط - على الأماكن الموجودة في حلب كالحلي والطريق والشارع تمييزاً لها عن الحارات والمحلات والأزقة والبوابات... وقد تبين لنا أن أغلب الخطوط هي المواقع التي لم يسبق أن قامت فيها أبنية قديمة زالت، فهي الأرض البكر وغالباً ما تكون بعيدة عن مركز المدينة وأسوارها.

موضوعنا اليوم نتحدث فيه عن - خط النصيبي - أو - حي النصيبي - والاسم غير معروف حتى لساكني هذا الحي اليوم، وهم كثيرون جداً.

وربما لم يذكر سوى في السجلات القديمة التي كتبت في فترة الحكم العثماني.

ويعتبر هذا الخط من أكبر الخطوط التي عرفت في حلب مثل خط الحريري وخط سوق الخيل وغيره، فقد كان يمتد على ضفاف نهر قويق منذ أن يغادر جسر المعزة - تحدثنا عن هذا الجسر سابقاً - حتى يصل إلى موقع محطة بغداد، كما يحيط هذا الخط بمناطق واسعة ليصل إلى شمالي محلة الجميلية اليوم.

ولما كان هذا الخط يرافق نهر قويق فقد ضم عدة بساتين عرفت بأسماء أصحابها أو لصبغة مميزة لها، ولنا عودة للحديث عن هذه البساتين منها بستان الكهف وبستان كور مصري والعويجا والعميان وإبراهيم آغا وأخيراً بستان الشيخ طه. وقد كانت أكثر البساتين وقفاً لمباني خيرية اشتراها ولاية حلب العثمانيون وخصوصاً لجوامع بنوها إذ إن قسماً منها كان وقفاً للمدرسة الأحمدية وآخر وقفاً للمدرسة العثمانية أو الرضائية. ونتيجة الاهتمام بها كأوقاف خيرية. عرفنا بعض المعلومات عنها فبستان خط النصيبي مثلاً ثلاث عشر كدنة - نوع من القياس لم يعد موجوداً - وفيه دولاب وعرّاف. أما بستان إبراهيم آغا ففيه مغاره وعرّاف.

هذا الخط المتطاوّل على ضفتي النهر يعتبر اليوم من أعمار أحياء حلب اكتظاظاً بالسكان والحركة أخذ جزءاً من التسمية وأطلقها على مجموع الحي فأصبح اسمه حي الشيخ طه. فلقد زالت البساتين شيئاً فشيئاً وحلت محلها أحياء عامرة بالأبنية أخذت أسماء جديدة خاصة بها. ولحسن الحظ، بقيت لنا تسمية بستان الشيخ طه. ولأن البستان قد زال بقيت تسمية - الشيخ طه - فقط.

حي الخناقية

لم تقتصر التسميات التاريخية في مدينة حلب على اختيار أسماء الأشخاص أو الحوادث أو المواقع، بل وصل الأمر إلى مراقبة الظواهر والتشكلات الطبيعية لإطلاقها أيضاً على الأحياء والمواقع. إننا لن نعود إلى الوراء إلى الزمن البعيد جداً لندرس طبيعة الأرض في موقع حلب ووجود بعض المستحاثات الحجرية فيها.

فحديثنا اليوم يتناول ظاهرة طبيعية كانت موجودة، ولا تزال خارج الأسوار في موضع أحياء : محطة بغداد والسريان القديمة وشارع فيصل، فقد انتشرت في مواضع هذه الأحياء المغاور الطبيعية الكثيرة. ودعيت باسم عام هو الخناقية وتذكر بعض المصادر التاريخية أن كثيراً من الأشخاص دخلوا هذه المغاور واختنقوا فيها حتى إن المؤرخ الحلبي ابن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م ذكر اسمها " المضيق " .

قد تكون هذه المغاور قد حفرتها يد الإنسان إذ إن عدداً من مؤرخي حلب ذكروا أن سيف الدولة الحمادي بنى في عام ٣٣٦ هـ - ٩٤٨ م قصره في أرض الحلبة - قرب الزبدية اليوم وأجرى نهر قويق من تحت الخناقية حتى يدخل القصر من جانب ويخرج في آخر في المكان المعروف بالفيض وقد نهبه نقفور ملك الروم وهدمه لدى احتلاله حلب في عام ٣٥١ هـ - ٩٦٢ م. كما ذكر المؤرخ الحلبي ابن العديم أن تاج الدولة تتش هاجم حلب عام ١٧٤ هـ - ١٠٧٩ م. وجرت معركة مع الحلبيين في موقع الخناقية على باب حلب وقد قال الشاعر :

وفي يوم خناقية قر خنقتهم

بعثير فل روفل الشرخ شائباً

ونظراً لارتفاع هذه المنطقة نسبياً ووعورتها - فقد نشر فيها السلطان صلاح الدين الأيوبي في عام ٥٧٠ هـ - ١١٧٥ م جيشه ليحتل حلب ويطرده منها الملك الصالح بن نور الدين زنكي وكان الانتشار يتناول منطقة الخناقية إلى بستان السعدي.

كما تحدث المؤرخ ابن الشحنة المتوفى عام ٨٩٠ هـ - ١٤٨٥ م عن منطقة الخناقية، واعتبرها من منتزهات حلب. وذكر فيها حماماً وبستان ابن حسون ثم بستان النقيب محمد بن صدقة..

وفي بداية الحكم العثماني في القرن السادس عشر الميلادي كانت أراضي الخناقية وقفاً على المدرسة العثمانية أو الرضائية. وذكر الغزي أن هذا الوقف يتألف من أرض فلاحية تعرف بالأرض البيضاء المتصلة بالخناقية، والفاصل بينهما المغارة. وشمالها سن جبل القلعة ويقصد الغزي هضبة ثكنة طارق بن زياد.

إن توسع مدينة حلب وازدياد السكان فيها والفعاليات الاقتصادية أدى إلى بناء محطة بغداد في عام ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م في كرم الخناقية، وفي السنة التالية سار القطار منها. وقد كان وجود المحطة حافزاً لازدياد العمران. ففي عام ١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠ م بنى الأرمن في ذيل جبل الخناقية دورهم الصغيرة من الأخشاب والحجارة. وهو ما يعرف اليوم بالسريان القديمة.

وهكذا امتد التوسع فقامت جادة شارع فيصل، ومؤخراً نشأ حي السريان الجديدة. إن القليل من سكان مدينة حلب وحتى المناطق التي ذكرناها لا يذكر اليوم تسمية الخناقية؛ هذه المنطقة الواسعة ذات المغاور الكبيرة والتي لم يبق منها سوى منخفض من الأرض صغير لن يأتي الجبل الجديد إلا ويكون قد طمر، وقامت عليه بناية شاهقة. ورغم هذا فسيبقى التاريخ يذكر سيف الدولة وصلاح الدين ومرور نهر حلب والخناقية أيضاً.

حي باب المقام

لقد اعتدنا في هذه الزاوية تحديد موقع الأحياء من حيث وجودها داخل أسوار المدينة أو خارجها. وقد سار مؤرخ حلب الشيخ كامل الغزي في كتابه - نهر الذهب في تاريخ حلب - على هذا، لكنه كان يتخذ دائماً السور فاصلاً كما كان أواخر الحكم العثماني، أو بقاياها كما رآها في أواخر القرن العشرين.

غير أن في حلب أحياء نشأت خارج السور الأول بحلب، وحين توسعت المدينة - وبني السور الثاني - أصبحت تقع بين السورين أو في المنطقة التي دعت به الفصل -.

من هذه الأحياء - حي باب المقام - وهو داخل السور الثاني وخارج السور الأول - وستحدث بالتفصيل عن الأسوار فيما بعد -.

ينسب هذا الحي إلى باب المقام أحد أبواب حلب ومنه يتجه المرء إلى مقام الصالحين، وكان الباب يدعى أيضاً بـ - باب نفيس - و - الباب القبلي - فهو من الجهة الجنوبية من المدينة.

يقوم الحي على طرفي الجادة العظمى بين الباب المذكور وقلعة حلب ويضم - حارة الحوارنة - وقد تحدثنا عنها ولا يزال يحافظ على نسيجه العمراني القديم. فالأبنية الحديثة فيه قليلة جداً والمحلة بالتالي تحافظ على أبنيتها القديمة وأوابدها التاريخية وأزقتها الضيقة الملتوية، كما أن فعاليتها القديمة مستمرة. واستعيز عن التي زالت بفعاليات حديثة مشابهة. وإن امتداد الجادة العظمى خارج الباب الأثري قد أزال جزءاً من السور فقط.

أهم أوابدها الأثرية مسجد ومقام الأربعين. وقد بني في القسم الغربي من الباب الأثري، ويحكي أن أربعين قطباً من الأولياء قد دفنوا فيه وعلى الجانب الشرقي من الباب قسطل بناه المقر السيفي الأشرفي نائب القلعة في عام ٨٣١ هـ - ١٤٢٨ م. هدم مؤخراً، ولكن كتابته باقية. ووراء القسطل مسجد وتكية أقيما في البرج الشرقي يقام فيها الذكر منذ القديم، ويستمر حتى اليوم، وتشرف عليه نفس العائلة.

ذكر المؤرخ ابن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م وجود أحد عشر حماماً في المحلة. ويبدو أنها دثرت منذ القديم، أو أنه يعني المنطقة الواسعة بين القلعة ومقام الصالحين خارج

الأسوار. والحمام الباقية والتي لا تزال تعمل هي حمام المألحة، ولا نعرف سبب تسميتها وقد بنيت عام ١١٢٣ هـ - ١٧١١ م، وكانت وفقاً خيراً.

من أهم جوامع مساجد حي باب المقام جامع الطواشي، وبني في منتصف القرن الثامن الهجري أي الرابع عشر الميلادي، وسنفرد له بحثاً خاصاً، ومسجد أصلان الصغير في حارة الحوارنة، وعليه كتابة تفيد أن إنشاءه تم في عهد صلاح الدين يوسف حفيد صلاح الدين الأيوبي، ولا يزال قائماً عامراً بالمصلين. إلا أن الصهريج القائم جانب الباب قد سد وأضيفت زريقة الترولي إلى جداره الخارجي، فشوهته.

أجمل آثار الحي - سبيل البيك - ولا يزال قائماً في مدخل حارة الحوارنة، وتزينه زخارف جميلة وشبابيك حديدية ينسب بناؤه إلى أحمد بيك بن إبراهيم باشا في عام ١٢٣٤ هـ - ١٨٢٨ م وما زالت الكتابة موجودة على جدرانه فضلاً عن القائم - وهو موضع توزيع مياه القناة في الحي.

إلى جانب السبيل مدرسة الدفتردار، وهي دار واسعة استعملت فيما بعد للسكن. وجانب منها مهمل في الوقت الحاضر.

إن أبنية الحي الأخرى من أبنية ومقاهي لا تزال قائمة، وإن تغير استعمالها حالياً. وفي الحي مداران لطحن البرغل والعس سابقاً، حول أحدهما إلى مطحنة حديثة.

إن جولة في هذا الحي العريق في قدمه تعود بالمرء إلى سنين كثيرة خلت، وتحكي تاريخ هذه المدينة العريقة.

محلة باب النصر

اختلفت الدراسات حول تخطيط مدينة حلب القديمة ونشأتها الأولى. فبعض الدراسات جعل تخطيطها شطرنجياً حيث تقوم شوارعها حول الطريق المستقيم الممتد من باب أنطاكية إلى سفح قلعة حلب بعضها يوازيه، وبعضها الآخر يتعامد عليه. وبعض الدراسات الأخرى ذهبت إلى إعطائها الصفة العربية الإسلامية، بحيث تجعل المسجد في المركز، وتتخلق حوله المدينة.

إننا نرى أن أية دراسة تخطيطية يجب أن تأخذ بعين الاعتبار تاريخ كل جزء على حدة، ونحن نعلم أن تاريخ مدينة حلب يتوغل في المنطقة الأثرية المكتشفة في حي الأنصاري إلى الألف الثالث قبل ميلاد السيد المسيح، وفي مركز المدينة إلى عام ١٨٠٠ ق.م.

مهما يكن فإن مدينة حلب داخل الأسوار تتميز بين مدن البحر الأبيض المتوسط بمميزات أهمها :

أولاً : وجود الأسوار، وفيها اليوم بقايا الأبراج والأبواب..

ثانياً : مركز المدينة يضم الأسواق، وفيها الجوامع والمساجد والخانات..

ثالثاً : وجود المحاور الرئيسية التي تربط بين الأبواب ومركز المدينة.

وحدثنا اليوم عن أحد هذه المحاور، وهو محور محلة باب النصر - وستحدث عن الباب مفصلاً - وكانت من أعمار محلات حلب وأكبرها شأنًا ولا نغالي إذا قلنا إنها تضاهي مركز المدينة بما احتوته من فعاليات ومباني هامة.

لقد اهتم السلطان صلاح الدين الأيوبي بهذه المحلة، فذكرت المصادر التاريخية داراً له مجاورة للقسطل الناصري قرب قسطل الهندي، وحدثنا الشيخ الغزي أنها كانت متوهنة حين وضع كتابه قبل خمسين سنة تقريباً. وحينما حكم ابنه الملك الظاهر غازي معمار حلب الكبير بنى الباب القائم حالياً عام ٦١٠ هـ - ١٢١٣ م، ودعاه بـ - باب النصر - بعد أن هدم الباب السابق والمعروف - بباب اليهود - وجعله من أحصن أبواب حلب. كما بنى أمام الباب جامعاً صغيراً في عام ٦١٢ هـ - ١٢١٥ م ربما جعله للحامية في أحد أبراج الباب، وصلى فيه. ولا يزال الجامع بجوار باب مخفر باب النصر قائماً.

وحين جاء الممالك شيّدوا عدة أبنية عامة في الحي منها حمام القاضي أو النجاشي والتي ذكرها المؤرخ ابن شداد المتوفى عام ٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م، وقد جددت في عام ٩١٤ هـ - ١٥١٧ م غير أنّها اليوم متوهنة وبنوا أمامها مسجداً لا يزال قائماً. ثم بني جامع القرناصية في عام ٧٧٠ هـ - ١٣٦٩ م، وحول إلى مدرسة عام ١٢٤٢ هـ - ١٨٢٧ م ولا تزال قائمة. وأخيراً جامع المهمندار أو القاضي الذي بني في أواسط القرن السابع الهجري أي أواسط القرن الرابع عشر الميلادي. وتعد مئذنته من أجمل مآذن القطر العربي السوري بل في بلاد الشام كلها وقد وضع نموذجان لها في أكبر فنادق حلب اليوم، فندق شهباء الشام. إضافة إلى ذلك تم بناء مصابن وقيصريات لا تزال عامرة إلى اليوم، وتدل على أهمية هذا الحي.

وفي فترة الحكم العثماني أضيفت إلى الحي أبنية عامة أخرى. من أجملها وأهمها المدرسة الرضائية أو العثمانية التي بناها والي حلب عثمان باشا الدوركي في عام ١١٤٢ هـ - ١٧٣٠ م، وتعد من أهم وأجمل وأكبر مدارس حلب - وستحدث عنها بشكل موسع - ثم بني مخفر للشرطة كما جرت العادة آنذاك في بناء مخافر الشرطة قرب كل باب من أبواب حلب. وقد نقلت أعمدة مخفر باب النصر وهي من المرمر من جامع الرومي في عام ١٢٥٥ هـ - ١٨٣٩ م، بالإضافة إلى مقاهي ومدارات لطحن البرغل وحمامات، أكثرها دثر.

أما سوق المحلة الذي غطي بصفائح حديدية في أوائل هذا القرن فكان يأتي بالأهمية بعد أسواق المدينة المركزية، ويفوقها أهمية أحياناً؛ حيث كان يقدم الخدمات إلى سكان المحلة وإلى محلة الجديدة القرية فضلاً عن الخدمات التي يقدمها لجميع سكان المناطق الشمالية - الغربية من القطر وكلنا نذكر مراتب السيارات التي كانت موجودة قرب السوق. لقد ضاعت أهمية هذه السوق بعد أن نقلت مراتب السيارات، وفتحت الشوارع الحديثة.

وبعد هل نبالغ إذا قلنا إن فعاليات ومدارس ومباني هذا الحي كانت تفوق ما هو موجود الآن فيه؟..

حي باب النيرب

ينتسب المرء إلى وطنه حيث ولد وترعرع. والوطن يتحدد بالبلد أو المدينة أو القرية. ويبقى هذا الانتساب إلى الوطن طويلاً، فيستمر جيلاً بعد آخر وقد يصل إلى ثلاثة أجيال أو أربعة، فيحن المرء إليه إذا ما اضطرته الأيام إلى مغادرته. وفي المدينة الواحدة يضيق الانتساب - يتعلق المرء بحيه حيث نشأ، ثم بالبيت الذي ولد فيه وعاش. ويعتبر مواطنه بالحي أكثر من زميل أو صديق، كما تعتبر مباني الحي كلها داره وبيته.

وهكذا تنشأ الروابط بين البشر ومواطنهم، وتتعمق كلما مر الزمن، حتى إن الإنسان يحمل معه اسم وطنه وبلده وحيه أحياناً أينما رحل وحل؛ فيعرف أو يلقب به...

لقد عرف ذلك عن الحلبي، وهذا ما يفسر ارتباطه بمدينة، ارتباطاً وثيقاً، وبالحي الذي نشأ فيه. لقد ذكرت هذه المقدمة لأمر واقع؛ فقد ضاقت المدينة القديمة بحلب، فلم تستطع استيعاب سكانها بعد أن تكاثروا؛ ولهذا اضطر أهلها لمغادرتها، فنشأ مع هذه المغادرة الحنين إلى الحي والبيت.

إن سكان حي باب النيرب بحلب، وبعضهم غادر الحي لا يزالون يذكرون مرتع صباهم وفترة شباهم.

وحديثي اليوم يتناول هذا الحي الواسع الكبير الذي يضم أكثر من محلة وزقاق وبوابة. لن أتطرق إلى الباب الذي لم يعد موجوداً، وبقي اسمه قائماً وسيبقى، فله حديث آخر، إنما سألقي الضوء على الحي الذي كان يمتد داخل وخارج الباب.

فقد نشأ هذا الحي أولاً داخل الأسوار حياً سكنياً كباقي أحياء المدينة السكنية. وشكل محوراً بين الباب وقلعتها التي كانت المركز قبل أربعة قرون من ميلاد السيد المسيح، ثم توسع هذا المحور ليصل إلى المركز الجديد، وهو أسواق المدينة القديمة بعد القرن الخامس الميلادي.

فقد أنشأ ملوك حلب قبل ألف عام من الآن تقريباً سوراً خارجياً اعتبروه خطأً دفاعياً للسور القديم للمدينة. فتوسعت المدينة، وامتد حي باب النيرب قربه كما امتدت أحياء أخرى مثل حي باب المقام والقصيلة وغيرها، وهذه المنطقة تعرف بالفصيل.

ولما كانت الدولة الأيوبية قد أنشأت مباني دينية متعددة خارج الأسوار، فقد امتد حي باب النيرب أيضاً حولها وهكذا مرت مراحل ثلاث على توسع هذا الحي العريق.

لقد ضم هذا الحي كغيره، عدة مباني دينية هامة ففيه المدرسة الجابية، وكانت فيها محكمة على المذهب الشافعي. وفيه المدرسة الطرنطائية نسبة إلى مجددھا طرنطاي بعد بانيھا المؤرخ الحلبي الكبير ابن العديم في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، وتربة العلمي الأيوبي ومسجد آشق تمر أو السكاكيني، وهو من العصر المملوكي وجامع التوبة المملوكي، وقد جدد عدة مرات وكل هذه المباني سنتحدث عنها بالتفصيل في أحاديث مقبلة. يضاف إلى ذلك حماما برسين والذهبي المملوكيان وقد دمر جزء كبير من الحمام الأخيرة في عام ١٨٥٠م ومقهيان وعدة خانات.

لقد كان للحي تقاليد بدوية ما زال بعضها قائماً، وبعضها دثر؛ كاجتماع النسوة من جميع الأديان كل يوم اثنين وخميس لبيع خيوط الصوف المغزولة في زقاق الزيتون، وهو واحد من أزقة الحي إلى جانب زقاق النخلة والدحدالة والبستان ومحمد بك، وهذا الاسم الأخير كان يطلق أحياناً على مجموع الحي نفسه.

ردم الخندق المجاور للحي في عام ١٩١١ لفتح جادة باب النيرب، إحدى أكبر جادات حلب في ذلك الوقت، فازدادت أهميته.

لقد بقي هذا الحي، كما كان، محافظاً على نشاطه التجاري حيث يعتبر مركزاً للتبادل التجاري بين المناطق الشمالية والشمالية الشرقية من القطر مع مدينة حلب، وأهالي المدينة يذكرون ذلك حتى اليوم.

أصاب الحي مؤخراً تبدلات جذرية أوجدتها مخططات مجلس المدينة التنظيمية، فزال قسم من الحي وفتحت شوارع عريضة، وبقيت أوابده التاريخية كما بقي اسمه حتى اليوم.

محلة الدباغة

يتساءل المرء مواطناً أو زائراً، عن وجود مئذنة أثرية قائمة بلا جامع جانبها، تحيط بها عشرات السيارات الصفراء اللون ومئات من الناس غير المصلين. كما يطرح السؤال نفسه عن وجود مئذنة مربعة الشكل أيوبية الطراز إلى جانب جدران جامع مجدو وبحرات عددها سبع...

إن وجود المئذنتين المذكورتين في أماكنهما هو دليل تاريخي على تطور مدينة حلب قبل حوالي سبعمائة سنة وأربعمائة سنة من الآن. وإن البحث فيهما اليوم لا يتناول طرازهما المعماري، بل سنستخلص منه مؤشرات التطور العمراني لمدينتنا القديمة، وسوف نستعرض حديث المئذنة الثانية ونترك الحديث عن الأولى، رغم أن موضعيهما مترابطان ترابطاً وثيقاً، لقد كانت حلب في العهد الأيوبي مزدهرة، وكان معمار حلب الكبير الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين، قد اهتم ببناء الجوامع والمدارس والربط - جمع رباط - والخانقوات وغيرها.

وكانت إحدى محلات حلب الهامة في عهده هي محلة الدباغة بالقرب من سوقة علي وسوقة حاتم في الطرف الشمالي الغربي. فالمدايع عادة توجد على أطراف المدن لأسباب: حاجتها إلى الجلود التي يتم شراؤها من أسواق بيع الحيوانات التي تكون في أطراف المدينة بعيداً، وقربها من المسالخ، وهذه أيضاً تكون في نهاية أطراف المدينة، وحاجتها إلى الماء بالقرب من نهر أو قناة أو بحيرة، وكذلك حاجة الدباغين من أجل جفاف الجلود إلى مساحات واسعة؛ ولا يمكن تأمينها إلا في أطراف المدينة، وأخيراً هذه ملاحظة هامة جداً، وهي الأضرار التي تخلفها المدايع بالنسبة للجوار، وخاصة الروائح الكريهة التي تنشرها.

ولما كانت الحياة الاقتصادية قد ازدهرت في حلب في العهد الأيوبي كعاصمة كبيرة في شمالي سورية، كما أن وجود بلاط وجيش كبير على استعداد دائم لمحاربة الصليبيين؛ كل ذلك أتاح بشكل خاص تطور صناعة الأسلحة وصناعة الجلود التي وجدت مجالاً حيواً لمنتجاتها. وهكذا فإن هذا القسم من المدينة بدأ بالتخصص بصناعة الجلود، ونشأ بذلك حي كامل دعي بحي الدباغة وكانت هذه التسمية الجديدة قد ظهرت كمثيلاتها من الأحياء المشابهة كحي المصابين...

من أهم معالم الحي: الجامع الذي حفظت مئذنته كما هي من القرن الثالث عشر. أما الجامع نفسه فاعتقد أنه جدد في القرن الرابع عشر، وكان يعرف باسم جامع الرومي. ولم نر مصدراً يعلل هذه التسمية. ولقد أرخ أحد القبور في الجامع بتاريخ ٨٠٧ هـ - ١٤٠٤ م، وقبر آخر بعام

٨٨٧ هـ - ١٤٨٣ م وبتاريخ ٨٠٧ هـ - ١٤٠٤ م، وقبر آخر بعام ٨٨٧ هـ - ١٤٨٣ م وإلى جانبه مسجد شمعون، ونسب إلى نبي الله - ومسجد البكفالوني في الزقاق النازل لمسجد شمعون، ويؤرخ بعام ١١٥٠ هـ - ١٧٤٢ م كما ذكرت المصادر التاريخية حمام السكر تجاه جامع الدباغة، وقد تكون خصصت للدباغين.

هذه هي محلة الدباغة عاش فيها المسلمون إلى جانب اليهود ردحاً من الزمن. كانت إحدى فعاليات المدينة الاقتصادية، وقد أصابها ما أصاب غيرها. فقد خضعت إلى تنظيم عمراني منذ الستينات حيث شقت فيها الشوارع المؤدية إلى الجامع الأموي وإلى السجن القديم، فضاعت معالمها الأيوبية القديمة؛ إلا أن المئذنة القديمة الجميلة بقيت قائمة صامدة شامخة تجاور زميلتها الأقدم منها في الجامع الأموي بالرغم من مظهر الجامع الجديد والسبع بحرات المجاورة.

أما لماذا سميت بمئذنة الدباغة العتيقة فهذا موضوع الحلقة المقبلة.

حي الدباغة الجديد أو حي باب أنطاكية

تحدثنا في مقالنا الأخير عن مئذنة بلا جامع تقف منتصبة أمام باب أنطاكية الأثري في دائرة تضم بناءً حديثاً جداً وآليات، وكل ما لا يمت بصلة إلى مبنى ديني، المئذنة هي إحدى مستلزماته الأساسية.

إن هذه المئذنة المربعة الشكل المبنية من الحجارة الكبيرة المنحوتة وحالتها جيدة ليست بالمائلة أو الناقصة، كانت للجامع عامر في محلة عامرة لعبت دوراً في التاريخ العمراني والاقتصادي لحلب القديمة قبل وخلال القرن السادس عشر وما بعده، واستمرت حتى وقت قريب جداً لا يتجاوز العقدين من السنين.

لقد سبق أن تحدثنا عن قسم من هذه المحلة التي كانت قائمة بالقرب من باب أنطاكية الأثري وإلى الغرب منه قريباً على ضفتي نهر قويق وفي المكان الذي قد تم الآن تغطيته تفادياً لأضراره بعد أن قطع الأتراك مياه النهر. قبل فترة قريبة كانت تلك المحلة جسر السلاحف والوراقة. وقد ذكرنا في حينه تاريخها وسبب تسميتها.....

واليوم نتحدث عن قسم آخر من هذه المحلة نشأ في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وعلى وجه التحديد قبل عام ١٥٧٠م بأمر من والي حلب العثماني محمد باشا المعروف أيضاً باسم إبراهيم خان زاده باني خان الجمرک. فقد أقام مجموعة عمرانية كبيرة عرفت بوقف إبراهيم خان زاده لأسباب عمرانية فرضها توسع المدينة الكبير في الفترتين الأيوبية والمملوكية وخاصة في الجهة الشمالية من الجامع الكبير في موقع السبع بحرات اليوم، حيث كان يقوم حي الدباغة والذي لم يعد بالإمكان استمرار بقائه هناك كما رأينا في المقال السابق - والذي لم يبق منه بعد فتح الشوارع الحديثة سوى جامع الدباغة العتيقة ومئذنته القائمة حتى اليوم.

وهكذا تم نقل الدباغين بأمر الوالي المذكور إلى غربي باب أنطاكية منذ عام ١٥٧٠م بالقرب من نهر قويق. وقد شيد هذا الوالي أوقافه التي عرفناها من دراسة صك الوقف الذي كتبه بتاريخ ١٥٧٤ باسم وقف إبراهيم خان زاده. وقد عرفنا من هذه الوثيقة أيضاً أن البناء الرئيسي بلغ أبعاداً كبيرة - ١٧٠ متراً طوياً و ٤٠ متراً عرضاً ومساحة تتجاوز ٧,٠ هكتاراً. بالإضافة إلى خانين، أحدهما كان يحوي أربعين مخزناً في الطابق الأرضي و ٥٥ مخزناً في الطابق العلوي و ٥٣ حانوتاً في خارجه. وقد يكون الخانان هما خان العفص وخان اللبان. يضاف إلى ذلك مسجدان

وحمامان أفرد أحدهما، وقد يكون حمام الويوضي، للدباغين. واستكملت المجموعة بخانين في جوار الدباغة ابتاعهما الواقف، وأدبجهما في الوقف. وهكذا تكامل حي الدباغة الجديد إذا صح التعبير خارج أسوار المدينة، وبقي حي الدباغة العتيق داخل الأسوار.

ذكر المؤرخ الغزي مسجداً قرب جسر الدباغة كان قائماً على النهر. ودعاه بجامع - أولاد أبي بكر - أو الضوعي - دفن فيه مؤسسه أمير حلب محمد بن الحاج أبي بكر عام ٧٤٢ هـ - ١٣٤٢ م، ونعتقد أن مئذنته هي الباقية حتى اليوم إذ إن طرازها المعماري يعود إلى تلك الفترة وقد دعي باسم حديث بجامع الحجارين، حيث كان الحجارون ينحتون بقربه شواهد القبور، وما زالوا حتى اليوم بعد إزالة الجامع.

كما ذكر الغزي مدارين ومعصرة من أوقاف إبراهيم خان زاده وعدة بساتين منها جنيئة الشيخ طه والبستان الجديد وبستان قيصر وبستان بربرونوه أن - ماء قويق يفسد جنوبي جسر باب إنطاكية، فيحمر لونه من الأصبغة، وينتن ريحه، ويتغير طعمه من روث الجلود التي تغسل فيه. ومن الطريف ما ذكره المؤرخ الكبير فقال : - من العادات أن يخرج كثير من النساء والشبان إلى بساتين جهة الدباغة يومي الأربعاء والخميس من نيسان أربعاء الزوبعة وخميس البيض، قبل الأحد الذي هو أول يوم من عيد الفصح، ومن لا يخرج لا يأمن سنته من الصداع ووجع الرأس -

ستبقى الوثائق التاريخية تشير إلى الكثير من تاريخ حلب وتوسعها العمراني الذي يهتم به الدارسون في كل أنحاء العالم.

وعلينا نحن أن ننقل إلى الأجيال القادمة تاريخ هذه المدينة العريقة متحف التاريخ والحضارة.

درب الخطابين أو زقاق خان التوتون

قد تتغير أسماء الأحياء والمحلات أكثر من مرة. تم هذا في الماضي ويتم في الحاضر. وكما نرى أيضاً في أيامنا هذه الأسباب كثيرة، أهمها تبديل جذري يجري في الحي، يفرض هذا التبديل اسماً جديداً وهكذا.

سنعرض في حديثنا اليوم لمحلة من محلات حلب القديمة لا تزال قائمة، تبدل اسمها خلال تاريخها الطويل أكثر من مرة.

في حي الجلوم الكبير وفي قسم منه مجاور لأسواق المدينة وعلى الضبط في الجزء الملاصق لسوق البهرمية يقوم درب الخطابين. ويقصد بالدرب قديماً: المحلة الصغيرة وهي أصغر من الخط الذي يعني محلة واسعة. وفي حلب عشرات الدروب سنبحثها.

لم تذكر المصادر التاريخية سبباً لتسمية درب الخطابين وكل ما نعرفه أن هذه التسمية لهذا الدرب كانت موجودة حتى عام ٥١٨ هـ - ١١٢٤ م ففي تلك السنة هاجم الصليبيون الفرنجة حلب بقصد احتلالها؛ وأمام فشلهم الذريع لقوة أبوابها وأسوارها المنيعة؛ قاموا بأعمال وحشية. ولجؤوا إلى نبش قبور أئمة رجال الدين، مما اضطر قاضي حلب أبا الحسن بن الخشاب إلى تحويل كنيسة في هذا الدرب إلى مسجد. وفي عام ٥٤٥ هـ - ١١٥٠ م أحال عز الدين ابن عبد الملك المقدم المسجد إلى مدرسة، فأضاف إلى البناء داراً كانت بجانبه. وانتهى البناء عام ٥٦٤ هـ - ١١٦٨ م، وعرف بالمدرسة المقدمية وكان بناؤها هاماً حتى إن المدرسة الشرفية - مكتبة الأوقاف حالياً - بنيت على شاكلته. تولى إمامة المدرسة المقدمية عدد من مشاهير الأئمة، ومنهم محمد بن أبي جرادة المعروف بابن العليم، وبقي عليها إلى أن قتل لدى استيلاء التتر على حلب ٦٥٩ هـ - ١٢٦٠ م.

أنشأ عبد الملك بن المقدم خانقاه المقدمية في الفترة نفسها في عهد الملك العادل محمود بن زنكي. وهي دائرة الآن ويعتقد المؤرخ الطباخ أنها كانت في الجانب الشرقي من المدرسة القائمة حتى اليوم عدا بعض الغرف المتهدمة.

استمر درب الخطابين قائماً إلى أن جاء حكم المماليك، فاهتموا بهذا الدرب وبني في رأسه من جهة الشرق مسجد معلق أنشأه جعفر بن مزاحم، وجدده يوسف بن أحمد عام ٧٣٩ هـ -

١٣٣٨ م. غير أن كافل قلعة حلب الأمير ناصر الدين محمد بن سلار، وكان مقدماً عند السلطان المملوكي الظاهر سيف الدين برقوق الذي حكم في القاهرة بين عامي ٧٨٤ و ٧٩٢ هـ — أي ١٣٨٢ و ١٣٨٩ م اختار هذا الدرب لينشئ فيه داراً عظيمة لسكنائه. وكذلك فعل مملوكه أسنبغا. عندئذ تبدل اسم الدرب وأطلق عليه درب ابن سلار ونسي الناس درب الخطابين.

وفي العهد العثماني وفي القرن الثامن عشر، حين تكاملت أسواق المدينة، وازدادت أهميتها الاقتصادية بني مدار لطحن البرغل والحبوب في رأس الدرب. فأخذ الدرب اسماً جديداً، ودعي بدرب المدار وضاع اسم درب ابن سلار في غياهب التاريخ، إلى أن بنى خان التوتون الحالي في سوق البهرمية - والخان أهم من المدار في الحياة الاقتصادية - فغاب اسم - درب المدار - ليحل محله اسم زقاق خان التوتون. وبقي إلى يومنا هذا..

إن الدرب أي الزقاق لا يزال موجوداً والمدرسة المقدمية قائمة يفتش عنها الدارسون والزائرون. أمّا ما عدا ذلك فقد ضاع أثره؛ ومع ذلك فالتاريخ لا يزال يذكر أسماء هذا الدرب العريق الذي يرقى إلى القرن الثاني عشر، عهد الزنكيين ونور الدين محمود الشهيد ويؤرخ جزءاً من حي الجلوم العريق. ولنا عودة للحديث عن دروب أخرى.

زقاق الزهراوي

ما زلنا نسير على دروب مدينة حلب القديمة العريقة في القدم والتي لا تزال تمسك خيوط تاريخها الطويل بدءاً من الألف الثالث قبل الميلاد، أي خلال خمسة آلاف سنة من عمر الزمن.

إن أي باحث في تطور مدينة حلب القديمة لا يستطيع أن يحدد فترة زمنية في أي جزء من أجزاء المدينة، كما يجري ذلك في موقع تاريخي وأثري مثل إيبلا وغيرها. ذلك أن مدينة حلب ككل المدن القديمة القائمة اليوم - كائن حي - ينمو ويتطور باستمرار ويحتفظ في كل مرحلة من مراحل نموه بشاهد يشهد على تطوره قد يكون بناء أو جزءاً من بناء، وقد يكون الاسم فقط والاسم لا يحفظ تاريخ الموقع فحسب، بل وتطوره عبر التاريخ..

موضوعنا اليوم يتناول هذه الناحية الأخيرة إذ سنتحدث عن محلة من محلات حلب لا تزال تحتفظ باسمها التاريخي القديم، وبعض الأوابد القليلة.

إن زقاق الزهراوي الموجود شمالي أسواق المدينة القديمة، ويشكل امتداداً لها، هو اليوم زقاق حديث، بل هو شارع حديث فيه كل ما هو جديد من محلات ومباني وواجهات، حتى إن جامعہ القديم قد أصبح جديداً تماماً، ويقوم في الطابق الأول، ولا يدل مظهره الخارجي على وجوده. إنما يتخلل أبنية هذا الزقاق بعض الدور القديمة والقليلة جداً، والتي لم تعد تستعمل للسكن، بل هي ورشات ومستودعات.

عرف زقاق الزهراوي قديماً باسم - درب البازيار - نسبة إلى أحمد بن نصر بن حسين البازيار المتوفى سنة ٣٥٢ هـ - ٩٦٣ م وكان من حاشية أمير حلب الكبير سيف الدولة الحمداني ونديمه. ذكر مؤرخ حلب الشيخ راغب الطباخ في كتابه إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء - أن سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز قد أقاما في هذا الدرب. اهتم به معمار حلب الكبير الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي، فأوصل إليه مياه قناة حيلان، وفي بداية القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي. ذكر المؤرخ ابن شداد المتوفى ٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م فيه مسجداً معلقاً.

يعود المؤرخ الطباخ ليذكر أن هذا الدرب كان مليئاً بالمدارس والخانقاوات. وهي كما يلي:
المدرسة البدرية التي أنشأها بدر الدين عتيق عماد الدين شادي بن الملك صلاح الدين الأيوبي
وذكرها المؤرخ ابن شداد أيضاً.

المدرسة الرواحية أنشأها أبو القسم هبة الله بن عبد الواحد بن رواحة المتوفى سنة ٦٢٢ هـ - ١٢٢٥ م
وخانقاه الشمسية أنشأها أحمد شمس الدين أحمد أبو بكر المتوفى سنة ٦٣١ هـ - ١٢٣٣ م،
وخانقاه الخادم التي خصصت للنساء مع دار ملحقة بها لا نعرف إلى من نسبت، وخانقاه أخرى
لم يذكر المؤرخون من بناها.

يؤكد المؤرخ الطباخ أن هذه المدارس والخانقاوات قد دثرت منذ زمن طويل، إلا أنه رأى أبوها
ذات الأحجار الثلاثة السوداء لكل منها، وذكرنا سابقاً أن استعمال الحجارة السوداء من
البازالت، كسكف للباب وجانيه، يدل على أهمية البناء...

بقي هذا الدرب عامراً فذكر فيه خلال العهد العثماني، مسجد من آثار بني زهير ولم تذكر
المصادر من هم بنو زهير هؤلاء وقد يكونون قد أعطوا اسمهم للدرب، فدعي بدرب أو زقاق
الزهرابي وكان مسجدهم مخصصاً لتعليم الأطفال في بعض أقسامه.

كما ذكر فيه سبيل وقسطل يقعان في بدء الزقاق من الجهة الجنوبية وقد حدثنا الرجال القدماء
أن الزقاق كان مسدوداً إلا أنه فتح من جهته الشمالية فمنه يمكن النفوذ إلى محلة السويقة يميناً
وإلى محلة بحسيتا يساراً. وكان يشار إليه على أنه يقع إلى الشمال من المدرسة الشرفية التي لعبت
دوراً في تاريخ حلب العلمي. ولا تزال ببعض أقسامها قائمة إلى اليوم، وتعرف حالياً باسم
مكتبة الأوقاف.

إن الزائر لزقاق الزهرابي - هذا اسمه دائماً، وسيبقى - لابد له أن يعرف أنه يسير في درب ابن
البازيار، حيث سكن خليفتان أمويان، وأن عمره يعود إلى ألف سنة ونيف مضت، وأن
الورشات الكثيرة العاملة فيه والتي تصدر ما تنتجه من ألبسة جاهزة بالدرجة الأولى محلياً وعربياً
ودولياً لن تغير من اسمه التاريخي العريق.

محلة : بوابة القصب

إن المتجول في أحياء وأزقة وبوابات حلب القديمة يظن لأول وهلة أن هذه المدينة قد بنيت عشوائياً بدون تخطيط عمراني مدروس. إنه في هذه الحالة لا يعرف تخطيط هذه المدينة العريقة المنظم على أسس عالية مدروسة، وأن هذا التخطيط لا يزال موضع دراسات واسعة وأبحاث مستفيضة تعقد من أجلها المؤتمرات والندوات. والأهم من هذا أن النظريات الحديثة في تخطيط المدن تعود إلى تخطيط مدينة حلب الواضح وأن بعضها نال جوائز دولية هامة. وسنعود يوماً إلى دراسة هذا في مجال آخر.

إننا نتحدث عن الواقع في مدينة حلب. فقد كتبنا عن بعض الأحياء والأزقة أو الدروب، ونكتب الآن عن البوابات. فالأبواب عامة لها دور كبير في مدينة حلب القديمة : أبواب المدينة والأحياء والحارات والأسواق والخانات وغير ذلك.. بعضها كبير صنع لمدينة. وهو بمثابة قلعة حصينة مثل باب قنسرين، وبعضها صغير لجزء من حي، وآخر صغير جداً ندعوه بوابة. إذاً الأبواب شيء هام في مدينة حلب، حين كان كل شيء صنع للإنسان وحده.

أما اليوم فقد صنع كل شيء للسيارة، هذا الوافد الجديد الذي فرض سيطرته على كل شيء، وبدله تبديلاً.

في الحي عادة يوجد أكثر من محلة وفي المحلة أكثر من زقاق وفي الزقاق الواحد أو الدرب يوجد أكثر من بوابة وهذه زقاق ضيق لا منفذ له يضم منزلاً واحداً أو عدة منازل تغلق بالباب خلال الليل، فتعزل عما حولها وعادة ما يقيم في البوابة أقرباء.

حديثنا اليوم عن بوابة القصب وكان لها باب، وتضم عدة منازل. ولا نعرف حتى اليوم سبب التسمية. وربما كانت مركزاً لبيع القصب، أو صنع الخيوط المقصبة لاستعمالها في النسيج أو غير ذلك... بنيت خارج أسوار مدينة حلب القديمة في حي الجديدة. اشتهرت بكونها تقع في حضرة قبر السهروردي فيلسوف حلب المعروف الكائن في مسجده. ويشكلان؛ القبر والمسجد قسماً من مبنى شرطة النجدة حالياً أو دائرة البرق والبريد سابقاً والتي بنيت عام ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م. كما اشتهرت بوابة القصب بقرىها من سوار المدينة وبرج الثعابين الذي هدم في العهد العثماني عام ١٣٠٣ هـ - ١٨٨٥ ونقلت حجارته لإكمال بناء الرباط العسكري - مركز التدريب الثاني اليوم - وكان الهدف من هدمه فتح الجادة العظمى - آنذاك - أي جادة الخندق اليوم الممتدة

من باب الحديد حتى باب الفرع. وقد بني فوق أنقاض البرج دكاكين باب الفرع، وبالأخص الدكان المعروفة بدكان الأفندي لبيع المرطبات والمثلجات. ومن غريب الصدف أن تقدم هذه المخازن مؤخراً في عام ١٩٨٠ م لينفذ مشروع باب الفرع، ويعود برج الثعابين أو ما تبقى منه إلى الظهور ثانية إلى جانب السور والسور الفصيل.

لقد لعبت بوابة القصب دوراً في تاريخ المدينة فقد كانت فيها دور جميلة كان بعضها مقراً لمختلف المطرانيات، وبعضها مدارس لطائفة الروم الكاثوليك منها واحدة أسسها المطران كيرلس جحا عام ١٣٠٤ هـ - ١٨٨٦ م على اسم القديس نقولا لتعليم العلوم الحديثة واللغة العربية. وكان فيها أربعمئة تلميذ منهم سبعون تلميذاً مسلماً.

كانت بوابة القصب آخر عمران مدينة حلب القديمة فلم يكن خارجها من عمران سوى التكية المولوية بجانب المتحف الوطني حالياً حتى عام ١٣٠١ هـ - ١٨٨٣ م في هذه السنة بنى جميل باشا والي حلب داره فوق التربة الدقماقية - ثانوية معاوية التخصصية حالياً، ودعيت المحلة بالجميلية نسبة إليه.

ومنذ عام ١٩٢٥ م وبعد أن ظهرت محلة بستان كل آب التي أنشئت لاستقبال السيارة وما جاءت به من تبديل وتغيير، بدأت تظهر في بوابة القصب المحلات التجارية. وأول من أنشأها عبد الإله العلمي متولي وقف جامع البهرمية الذي أنشأ ثلاثة دكاكين في عام ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م وحذا الآخرون حذوه. لقد بقيت تسمية بوابة القصب حتى اليوم، إلا أن المحلة تغيرت تغييراً جذرياً. وأصبحت اليوم من المراكز التجارية، و لكن هذا لن يغير التاريخ.

درب البنات أو بوابة خان القاضي

في علم الآثار يدل الجزء الصغير المكتشف من بناء، دلالة كبيرة على البناء كله. والمؤرخ الذي يفتش عن الوثيقة قد يفيد النص الصغير وحتى الكلمة الواحدة. فكيف الأمر إذا وضعنا عالم الآثار أمام البناء كله، ووضعنا أمام المؤرخ الوثائق كلها كاملة واضحة.

إن المدارس لتاريخ مدينة حلب القديمة يقرأ في كتاب مفتوح، ويرى أوابد هذه المدينة العريقة قائمة كاملة تملأ الدنيا عليه أينما وجه نظره.

في بحثي عن الدروب، دروب هذه المدينة الخالدة، قرأت عن درب البنات فتبين لي أنه من دروب حلب. عُرف في القرن الثالث الهجري - التاسع الميلادي. أي أنه وجد قبل أكثر من ألف ومائة عام، وهو موجود فعلاً يسكن الناس دوره ويسرون في منعطفاته، ويصلون في جامعهم. ولكنهم للأسف لا يعرفون اسمه قد أطلقوا عليه اسم - بوابة خان القاضي - لأن الخان مركز تجاري له أثره في حياتهم، ومن الطبيعي أن يطغى على الاسم التاريخي القديم. لقد نسوا درب البنات الذي كان يضم قصراً كبيراً يعرف بأم ولد اسمها (بنات) كانت لعبد الرحمن بن عبد الملك الهاشمي وهي أم ولده داود، فعرف الدرب باسمها. وحين وضع سيما الطويل نائب حلب من قبل الخليفة العباسي المعتمد باباً على جسر أنطاكية، كان هذا الباب الحديدي من القصر نفسه أخذه في عام ٢٥٨ هـ - ٨٧١ م.

وفي عام ٤٥٢ هـ - ١٠٦٠ م حين قام الصراع على حلب بين أعضاء الحكام المرداسيين، استطاع معز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس أن يهاجم حلب ليطرده ابن أخيه محمود منها، وأن يصل إلى درب البنات. وكان هذا نصراً.

درب البنات هو أحد أقسام حي الجلولم العريق لا يزال قائماً يلاصق مبنى بیمارستان الأرغوني من شماليه، ويقع أمام باب خان القاضي. وهو زقاق غير نافذ، لا يزال على حاله القديم بتعرجاته ومنعطفاته ودوره الجميلة. وقد ذكر المؤرخ ابن شداد أن خانقاه للنساء أنشأها فيه زمرد خاتون وأختها بنتا حسام الدين لاجين وأمهما أخت صلاح الدين الأيوبي. وقد دثر، إلا أن مسجد بني شنفس أو سنقر كما تذكره المصادر لا يزال موجوداً إلى اليوم، وإن كان المصلون لا يذكرون اسمه فهم يعرفونه باسم محلته فقط.

لقد اهتم الملك الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين الأيوبي بإيصال مياه قناة حيلان إلى الدرب المذكور عبر باب قنسرين وبرج الغنم.

وفي عام ٧٨٠ هـ - ١٣٧٨ م ولي كمال الدين المعري للمرة الثانية قضاء حلب حتى عام ٧٨٣ هـ - ١٣٨١ م فتوفي، ودفن في داره في درب البنات. ثم نقلت رفاتة إلى مقبرة الفردوس فيما بعد، لقد اهتم هذا القاضي بهذا الدرب، وعمل على بناء - خان القاضي - وستحدث عن هذا الخان فيما بعد.

إن المتجول في درب البنات أو بوابة خان القاضي كما هو اسمه اليوم كما تجول المؤرخ الطباخ والمؤرخ الغزي قبل سبعين عاماً، يحاول التفتيش عن قصر بنات أم داود، كما يفتش عن خانقاه النساء التي بنتها أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي فلا يراها. إلا أن مسجد بني سنقر لا يزال قائماً. ولا تزال الدور القديمة قائمة، وإن تغيرت بعض معالمها قليلاً. وإنه في كل حال يشم عبق التاريخ، ويستشف رؤى الماضي البعيد البعيد.

إن خان القاضي المقابل للدرب قد بني بعد ألف سنة منه ليكون أمام هذا الدرب القديم وفي حضرته. كما أن البيمارستان الأرغوني الملاصق له، والذي بني في ١٤٥٣ م ليكون ذكرى للخانقاه الأيوبي. الخان والبيمارستان شاهدان على قدم الموقع. لكن الدرب أقدم بكثير.

اليوم، وما دام مجلس مدينة حلب يطلق الأسماء على الشوارع والأزقة والدروب هل يعيد لهذا الدرب العريق اسمه وتاريخه... ؟ من يدري ؟ !!!

درب بني الخشاب أو زقاق الفرن

كانت الأحياء والأزقة والدروب تسمى كما هي اليوم، في حلب وفي كل مكان في العالم، نسبة إلى مكان بارز هام له أثر في الحي، أو إلى شخصية تاريخية هامة لعبت دوراً مفيداً في الحي أو الزقاق نفسه. وتبقى التسمية، ولا تتغير أبداً إلا لظروف طارئة وهامة جداً ونادرة جداً، حتى إن إزالة الحي نفسه لا تستدعي إزالة الاسم، إذ يبقى الاسم تاريخاً للحي الجديد يدل على القدم. إن تغيير الاسم لا يتم بسبب نزوة أو تجديد - موضة - أو رغبة مهما كانت، فالتاريخ شيء مقدس. وأذكر أن زعيم الهند الراحل المهاتما غاندي رفض حذف وتغيير الأسماء التي أطلقها المستعمرون الإنكليز في بلاده. وأكد أن هذه التسميات هي جزء من تاريخ الهند. وأن ملكة مصر الشهيرة حين استلمت الحكم حذفت، وغيرت بعض الأسماء والتاريخ. ولكن حتى اليوم تذكر الأسماء السابقة، وإن التسميات الجديدة مهما كانت، يمكن أن تطلق على مواقع جديدة وتبقى التسميات القديمة ملكاً للأجيال القادمة وللتاريخ وللعبارة والعظة والتوجيه.

من دروب حلب القديمة في حي الجلوم، وحي الجلوم من الأحياء الكبيرة والعريقة، درب بني الخشاب. بنو الخشاب من الأسر الكبيرة القديمة في حلب عرفوا منذ حوالي ثمانمائة عام وسكنوا هذا الدرب ومنهم المؤرخ والإمام والقاضي؛ وتذكرهم المصادر التاريخية. منهم على سبيل المثال الحسن بن طاهر الخشاب المتوفى سنة ٦٤٨ هـ - ١٢٥٠ م الذي عمر المسجد الأصفر والذي لا يزال قائماً حتى اليوم. والقاضي ابن الخشاب وقف بوجه الغزو الصليبي لحلب وردة؛ وأعماله معروفة. وإلى جانبهم مسكن في الدرب نفسه عبد الله مشكور الحلبي ناظر الجيش المتوفى سنة ٧٧٨ هـ - ١٣٧٦ م، والذي عرف بأعماله العمرانية؛ منها جر المياه إلى الجامع الناصري وبناء جامع باب قنسرين واهتمامه بالسجناء وغير ذلك، حتى إن بعض المصادر تذكر مدرسة بني العجمي التي بنيت عام ٥١٦ هـ - ١١٢٢ م، كانت بين هذا الدرب ودرب الزجاجين المجاورة.

وقد ذكر المؤرخ أبو ذر المتوفى سنة ٨٨٤ هـ ١٤٧٩ م وجود بيوت بني الخشاب ومسجد ابن مشكور والتربة الخشائية والفرن الأصفر. وأكد المؤرخ الطباخ في كتابه إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء الذي أعيد طبعه مؤخراً، أن الشيخ مصطفى بن الشيخ إبراهيم الهلالي الدرعزاني الخلوي المتوفى عام ١٣٣٧ هـ - ١٩١٨ م قد عمر في الدرب المذكور في عام ١٣١٥ هـ -

١٨٩٧ م زاوية، وترك فيها بعض القبور القديمة لبني الخشاب وأصبح يقيم الذكر فيها مساء كل يوم جمعة بعد أن كان يقيمه في المسجد الأصفر والذي لم يعد يستوعب أتباعه الذين زادوا. الدرب قائم حتى اليوم ضمن حي الجلوم والزاوية الهلالية بقاعتها الكبيرة. وأماكن الخلوة فيها قائمة إلى الآن أيضاً بالقرب من الدرب، يقام فيها الذكر كما كان بعد عصر كل يوم جمعة. وقبور بني الخشاب ما زال بعضها موجود منذ عام ٦٣٣ هـ - ١٢٣٥ م.

حتى القرن الأصفر لا يزال موجوداً، ولا يزال الجيل القديم يذكر اسمه كما كان، وقد لا يعرف الاسم العدد الكبير من الجيل الجديد.

لقد أصبحت التسميات حديثة تطلق على الدرب ولا تمت إلى القديم بصلة تارة؛ يطلق على الدرب اسم زقاق الفرن وأخرى الجلوم عامة - وفي أحسن الحالات اسم الزاوية. حتى اسم زقاق أبي الدرجين الذي ذكره المؤرخ أبو ذر أيضاً لم يعد معروفاً إلا للبعض من الجيل القديم.

إن تسمية درب بني الخشاب التي نعيدها اليوم إلى هذا الحي القديم قد تكون للذكرى وللدراسة والبحث و للتعريف بتاريخ مدينة حلب القديمة. وقد تكون تذكراً للذين يطلقون الآن التسميات مجدداً على شوارع المدينة وأحيائها. فيعملون على إحياء مجد تليد وتاريخ عريق.

درب بني الديلم

حين دشنت دار الحكومة - التي بنيت في عهد الانتداب الفرنسي - في أوائل الأربعينات مقرأً رسمياً للمحافظة، ثم بني فيما بعد قصر العدل وملحقه؛ لم تكن الأفكار حول الحفاظ على المدينة القديمة قد نضجت كما هي اليوم، إذ لم يدرس بناء دار الحكومة وقصر العدل أن هذه الأبنية الرسمية ستفرض على الآلاف من السكان والغرباء التوجه إليها كل يوم من الصباح وحتى انتهاء الدوام الرسمي ولتسهيل وصول هؤلاء الآلاف، ولتيسير السيارة التي نخط لها الشوارع والطرق في كل مكان، اضطرت الدولة إلى شق الشوارع عبر المدينة القديمة وتقسيمها وإقامة الأبنية العالية ذات الضرر البالغ على البنية التقليدية والنسيج العمراني للمدينة القديمة.

لقد شق الشارع الأول في جسم المدينة القديمة في عام ١٩٥٦ م ليؤمن الاتصال بواسطة السيارة بين الجامع الأموي وبين القلعة وبالتالي إلى دار الحكومة وقصر العدل، فهدمت عشرات الدور والمساجد والجوامع والأضرحة والأسواق والقيصريات والحمامات والمدارس. ولا تزال آثار هذا العمل التهديمي ماثلة إلى الآن في الجزء الشمالي من خان الوزير، والذي يجري ترميمه الآن، وفي البناء العالي الحديث الذي قام على الجزء الشمالي من خان الصابون - خان أزدمر - المملوكي، وفي البناء العالي الذي قام على أنقاض حمام الواساني أقدم حمامات حلب. ومن المعروف أن المدرسة العسرونية أقدم وأهم مدارس حلب قد هدمت أيضاً. وقام محلها ببناء عال يطل على خان الوزير من الناحية الشرقية. كما هدم جزء كبير من بناء المطبخ العجمي، أقدم قصور حلب من القرن الثاني عشر، وشوهت واجهته الجنوبية، ووضع له الباب الحالي من القرن السابع عشر، والذي لا يمت إلى تاريخ البناء بصلة.

لقد هدم في هذا الشارع، درب بني الديلم موضوع حديثنا اليوم - والذي كان يمتد من باب الجامع الكبير الشرقي إلى عقبة الياسمين وكان من أهم مبانيه المدرسة الشرفية الحالية. وقد ذكر المؤرخ أبو ذر المتوفى سنة ٨٨٤ هـ - ١٤٧٩ م هذا الدرب، وأضاف أن الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي قد أجرى قناة حلب لتصل إليه.

لقد نسب هذا الدرب إلى بني الديلم. وبلاد الديلم كما هو معروف بالقرب من أذربيجان - وربما نزحوا من بلادهم إلى حلب في يوم ما. لقد كانوا من أشجع أهالي حلب أوكلت إليهم مهمة حماية قلعة حلب في العهد الحمداني. وحين هاجمها إمبراطور البيزنطيين نقفور فوكاس في

عهد سيف الدولة الحمداني عام ٥٣١ هـ - ٩٦٢ م. يذكر المؤرخ الحلبي المعروف ابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ هـ - ١٢٦١ م في كتابه زبدة الحلب في تاريخ حلب عن حصار البيزنطيين لحلب ما يلي ((... فمضى رجال الشرط وعوام الناس إلى منازل الناس وخانات التجار لينهبوها. فاشتغل شيوخ البلد عن حفظ السور، ولحقوا منازلهم فرأى الروم السور خالياً فتجاسروا. ونصبوا السلاالم على السور. وهدموا بعض الأبدان، ودخلوا المدينة...)) ويتابع ابن العديم ((... فقتل الدمستق - إمبراطور الروم - معظم الرجال، ولم يسلم منه إلا من اعتصم بالقلعة.. ولم يكن على القلعة يومئذ سور عامر فإنها كانت قد تهدمت... وكانت بها جماعة من الديلم الذين ينسب إليهم درب الديلم بحلب فزحف إليها ابن أخت الملك، فرماه ديلمي فقتله...)).

سكن هذا الدرب العريق قاضي حلب شهاب الدين أحمد المتوفى ٨٠٥ هـ - ١٤٠٢ م وعمر بن محمد البصير المتوفى سنة ١١٣٧ هـ - ١٧٢٤ م - وكان أستاذاً للشيخ عمر بن شاهين الرفاعي أحد أجداد أبي الوفا الرفاعي المعروف. كما سكنه بنو الترجمان أيضاً.

نتساءل اليوم ما ضرنا اليوم لو أعدنا الاسم التاريخي للشارع الجديد بدلاً من أن نطلق عليه أسماء كثيرة لا تمت إلى الماضي بصلة، فنعمل على إحياء تاريخ حلب العريق، ونجعله موضوعاً للدراسة، وعبرة وذكرى...

درب الزجاجين من دروب حي الجلوم

لا يمكننا الفصل بين تطور مدينة حلب القديمة العمراني وبين تطورها الاقتصادي وخاصة في التجارة والصناعة. ولقد ذكر الباحثون أهمية موقع المدينة على الطرق التجارية الدولية القديمة بين الصين في أقصى الشرق، وأوروبا في أقصى الغرب عبر طريق الحرير. كما ذكروا اهتمام الحلبيين بالتجارة وبراعتهم فيها منذ أقدم العصور حتى قيل - أخرج حلب وصل إلى الهند -.

ولكن الذي لم يذكره الباحثون هو أن التاجر الحلبي ليس وسيطاً تجارياً فقط بل كان يحمل المصنوعات الحلبية إلى جانب المواد التي يتاجر بها. فقد اشتهرت حلب بالصناعات النسيجية والدباغة والخزف والأسلحة والزجاج، وقد عرف الزجاج الحلبي في أطراف العالم؛ حيث وصل التجار الحلبيون إلى الهند والبحر الأسود وإيطاليا وجنوب فرنسا. وسنعرض لكل ذلك في أبحاث مقبلة.

إن دراسة أسماء الأحياء القديمة تاريخياً يبين لنا انتشار الصناعة في حلب فقد كان لكل أبناء حرفة حي وسوق خاصة بهم كما كان اجتماعهم يشبه النقابة اليوم، يرأسهم شيخ المهنة أو شيخ السوق، ويشرف عليهم من قبل الدولة، العريف في العصر المملوكي.

لقد كان في حلب القديمة أكثر من مكان لصناعة الزجاج، وأكثر من بناء حمل اسم الزجاجين وهكذا..

من أقدم أماكن صناعة الزجاج في المدينة القديمة درب عرف باسم درب الزجاجين فيه أفران الزجاج التي كانت تنتج الزجاج الحلبي الذي طارت شهرته، وامتدت إلى دمشق حيث نشأت فيها صناعة الزجاج أيضاً.

يقع درب الزجاجين بين خان الشيباني - مستودع إدارة حصر التبغ سابقاً، ومركز الفنون حالياً - وخان صولا في محلة الجلوم الكبرى، ويعتبر من الدروب القديمة في حلب. وأقدم معلوماتنا عنه تعود إلى أكثر من ثمانمائة عام من اليوم. بنيت فيه المدرسة الزجاجية، وهي أول مدرسة بنيت في حلب بعد أن كانت قاعات الصلاة والزوايا في الجوامع والمساجد أماكن لتدريس الأولاد والصبيان. بنى المدرسة الزجاجية صاحب حلب في الفترة الأرتقية بدر الدين أبو الربيع سليمان بن عبد الجبار بن أرتق في عام ٥١٦ هـ - ١١٢٢ م، وجعلها على شاكلة المدارس النظامية

التي بناها الوزير نظام الملك في بغداد، والتي عرفت في التاريخ بالمدارس النظامية نسبة إليه. وقد عرفت المدرسة المذكورة بمدرسة بني العجمي، حيث درّس فيها شرف الدين بن العجمي المتوفى سنة ٥٦١ هـ - ١١٦٥ م.

كما بنى في الدرب المذكور أحمد بن عبد الرحمن القصري مسجداً صغيراً في عام ٥٥١ هـ ١١٥٦ م لا يزال قائماً بجانب خان الطاف من الجهة الغربية وتذكر الكتابة فوق الباب أنه عُمر في عهد محمد بن أيوب خليل أمير المؤمنين.

لقد كان لصناع الزجاج في الدرب نفسه حمام خاص، فقد ذكر المؤرخ أبو ذر المتوفى سنة ٨٨٤ هـ - ١٤٧٩ م وجود حمام الزجاجين.

لقد دثرت المدرسة الزجاجية، وبني في مكانها خان الطاف الحالي الذي بناه أحمد موتياب باشا بن مطاف أمير الأمراء بحلب والذي توفي عام ١٠٠٨ هـ - ١٥٩٩ م. ويذكر الطباخ أنه بني ببعض أحجار المدرسة الدائرة، ولقد خصصت زوجة موتياب همايون خاتون الأوقاف العديدة للخان بوقفها المؤرخ في ٩٩٢ هـ - ١٥٨٤ م، وفعل الشيء نفسه زوجها بصك وقفه المؤرخ في ١٠٠٤ هـ - ١٥٩٥ م.

يظهر أن درب الزجاجين قد وسع فيما بعد فأخذ شكله الحالي، حيث يذكره المؤرخ الحلبي المعروف الشيخ كامل الغزي باسم الجادة الكبرى أمام خان الشيباني.

إن القليل النادر اليوم يعرف تسمية درب الزجاجين إذ طغى اسم الجلوم الكبرى واسم خان الطاف وضاع اسم الدرب في غياهب التاريخ حتى إن الجامع الصغير الذي بناه القصري قبل أكثر من ثمانمائة عام يعرف باسم خان الطاف، ولا يفكر أحد الداخلين إليه أن يقرأ اللوحة الحجرية التي تخلد القصري ومحمد بن أيوب خليل أمير المؤمنين والقائمة فوق باب الجامع اليوم وهي تعتبر من أقدم النصوص التاريخية في مدينة حلب القديمة.

حي الرضائية في منطقة ميسلون

نحن نعيش التاريخ في تقاليدنا وعاداتنا وأسمائنا وفي بيوتنا التقليدية الرائعة وفي كل ناحية من نواحي حياتنا. التاريخ هو كل شيء في حياتنا ولولاه لما كان الحاضر ولا جاء المستقبل.

نحن نذكر تاريخ حلب كل يوم في تردادنا لأسماء الأحياء القديمة والتي لا يزال بعضها موجوداً. والسويل لمن يطمسها. إذ يطمس تاريخاً عريقاً وهو في الواقع لا يستطيع. فالكثيرون يتمسكون بتاريخ بلدهم والدارس لتاريخ هذا البلد لا تعوزه الوثائق المتوفرة في كل زمان ومكان..

قبل ستمائة عام ونيف وفي فترة. قامت الدولة الرضائية التي أسسها في الأناضول أحمد بن رمضان وهو من سلالة الأمراء التركمان وأصلهم من بلاد خوارزم. وقد حاربه في عام ٧٨٥ هـ - ١٣٨٣ م نائب حلب يلبغا الناصري لخروجه على طاعة السلطان.

فقد أنشأ أحد أمراء هذه الدولة مدرسة في حلب عرفت باسم المدرسة الرضائية؛ المعروف أننا لا نعرف الكثير عن هذه المدرسة سوى أنها هدمت بعد انقراض الدولة الرضائية، عام ٧٩٠ هـ - ١٣٨٨ م ونقل محرابها إلى جامع قسطل الحرمي وليس الحرامي - في عام ١١٣٣ هـ - ١٧٤٠ م كما نقلت منارتها إلى تكية الشيخ أبو بكر الوفاي - وأصبحت أرضها من جملة بستان كان موجوداً غربي المستشفى العسكري. وعرف بستان الرضائية، وليس كرم الكسمة كما يقال له اليوم.

وفي عام ٨٩٠ هـ - ١٤٨٥ م بنى برد بك - الذي أوصل قناة حلب إلى جامع قسطل الحرمي، وعرفت باسمه - قسطل الرضائية. وأجرى له مياه القناة من فرع تكية بابا بيرم - هدمت مؤخراً وكانت تقوم أمام مدرسة حمدي المؤذن الحالية ويظهر أن جرها لم يكن شرعياً، فقد سدت في عام ١٢٧٥ هـ - ١٨٥٨ م بحجة شرعية صادرة عن المحكمة الشرعية بحلب.

وقد بقي هذا القسطل حتى أوائل القرن العشرين، حيث يصفه المؤرخ الغزي فيقول : - فيه عواميد صغيرة، وله إطارات محفورة وشعارات ومكتوبات.. - وقد نقل القسطل، وبني في أرض سوق الأحد، ومكانها اليوم حديقة ميسلون. ثم هدم ثانية، ونقلت بقاياها لتنضم إلى الأنقاض المتراكمة في مستودعات المتحف الوطني بحلب حسبما ذكره الدكتور أسعد طلس في كتابه الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب.

و حين جاء إبراهيم باشا المصري إلى سورية في عام ١٨٣٠ م وأعجب بمحلة الرضائية بني
مستشفاه - المستشفى العسكري سابقاً - غربي تكية الشيخ أبي بكر الوفاي في المحلة المذكورة
ويصفه المؤرخ الشيخ كامل الغزي بأنه أعظم مستشفيات سورية بسعته وكثرة غرفه وخلواته
وبستانه وحسن موقعه ولطف مناظره.. - ويضيف - أن غرفه زادت خلال الحرب العالمية الأولى
عام ١٩١٤ - ١٩١٨ م - كما يذكر أيضاً وله في جهته الجنوبية حمام ذكره المؤرخ الطباخ باسم
الحسنة خانة نسبة إلى كلمة مستشفى باللغة التركية - كان يفتح أبوابه في بعض الأحيان للناس
غير العسكر - وأنه من الأهمية بمكان أن نذكر أن المؤرخ الغزي وقد أرخ لمدينة حلب في بداية
القرن العشرين، وهو مرجعنا الرئيسي قد قال : - إن أسطحه المستشفى مفروشة بالقرميد الذي
كان يصنع في معمل مبني في شماله. وقد رفع وفرش بدله بنوع من الصفيح ومعنى كلام المؤرخ
الغزي أن معملاً للقرميد الذي يستعمل في غطاء سقوف الأبنية كان موجوداً في محلة الرضائية
أيضاً. واليوم يهدم المستشفى العسكري شيئاً فشيئاً، وتزداد الأبنية الحديثة حوله.

وبعد، ألا يحق لنا أن نؤكد أننا نعيش التاريخ كل يوم. إذ إن حي الرضائية وقد أصبح حياً
حديثاً تماماً وما بقي من آثاره القديمة في طريق الزوال بعد أن أهملت تكية الشيخ أبي بكر التي
تحمل منارة المدرسة الرضائية، وبعد أن تم هدم المستشفى العسكري. ومع هذا كله فلا يزال
اسم الرضائية موجوداً، ولا ندري ما مصيره مع التسميات الحديثة لشوارع حلب ؟؟.

زقاق الأربعين

يتساءل المرء، لماذا يهتم الناس منذ قديم الزمان بعدد معين فيرددونه دائماً، ويلعب دوراً بارزاً في حياتهم كالعدد سبعة. وكأن له سحر خاص منذ فجر التاريخ، فقد جاء في كتب التنزيل أن الله خلق سبع سماوات وفي الحديث : سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله حتى إن الاستغفار يجب أن يكون سبع مرات وهكذا...

كما أن العدد " أربعين " يتردد كثيراً في حياتنا، فهناك أربعون شهيداً وأربعون مقاماً وأربعينية الشتاء ومثلها أربعينية الصيف، وباب الأربعين ومقام الأربعين وهكذا.

إن العدد في شكله البسيط مفهوم مجرد، إلا أنه شغل الفكر البشري منذ القدم ونحن هنا لا نريد أن نبحث في ذلك. ولكننا نقول إن العدد سبعة يعني تمام الشيء أو كماله كما أن العدد أربعين ورثناه عن الحضارات القديمة، إذ إن المصريين القدماء كانوا يحنطون جثة الميت أربعين يوماً..

إن انتشار استعمال العدد أربعين في حلب دفعني إلى البحث فرأيت أن هنا في حلب زقاقان يحملان اسم زقاق الأربعين في محلتين مختلفتين، أحدهما داخل السور والآخر خارجه. الأول في محلة العقبة داخل الأسوار يبدأ بجانب سوق المجيدية الذي أصبح يدعى سوق وطفة اختصاراً لكثرة العاملين فيه من هذه العائلة، وينتهي في قمة حي العقبة. ذكر فيه الشيخ كامل الغزي مسجد الأربعين. وهذا واحد من عدة مساجد تحمل نفس الاسم، وفيه مقام الأربعين - وربما جاءت تسمية الزقاق بسبب ذلك. ولا يعرف بابي المسجد، إلا أنه جدد عام ١١٤٧ هـ - ١٧٣٤ م. كما ذكر الغزي قيسرية ومداراً وفرناً وسبعة عشر مصبغة كانت تستعمل مادة النيلة لصبغة الألبسة المخاطة بالقماش الخام الدرعوزي. وقد تبين لي أن الجامع لا يزال قائماً، غير أن مقام الأربعين - وهو ربما كان مدفناً جماعياً تحت الأرض - قد ردم مؤخراً كما ردم معه صهرج جمع ماء المطر وإن القيسرية قائمة أيضاً، إلا أنها حولت إلى معصرة للسمسم ومصنع لعمل الحلاوة، والمدار حوّل أيضاً إلى معصرة صغيرة، والفرن كما هو، وكذلك المصابغ قائمة، إلا أن العمل فيها عدا واحدة قد حول أيضاً.

لقد عرف زقاق الأربعين بأهميته لقربه من أسواق المدينة، فقد كانت فيه عيادات بعض الأطباء كما سكنه بعض المسيحيين مثل عائلة سابا عائدة التي انتقلت فيما بعد إلى حي الجديدة، وبنت منزلاً فخماً لها يعرف اليوم ببيت غزالة.

أما زقاق الأربعين خارج الأسوار فهو لا يزال قائماً في حي الجديدة يصل بين محلة الهرازة وساحة الخطب. وتذكر المصادر التاريخية أن السلطان سليم العثماني الذي أنهى حكم المماليك في حلب عام ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م أتى بأربعين أسرة مسيحية من التجار ومثلها من المسلمين وأسكنهم هذا الزقاق الذي يسكنه حتى اليوم المسيحيون والمسلمون. ولا ننسى أن عادة نقل التجار معروفة في التاريخ. فقد قام الاسكندر الكبير المكدوني بذلك، فنقل التجار السوريين، وأسكنهم مناطق متعددة في إمبراطوريته الضخمة..

في هذه المناسبة نذكر باب الأربعين أحد أبواب حلب المندثرة - سنعود إلى بحثه مفصلاً - فقد سمي بذلك لأن أربعين محدثاً أو شريفاً خرجوا منه، وقيل أيضاً أن أربعين ألفاً من الجنود خرجوا، ولم يعد سوى واحد منهم.

إن القليل من أحياء حلب لا تزال تحتفظ باسمها القديم. وهذان الزقاقان من بينهما. ويعود تاريخهما إلى أكثر من أربعمئة عام خلت. ومن الطريف أنهما احتفظا بنسبتهما العمراني حتى اليوم سوى أن بعض الفعاليات فيهما قد تغيرت وهذا أمر طبيعي يحدث على مر الأزمنة المتعاقبة.

درب السبيعي

الخلبي فخور دائماً بماضي مدينته العريق، يعلم أنها كانت يوماً عاصمة بني حمدان، وأن سيف الدولة الحمداني جعلها قاعدة لانطلاق جنده لمحاربة الروم، وقد خلد الشاعر أبو فراس الحمداني، حلب وسيف الدولة في أشعاره التي لا تزال نرددها إلى اليوم في مدارسنا ومجالسنا وفي كل مناسبة قومية. كان الروم يهاجمون حلب ويوقعون بها أضراراً، إلا أن سيف الدولة سرعان ما يهتم بإعادة بنائها. فقد حصن قلعتها وأبراجها وأسوارها، واهتم بأبواب المدينة وبني الكثير من الأبنية لا يزال بعضها قائماً إلى اليوم.

إن دروب حلب القديمة أيضاً تحفظ لنا ذكرى هذا الفارس المغوار، فبين جامع البهرمية المعروف وأطلال البيمارستان النوري، يقوم درب السبيعي الذي ينسب إلى الحسن بن أحمد بن صالح السبيعي الحافظ الهمداني الحلبي المتوفى سنة ٣٧١ هـ - ٩٨١ م. سمع هذا الدرب خطوات سيف الدولة وارتياحه له، فقد كان الحسن من أصدقاء سيف الدولة يزوره في داره، ويجالسه وقد ألف الحسن بعض الكتب له.

إن درب السبيعي هو أحد الدروب التي تتفرع عن أسواق المدينة القديمة لا بل كان من أهمها وأفضلها إذ حين أصبح الملك العادل نور الدين محمود الزنكي ملكاً على حلب في عام ٥٤١ هـ - ١١٤٦ م أراد أن يبني مدرسة للطب ومستشفى؛ وهو ما ندعوه اليوم - البيمارستان. تقدم إلى الأطباء، وطلب منهم أن يختاروا من حلب أصح بقعة صحيحة الهواء لبناء البيمارستان بها، فذبحوا خروفاً، وقطعوه أربعة أرباع وعلقوها بأرباع المدينة ليلاً. فلما أصبحوا وجدوا أحسنها رائحة الذي كان في درب السبيعي، فبنوا البيمارستان النوري فيه ولا تزال آثاره قائمة إلى اليوم وستعمل مديرية الآثار على ترميمه قريباً. كما ذكر المؤرخ أبو ذر المتوفى عام ٨٨٤ هـ - ١٤٧٩ م حماماً بدرب السبيعي. وحدثنا الطباخ فقال إنه خراب، لكن آثاره باقية. وحين ولي بهرام باشا ولاية حلب خلال الحكم العثماني بنى جامع - البهرمية - في رأس هذا الدرب في سنة ٩٨٨ هـ - ١٥٨٠ م، وكان حينها من أجمل جوامع حلب وأهمها. فقد درب السبيعي اسمه ودعي بدرب البهرمية أو زقاق البهرمية. وبقي هذا الاسم إلى أن قام أحمد أفندي بن طه أفندي زاده الملقب بالجلبي ببناء مدرسته الرائعة المعروفة بالمدرسة الأحمدية في عام ١١٣٦ هـ - ١٧٢٣ م، وهي قائمة إلى اليوم وكأنها بنيت البارحة، وجعلها مدرسة ومدفناً

ومكتبة عامرة مليئة بالمخطوطات النفيسة. نسي الناس اسم درب البهرمية وأطلق عليه اسم
درب بني الجلي، وبقيت هذه التسمية طالما أن المدرسة الأحمدية التي دفن فيها كبار عائلة بني
الجلي بقيت مزدهرة ومنارة للعلم والعلماء.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين انطفأت شهرت هذه المدرسة وتضاءلت أهميتها العلمية
بنقل مخطوطاتها إلى المدرسة الشرفية العائدة إلى مديرية الأوقاف، وعاد إلى الدرب اسمه السابق
وأصبح اليوم يعرف بزقاق البهرمية..

إن درب السبيعي أو زقاق البهرمية يحفظ هذه الذكريات ويحفظ أيضاً داراً جميلة جداً سكنها
القنصل الإيطالي صولا وعائلته وهي مدرسة إنطاكية اليوم، وتقوم أمام بناء الليمارستان النوري
وتعتبر جزءاً من تاريخ علاقات حلب الدولية إبان ازدهارها الطويل.

إن درباً كهذا يحمل تاريخاً حافلاً هو دليل على عراققة هذه المدينة التي لا تزال تحتفظ بتاريخها
وأوابدها ماثلة أمام أعيننا.

لنقم إذن بزيارة متأنية - ونذكر، فلعل الذكرى تنفع.

زقاق الخواجة

لماذا لا نستقرى التاريخ في كل أعمالنا ؟. أليس التاريخ هو من أقدم العلوم الإنسانية التي انصرف الإنسان إلى الاهتمام بها ؟؟ ولا نزال به نفهم الحاضر ونصنع المستقبل ؟ سؤال يجب أن يخطر في بال كل مثقف وخاصة حين يريد أن يعرف ماضي مدينته وحاضرها ومستقبلها أيضاً.

خطر لي هذا وأنا أريد الكتابة عن زقاق الخواجة، أحد أزقة حلب القديمة ضمن الأسوار في حي العقبة، عقبة بني المنذر؛ فيه جامع كان قد عمّر أيام الملك الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين الأيوبي. هذا الزقاق يتعامد مع سوق البهرمية في المدينة، وتوجد فيه حمام الفقاس حالياً، ومسبح الأدنى وعشرات المحلات التجارية. إن أحد الساكنين أو العاملين فيه لا يعرف اسمه، وهو اليوم زقاق أرطولو، ولا أدري من أين جاء هذا الاسم.

الخواجة كلمة فارسية تعني مربى أولاد الأمراء وقد لفظها الحلبيون خوجة والدمشقيون خجا، وفي تاريخ حلب أكثر من خواجا، من أهمهم : الخواجا أحمد بن تيمور الملطي له أوقاف كثيرة في حلب وعنتاب، توفي عام ٨٤٦ هـ - ١٥٣٩ م. وآخر بنفس الاسم توفي عام ٩٤٤ هـ - ١٥٣٩ م وجامعه في حي البياضة، وقد وصفه المؤرخ الغزي بأنه عين تجار حلب وأحد فضلائها. ترى إلى أي منهم ينتسب الزقاق كما ينتسب الحمام أو الجامع فيه. ؟ وإن الثلاثة قد لقبوا بالملطي، وقد يكون أصلهم من جزيرة مالطة والتي لها صلات تجارية مع حلب منذ القديم.

في رأس الزقاق من الجهة الشمالية الذي يتصل بالمنطقة السكنية يوجد مسجد موجه شرقاً يدعى مسجد ديك العرش، ولا نعرف سبب التسمية ذكره المؤرخ الشيخ الغزي، وذكر أن أحد أئمة أبو بكر أحمد عبد الله الحلبي الحلومي توفي عام ٩٨٦ هـ - ١٥٦٠ م وإلى جانبه باتجاه الجنوب يوجد سبيل ماء مستخرج من جامع الخواجا مغلق، ولا تزال آثاره قائمة. ثم إلى جانب السبيل من جنوبه يوجد جامع الخواجا : ذكر المؤرخان الحلبيان الغزي والطباخ أنه عمّر أيام الملك الظاهر غازي، ثم دثر فجده عز الدين أيدير بن عبد الشماع في سنة ٧٤٣ هـ - ١٣٤٢ م. وفي جدار الجامع كتابة تفيد كما يوجد حجر فوق الباب يذكر أوقاف الجامع في سوق التتن المجاور؛ وحين توهن الجامع، ولئلا يندثر، بادر الحاج خليل كريم في عام ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢ م بترميمه. وشاركه في نفقات الترميم سكان المحلة وذكر الغزي اسم الحاج عبد القادر ميسر الذي دفع حصته ليرات عثمانية ذهباً...

أمام الجامع كانت توجد حمام الخواجا الملطي، ويذكر ابن الشحنة المتوفى ٨٩٠ هـ - ١٤٨٥ م أنها كانت من الحمامات العظام، هدمت وأصبح بدلاً منها حديقة، واليوم يوجد مكان الحمام خان صغير وبركة سباحة يرتادها الأولاد في الصيف، كما توجد حمام الفقاس، ويذكر المتقدمون في السن أن حمام الفقاس بنيت على أنقاض حمام سابقة في عام ١٩٢٩ م. إلى جانب جامع الخواجا كان يوجد مسجد له مدخلان وأحد عشر ردهة للمرضى وأربعة آبار ماء وثلاث فسح سماوية كان أبناء الطائفة اليهودية بحلب يرتادونه، وقد أصبح اليوم كل قسم فيه مخزناً مستقلاً لاستصناع أكياس الخيش وترميمها. وأخيراً وبجانب سوق البهرمية يوجد المسجد الصغير، وقد أنفق على ترميمه وترتيب نفقاته محمد محمد مهروسة، وقد يأتي يوم فيسمى باسمه. إن زقاق الخواجا أضاع ذكرى الظاهر غازي معمار حلب الكبير، وأضاع اسمه، وقد نفتش له يوماً عن اسم حديث جداً فهل. يصح هذا؟؟؟

زقاق الصليبة في أحياء : الجلوم والمشاركة وبنقوسا والتلل والجديدة

إن البحث في أحياء حلب وأزقتها وبواباتها مع ما يتطلبه من جهد واستقصاء للمعلومات والتي لا تتوفر أحياناً في كتاب أو مخطوط، يقودنا إلى نتائج هامة تتناول تخطيط المدينة وتطورها عبر القرون والسنين؛ كما يتناول الحياة البشرية فيها كانتقال السكان واستقرارهم في أحياء قديمة أو حديثة. وبكلمة واحدة يقودنا هذا البحث إلى تاريخ المدينة عبر العصور. حين فكرت في الكتابة عن حي الصليبة اعتقدت أن الأمر لن يتجاوز الحديث عن حي الصليبة في منطقة الجديدة، ولكني فوجئت بعد البحث الجاد بمعلومات هامة جداً.

يوجد في حلب أكثر من زقاق أو حي باسم الصليبة، منها ما هو داخل الأسوار ومنها ما هو خارجها. فزقاق الصليبة داخل المدينة القديمة، ويمكن أن يكون هو الأقدم، هو الزقاق الموجود في حي الجلوم الكبير وعلى الضبط في منطقة تقاطع أو تصالب الأزقة التالية : زقاق المخازن وزقاق درويش إسماعيل وزقاق عربي كاتبي وزقاق الزاوية الهلالية. وكما نعلم فإن تخطيط حي الجلوم تخطيط شطرنجي وهو يعود إلى بداية تكوين مدينة حلب في القرن الرابع قبل الميلاد، بينما تخطيط بقية الأحياء القديمة مختلف تماماً تسوده المنعطفات والبوابات.. وفي زقاق صليبة الجلوم يوجد أكثر من مبنى أثري : فهناك سبيل مملوكي مجدد في عام ١٢٥٠ هـ - ١٨٣١ م وينسب إلى محمد وفا كما تفيد الكتابة على بابه، ويوجد فرن الصليبة ومدار يطلق عليه مدار أفتل وهو من أوقاف الزاوية الهلالية القريبة، كما يوجد مسجد الزيتونة الصغير وبقايا أعمدة بازلتية لا بد أنها جلبت من كنيسة الشيباني القريبة. أما أوقاف الزقاق فكانت لعائشة بنت عبد الله الخلاج وتاريخها ١٢٦٥ هـ - ١٨٤٨ م.

أما الصليبة الثانية فهي في الحارة الفوقانية في حي المشاركة في المكان السابق لانطلاق سيارات البولمان أمام مشروع القصر البلدي. والصليبة الثالثة في حي بنقوسا، وفيها أوقاف لجامع المستدامية، كما ذكر المؤرخ الغزي.

والصليبة الرابعة، وهي الأحدث، فهي الصليبة الكبرى في حي الجديدة. وهي من القرن الخامس عشر وما زالت كما هي.

أما الصليبية الصغرى وهي الأكبر فتمتد غربي حي الهرازة، وهي من القرن التاسع عشر ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢ م. ويذكر المؤرخ الغزي أنها عرفت أولاً باسم محلة التلل، ويحددها بجادة الناعورة جنوبي بستان الشاهبندر خلف شارع بارون إلى بستان كل آب ثم إلى برج الساعة في حضرة باب الفرج كما يقول إلى محلة العزيزية. وأقدم أبنيتها بناء جرجي بن سمعان الخياط الذي هدم مؤخراً وعمارة نصري البلدي وأوتيل روض الفرج..

والسؤال لماذا سميت هذه الحارات والأزقة باسم واحد الصليبية، مع أنها متباعدة في المكان والزمان.

لا شك أن أشكال هذه الأزقة مختلفة عن الأزقة الأخرى فهي متصالبة بشكل واضح لا عوج فيها كغيرها، ومنذ العهد الروماني دعي تقاطع الشوارع بالمصالبة التيترايل كما في تدمر وأفاميا وغيرها. وكما ذكرت فإن بعضها أقدم من البعض الآخر؛ فصليبية الجلوم قديمة ثم تأتي بعدها صليبية بانقوسا ثم صليبية المشاركة ثم صليبية الجديدة وأخيراً صليبية العزيزية، ونرى أن سكان صليبية الجلوم قد نزحوا يوماً منها إلى صليبية الجديدة وتبين لنا هذا لدى سؤالنا السكان كبار السن في الجلوم.

أما علاقة التسمية بسكنى الطوائف المسيحية فيجب أن ندرك أولاً أن المسيحيين كانوا يسكنون إلى جوار المسلمين في كل أنحاء المدينة، وكثير من أحيائهم التي سكنوها كالشرعسوس والقبب وأقيول والسبع عوجات والبسارنة والجلوم لا تحمل اسم الصليبية؛ والمسيحيون المسجلون في حي الجلوم ربما يفوق عدد المسلمين وإن عدداً من العائلات المسيحية كانت تسكن صليبية الجلوم إلى عهد قريب مثل ستيان وكنيدر وكنيدي وحلاق وبرغل وغيرهم ثم نزحت إلى أحياء حديثة.

إن بحثاً متأنياً في دفاتر السجل العقاري والمدني القديمة المكتوبة باللغة التركية القديمة وحتى الأحداث منها يوضح هذه الأمور ولنا عودة إلى هذا الموضوع.

زقاق الطويل

الدارس لأحياء وأزقة حلب القديمة العريقة في تاريخها الطويل يكتشف تاريخاً حافلاً بالأحداث والبطولات، وبالمآسي والصراع الوطني ضد الاستبداد.

لقد مرت على هذه المدينة الصامدة جحافل الغزاة البيزنطيين، ثم سرازم الصليبيين، وبعدهم هولاء وليمورلنك. وفي كل مرة تعود هذه المدينة إلى النهوض، وتتابع مسيرتها الطويلة. وإن شعبها الذي دفع جميع هذه الاعتداءات اكتسب على مر الزمن خبرة وتمرساً ضد العدوان أياً كان مصدره.

إن الحكم العثماني الذي دام أربعمئة عام في ربوع هذا الوطن، ترك بصماته على دروب وأزقة هذه المدينة، وإن ظلم الولاة العثمانيين، وسوء تصرف حاشيتهم خلق رد فعل عنيف لدى الحلبيين، فقامت ثورات عارمة، وكان لهم فيها جولات وبطولات.

حين اعتلى محمود الثاني عرش السلطنة في إستانبول عام ١٢٢٣ هـ - ١٨٠٨ م أراد أن يقضي على الانكشارية في كل أنحاء سلطنته، وبعضهم كان قد استوطن مدينة حلب واستقر بين أهليها، كما فرض ضريبة تدعى خراج الدور. فإذا أضفنا إلى ذلك سوء إدارة والي حلب خورشيد باشا والمتسلم فيها، أدركنا لماذا ثار أهالي حلب عام ١٢٣٤ هـ - ١٨١٩ م وحاصروا الحامية العثمانية في القلعة، كما هاجموا مقر الوالي في هضبة - الشيخ أبو بكر - وقد اشتركت في هذه الثورة جميع طوائف حلب التي تعاني من فساد الإدارة ما عدا اليهود، بينما بقيت الجالية الأجنبية على الحياد.

إننا لسنا في صدد الحديث عن الثورة تفصيلاً، غير أننا سنتحدث عن أحد أزقة حلب والذي كان بمثابة ميدان قتال عنيف، وخط دفاعي بين الحلبيين وبين جند الوالي والنجادات التي أتته من المدن والولايات المجاورة. لقد كان زقاق الطويل والذي لا يزال يقوم حتى اليوم بين دوار شارع أقيول الحديث من جهته الشمالية القريبة من محلة الشيخ أبو بكر وبين ساحة قسطل الحرمي - ليس الحرمي - هو ميدان الصراع العنيف. فقد هاجم الثائرون المتسلم، ثم منازل الجند في الزقاق المذكور، وانطلقوا منه شمالاً لمهاجمة مقر الوالي، واحتدم القتال بين الطرفين، وحين ينجح جند الوالي بهجومهم يحتلون الزقاق، ولكن الحلبيين سرعان ما يستردونه، وهكذا دواليك.. إلى أن سقط الزقاق في يد الوالي والقوات التي أتت إلى نجدته في أوائل عام ١٢٣٥ هـ - ١٨٢٠ م وفشلت الثورة.

لا يزال هذا الزقاق قائماً، ويحتفظ باسمه التاريخي؛ وهو طويل فعلاً بالمقارنة مع الأزقة الأخرى في المدينة القديمة. وإن أزقة صغيرة ضيقة تتفرع عنه تدعى بالاسم نفسه. ويطلق القاطنون فيه اسم الملك سيف على القسم الرئيسي منه. ولا ندري من أين جاؤوا بهذا الاسم إذ ليس له أي مصدر تاريخي متوفر حتى اليوم. وربما جاء الاسم من الروايات التاريخية العربية التي تمجد البطولات القديمة...

في الزقاق جامع الابن ويعود إلى الفترة المملوكية؛ يدّعي أهالي المحلة أن ابن باني جامع قسطل الحرمي هو الذي بناه، بينما يذكر المؤرخ الغزي أن ثلاثة أخوة أبناء ناصر الدين أحد أمراء المماليك بحلب هم الذين بنوا مئذنته..

لا يزال هذا الزقاق يحافظ على حالته القديمة وإن بعض حجارة أرضيته السوداء من البازلت قد جددت في الثلاثينات من هذا القرن بينما بقيت الحجارة البيضاء القديمة في مكانها. ومما يميز هذا الزقاق ستائر الأسطحة القرميدية القديمة على شكل خلايا النحل التي تفصل بين أسطحة الدور وأكشاكه الخشبية الرائعة ودورها الجميلة التي زخرت أواوينها بالزخارف الحجرية الجميلة التي تعجز صواريخ الحجارين الأتوماتيكية اليوم عن عمل مثلها. وفي الطرف الشرقي من الزقاق وجدت خانات متعددة للتجارة أزيلت مؤخراً بعد فتح الشارع الحديث الواصل بين باب الحديد ومركز التدريب المهني أمام جامع ميسلون ما عدا واحداً منها أصبح مطحنة، ثم أغلقت مؤخراً...

سكن الزقاق جميع الطوائف. ولجأ إليه بعض الأرمن في أوائل القرن العشرين. ولولا بعض الأبنية الحديثة التي قامت فيه مؤخراً لاستطعنا أن نقرأ بوضوح على كل حجر فيه أخبار ثورة الشعب الحلبي ضد سوء إدارة الوالي العثماني وحاشيته وهزيمتهم...

حي ساحة بزة

لكل مدينة نكهتها التاريخية التي تسهم في إعطائها هويتها الحضريّة المتميزة. وحلب من أقدم المدن في العالم، ما تزال تحتفظ بأصالتها الحضارية تاريخياً وعمراً. وقد تشابه مع غيرها من مدن تاريخية وخاصة في حوض البحر الأبيض المتوسط، إلا أنها تتميز بالحفاظ على مخططها العمراني القديم الذي يبدو للبعض وكأنه نشأ عشوائياً؛ مع أنه نظم وفق أصول تاريخية عرفت بها المدينة العربية والتي دخلها الإسلام، فترك بصماته عليها إلى اليوم.

إننا إذا تجاوزنا تخطيط المدينة القديمة الذي يعتمد التخطيط الشطرنجي وهذا واضح في امتداد الأسواق وموازاتها بعضها لبعض وتعامدها، وكذلك المدينة السكنية المجاورة لها كحي الجلوم ووصلنا إلى الأحياء السكنية ضمن الأسوار لرأينا تخطيطاً مدروساً لا يزال قائماً إلى اليوم منذ أكثر من ألف سنة. ففي حي ساحة بزة المجاور لقلعة حلب من الجهة الشمالية، وهو حي واسع جداً يضم معه محلة السفاحية؛ تقوم ساحة عامة تعرف بساحة بزة وإليها ينسب الحي بكامله. إن هذه الساحة والتي تتجه إليها ستة شوارع : شارع إسماعيل باشا وزقاق الزرق وشارع القرن وزقاق النخلة وشارع السوق وجنيّة الفريق؛ وتحيط بها محلات : قلعة شريف وداخل باب قنسرين والجلوم الكبرى والفراغة والتونغا وحارة الأعجام والمغازلة. هذه الساحة تلعب دوراً هاماً في حياة المحلة، فهي مركزها وهي واسعة تستوعب حركة سير وبيع وشراء فضلاً عن أنها مركز لتجمع سكان الحي في المناسبات، يحيط بها جامع وقسطل وحمام فضلاً عن سوق للبيع والشراء.

لم تكن الساحة مغلقة على نفسها أو بعيدة عن مركز المدينة وأسواقها الكبرى، بل كانت على العكس من ذلك محور مرور من خارج إلى المدينة إلى داخلها عبر الأسواق؛ ومن المعروف أن في حلب القديمة أكثر من محور عبور من خارج المدينة إلى داخلها، مثال ذلك : محور باب قنسرين ومحور باب النصر ومحور باب المقام ومحور باب النيرب وأخيراً محور ساحة بزة الذي يتيح الدخول إلى الداخل إلى مركز المدينة من باب الأربعين الذي دثر منذ مدة طويلة.

ولما كانت هذه الساحة من الأهمية بمكان، إذ كانت مركز تجمع بشري كبير؛ فقد تم توسع مدينة حلب في جهتها فبعد أن كان سور المدينة يمر بجانب جامع الطواشي المجاور لساحة بزة أصبح بعيداً، وظهر باب النيرب والسور الجديد المتصل به وبقيت للساحة أهميتها، إذ لا يوجد

في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة ساحة أخرى تضاهيها سوى ساحة الملح، والتي لم يعد لها وجود بعد أن فتح الشارع الجديد المؤدي إلى قصر العدل فيها.

إننا لن نتحدث اليوم عن المحلة نفسها، وسيقتصر حديثنا عن الساحة فقط لنبرر أهميتها كموقع تاريخي ودورها في تخطيط المدينة.

إن ساحة بزة وجاء اسمها ربما من البزازين صانعي وبائعي البز أي القماش؛ ساحة واسعة لولا الأبنية الطفيلية التي قامت فيها. تحيط بها أبنية الخدمات العامة التي تؤمن الخدمات للقاطنين في الأحياء المجاورة؛ ففيها الحمام - ويعرف أيضاً بحمام الحمداني - ولا ندرى سبب التسمية يعتبر من أجمل حمامات حلب المملوكية في القرن الثالث عشر الميلادي وخاصة مدخلها المزين بالمقرنصات الجميلة، وقد شوه معظمها من قبل أهالي المحلة فضلاً عن إهمال الحمام الذي يسبب انهياره شيئاً فشيئاً؛ وإلى جانب الحمام قسطل الخريزاتي، وسمي بذلك لقربه من مسجد الخريزاتي وزاويته وقد بنى القسطل نائب حلب قانصوه اليحيوي عام ٨٨٣ هـ - ١٤٨٧ م وهو من ممالك السلطان جقمق وقد تصدر رنكه جدار القسطل، ويحوي رموزه : البقجة والكأس والسيف والدواة والمقلمة وهو الرنك الوحيد في حلب الذي يضم السيف، دلالة على أهمية هذا النائب ووظائفه الكثيرة تجاه السلطان.

أما الجامع في الساحة فهو بعيد عن مدخل الحمام وهذا من تقاليد المدينة الإسلامية؛ وهو جامع الشيخ أبو بكر الخريزاتي ومزاره إلى جانبه.

لقد أصاب الساحة كما أصاب حلب كلها زلزال عام ١٢٣٧ هـ - ١٨٢١ م، فدمرها، ولكنها استعادت أهميتها بسرعة، وسكنتها جميع الطوائف وجددت أرضيتها بالبلاط البازلي الأسود في حين بقيت حجارة الأزقة المجاورة بيضاء وبقيت فيها شجرة التوت المعمرة وقديماً قيل - خشب التوت لا يموت - وكذلك فإن حلب الخالدة لن تموت مهما أثخنت بالجراح وستبقى أبوابها الأثرية حية، وخاصة أحياء هذه الساحة التي كانت تضم دار السلطان صلاح الدين الأيوبي ودور بني الشحنة وغيرهم ولنا حديث آخر.

حي ساحة الملح

في الحديث السابق تناولنا في البحث موقع ساحة بزة، وبيّنا أهميتها في تخطيط مدينة حلب القديمة بشكل عام وتخطيط حي ساحة بزة بشكل خاص، وتبين لنا أيضاً أهمية الساحة من النواحي العمرانية والاجتماعية والاقتصادية، خاصة إذا ما قمنا بمقارنة بسيطة بين الأحياء القديمة والأحياء الحديثة. ففي الأحياء الحديثة لا تتوفر المساحات الواسعة الضرورية لحياة السكان وكثافتهم العالية في الأبنية الطابقية المرتفعة. وإذا أردنا أن نقوم بمقارنة سريعة لرأينا أن المساحات الفارغة في أرقى أحياء المدينة الحديثة وأقلها كثافة سكان. هي أقل بكثير مما يوجد من ساحات فارغة في المدينة القديمة : ساحات الدور وفسحة الشوارع الخاصة بالإنسان، والساحات العامة.

في حلب القديمة أكثر من ساحة وحديثنا اليوم عن ساحة الملح والتي لم تعد موجودة اليوم كساحة إلا بالاسم فقط بعد أن فتح الشارع العريض بين حي جب القبة وبناء مديرية الأوقاف الحالي.

لقد كانت هذه الساحة تشابه ساحة بزة بأبنيتها العامة والخاصة وكانت تتميز عنها بكونها ساحة خاصة ببيع كميات الملح الكبيرة التي ترد إلى حلب من مملحة الجبول ومنها توزع إلى باقي أحياء المدينة وإلى المدن الأخرى. عرفت ساحة الملح في القديم باسم الميدان الأسود، وفي حلب أكثر من مكان يوصف باللون الأسود والذي يعني في الواقع المكان الذي يوجد فيه بقايا الرماد الأسود رماد المواقد التي كانت تتوسط البيوت منذ الألف الخامس والرابع قبل ميلاد السيد المسيح أي قبل ستة أو سبعة آلاف سنة من اليوم. ويعني هذا وجود مكان التجمع البشري قبل آلاف السنين في حلب مثل تلة السودا. وحين أراد المقر الأشرف العالي العلاني الطنبغا الناصري نائب حلب أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون عام ١٣١٨ - ١٣١٩ م بناء جامع، اختار هذا الميدان لبنائه وعرف الجامع باسم جامع الطنبغا الناصري ولا يزال موجوداً إلى الآن كما عرف باسم جامع الساحة. إن اختيار المكان تم بناءً على دراسة عمرانية، فهو يجاور الساحة، كما يجاور السور والخندق الذين عرفا باسم سور وخندق الروم، لأنه كان موجوداً منذ عهد الروم البيزنطيين أي من القرن العاشر الميلادي بعد ظهور الإسلام. وقد رمم السور في عهد السلطان قايتباي عام ٩٠٣ هـ - ١٤٩٧، ١٤٩٨ م وفي عهد قانصوه الغوري آخر السلاطين المماليك قبل مجيء العثمانيين في عام ١٥١٦ م. لم يأخذ الجامع فراغ الساحة كله، كان

يوجد إلى شماليه خانقاه يتبع الجامع. ويذكر المؤرخ ابن الشحنة المتوفى عام ٨٩٠ هـ - ١٤٨٥ م أن الخانقاه استعمل فيما بعد مخزناً كبيراً للملح، ويضيف أن أجرته كانت تصرف إلى المرتزقة الفقراء.

لقد كانت الساحة فضلاً عن كونها سوقاً كبيرة لبيع وتوزيع الملح فهي كانت محور دخول إلى المدينة عبر باب النيرب وخندق الروم؛ وقد ذكر أكثر من مؤرخ وجود جسر على الخندق للخروج من المدينة كالجسر الذي كان على الخندق بجانب باب النصر والأبواب الأخرى. كان يحيط بساحة الملح سبيل وبئر ومسجد عرف باسم مسجد المزوق، غير أن زلزال عام ١٢٣٧ هـ - ١٨٢١، ١٨٢٢ م الكبير قد دمر أبنية الساحة كما دمر خان الشونة المجاور؛ وقد بنيت بعد الزلازل زاوية أبي الجدائل عام ١٢٧١ هـ - ١٨٥٤، ١٨٥٥ م. ولم ترمم الأبنية الأخرى المتضررة كخان الشونة والحمام الناصري إلا في عام ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢، ١٨٨٣ م. لا نرى اليوم ساحة الملح. وقد زالت، وقد كانت ساحة مستديرة كساحة بزة أو ساحة التنانير أو غيرها إلا أن اسمها باق ولا يزال القاطنون في هذا الحي الذي أصبح حديثاً يذكرونها؛ وإن طغى عليها الشارع العريض الذي تمر فيه آلاف السيارات يومياً، ويخشى المشاة عبوره أو الوقوف فيه وقد حرموا من التمتع بالساحة التي أزالها.

حي التلل

إن البحث في نشوء وتطور أحياء حلب القديمة والحديثة ضروري جداً لمعرفة تاريخ المدينة بل ومستقبلها أيضاً. وإن هذا البحث قد استأثر باهتمام الدارسين لتخطيط المدن وتطورها. وتعتبر حلب من أفضل المدن القديمة لهذا النوع من الدراسة؛ حيث لا تزال تحتفظ بأوابدها التاريخية عبر تاريخها الطويل منذ خمسة آلاف عام وحتى اليوم.

إن في دراسة حي أو محلة أو زقاق أو بوابة الكثير من المعلومات، وهي : تاريخ الأشخاص وتاريخ البناء، وبالتالي تاريخ حلب. وسأتناول الحديث اليوم مركزاً تجارياً يعد من أهم المراكز التجارية في حلب، وهو شارع التلل : متى نشأ؟ وكيف توسع؟ وما سبب التسمية؟ وما مستقبله ومستقبل المنطقة المحيطة به ؟

لقد كانت منطقة التلل خارج أسوار حلب بالقرب من باب الفرج الذي عاد مع أبراجه إلى الظهور مؤخراً. وأول بناء قام فيها في عام ٩٤٧ هـ - ١٥٤٠، ١٥٤١ م يعرف بالهوكيدون، ومعناه دار الأرواح، يتزل فيه العابرون مدينة حلب الآتون من الشمال من منطقة الأناضول والمتوجهون إلى الجنوب، وخاصة الحجاج الذين يتوجهون إلى بيت المقدس لأداء فريضة الحج وكان زبائنه من الأرمن. وهذا ما يوضح الكتابات الموجودة على أبواب غرف هذا المترل.

ولما كانت منطقة التلل خارج عمران المدينة فقد كان أصحاب الحمامات ينشرون الزبل عليها تمهيداً لجفافه لحرقه في قميم كل حمام. فكانت كميات الزبل الكثيرة تشكل تلالاً، وعرفت المنطقة باسم مناشر الزبل، أو تلال الزبل، وإلى جانبها من الغرب تنتشر الأراضي الزراعية. وكانت مواقع هذه التلال والأراضي أوقافاً للمدرسة الحلوية، خصصها لها نور الدين الزنكي الشهيد منذ عام ٥٤٤ هـ - ١١٤٩، ١١٥٠ م وقد تولاهما آل طلس وزادوا فيها حتى عام ١٣٣٧ هـ - ١٩١٨، ١٩١٩ م لما لهذه المدرسة من أهمية ستحدث عنها. وفي عام ١٠٦٦ هـ - ١٦٥٥، ١٦٥٦ م كانت منطقة التلل مسرحاً لأعمال حربية بين والي حلب قره مصطفى باشا ومعه أهالي حلب يؤيدونه وبين سيدي أحمد باشا الوالي الجديد للمدينة والذي رفضه الأهالي لما سمعوا عنه من ظلم وجور. وقد لجأ أحمد باشا لضيائيق أهالي المدينة إلى جمع التراب أمام باب الفرج حتى علا وسامت السور كما يقول المؤرخ مصطفى نعيما، ويضيف الغزي مؤرخ حلب فيقول : هذه

الأثرية بقيت مكرسة وصارت روابي متصلة مسافة عشر دقائق. واشتهرت باسم التل. وقد أدركناها على تلك الحال. وفي نواحي سنة ١٣١٠ هـ - ١٨٩٢، ١٨٩٣ م أزيلت جميعها في مدة سنتين أو أكثر، وبني مكانها دور عظيمة. ووسمت تلك الدور بمحلة التل ويضيف الغزي فيقول : حين كانت تلالاً كالجبال، لم يهتم أحد بها بقرش واحد. فلما كثر الأمان بحلب، وانتشر الناس خارج السور أخذ الناس يشترون كل ذراع مربع من التل المذكورة من متولي المدرسة الحلوية بعشرين قرشاً. ثم تصاعد السعر حتى بيع الذراع على طريقة التحكير الشرعية بذهبيين عثمانيين فأثرى وقف المدرسة المذكورة، وكثرت عقاراته، وعمرت المدرسة.

ويقول الغزي أيضاً : كان الحكر السابق لأراضي التل عشرة أرطال زيت وفي عام ١٣١٥ هـ - ١٨٩٧، ١٨٩٨ م حكرت بأجر المثل وفي عام ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ - ١٩٠٢ وقف الشيخ محمد بن مصطفى طلس أربعة دور متصلات في التل. لقد نسي المؤرخان الغزي والطباخ أن يبرز الأهمية الكبرى لفتح الجادة العظمى وجادة الخندق ودرب العربية، في عام ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢ م ودورها الكبير في إعمار منطقة التل وازدهارها للسكن والتجارة. وحتى عام ١٩٢٤/١٣٤٣ كانت التل تدعى الصليبية الصغرى، إلى أن غلب عليها اسمها الأساسي وهو (التل). وفي عام ١٣٣٥ هـ - ١٩١٦، ١٩١٧ م، ولما شحت مياه قناة حيلان ومياه نهر قويق، ولم تعد تكفي المدينة أدخل جمال باشا السفاح بطل مشانق ٦ أيار ولمصلحة جنوده مياه عين التل بأنابيب معدنية إلى حلب وكان حي التل الحديث آنذاك أول حي في حلب يشرب منها. والآن ماذا بقي من التل هذا الحي التاريخي. إننا لا نسأل عن مناشير الزبل أو تلال التراب التي جمعها سيدي أحمد باشا. إننا نسأل عن وجود بناء واحد عمر في التل قبل مائة عام كما نتساءل عن مستقبل هذا الحي. فقد ضاعت معالم الهوكيدون وأصبحت الدور التقليدية الرائعة المجاورة لهذا الشارع مخازن أو مستودعات أو ورشات بل أكثر من ذلك شوّه ما تبقى من شارع التل بقوس النصر الغريب في شكله ومادته زخارفه البعيدة جداً عن التقاليد والبيئة والذوق الحلبي المعروف. أما مستقبل الحي فستحدث عنه فيما بعد.

محلة السفاحية

حين تحدثنا عن ساحة بزة، لم نتطرق لبحث حي السفاحية الذي كانت السلطات العثمانية تعتبره مرتبطاً بمحلة ساحة بزة. ونحن آثرنا الفصل بينهما لاعتبارات متعددة أهمها غنى محلة السفاحية بالمباني الأثرية والتاريخية والتي لا يزال معظمها قائماً سليماً رغم مرور أكثر من ستمائة عام على بناء بعضها، وأن هذه المحلة لعبت، ولا تزال، دوراً أساسياً في حياة المدينة القديمة؛ اقتصادياً واجتماعياً. وأخيراً فإن هذه المحلة بعيدة حتى الآن عن تأثرها بالحدثة التي تغزو المدينة القديمة وأسواقها، فتشوهها، وتفقدتها شخصيتها ونكهتها التاريخية.

تعتبر محلة السفاحية من أقدم محلات حلب. فقد بنيت بعض أوابدها في الفترة الأيوبية في أوائل القرن السابع الهجري أي في القرن الثالث عشر الميلادي، كما توسعت في الفترة المملوكية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي. وحين جاء الأتراك العثمانيون إلى حلب في عام ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م ازدهرت، وتكاملت، ووصلت إلى الحالة التي نراها عليها اليوم.

بنيت السفاحية على إحدى التلال السبعة التي قامت عليها مدينة حلب مثل : تلة القلعة وتلة الجبيلة وتلة السودا وتلة العقبة وغيرها. وكانت التلة التي بنيت عليها محلة السفاحية تدعى تلة عائشة نسبة إلى عائشة بنت صالح بن العباس البارة الجمال التي تزوج بها موسى الهادي. وكانت ميداناً في فترة دولة المماليك الجركسية يلعب بها مماليكهم بالرماح. وعرفت أيضاً بتلة الست فأنشئت عليها حماما الست أو حماما النحاسيين، وكذلك خان النحاسيين في قبالتها وفيه اليوم دائرة القنصلية الفرنسية حتى عام ٢٠٠٣ م، يلحق بالمحلة المدرسة الظاهرية الجوانية أو السلطانية كما تسمى اليوم وهي أمام قلعة حلب، وقد بنيت أيام الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي سنة ٦١٣ هـ - ١٢١٦، ١٢١٧ م. والمدرسة الأتابكية ٦١٨ هـ - ١٢٢١، ١٢٢٢ م التي هدمت خلال تدمير هولاء لمدينة حلب، ودرّس فيها المؤرخ ابن العديم سنة ٦٦٠ هـ - ١٢٦١ م. وبعد أن رمت درّس فيها المؤرخ ابن الشحنة، ثم دثرت نهائياً. وحين أنشأ أحمد بن صالح بن أحمد السفاح المدرسة السفاحية على أنقاض معصرة للسيرج عام ٨٢٨ هـ - ١٤٢٤، ١٤٢٥ م نسبت المحلة إليها، فدعيت بالسفاحية. وبقيت تحتفظ باسمها هذا حتى اليوم وفي المحلة حمام ميخان التي ذكرها المؤرخ ابن الشحنة المتوفى سنة ٨٩٠ هـ - ١٤٨٥ م.

أما خلال الحكم العثماني فقد اهتم بها ولاية حلب الأتراك - فأنشأ فيها خسرو باشا مدرسته الخسروية عام ٩٥١ هـ - ١٥٤٤، ١٥٤٥ م. وحين عادت السلطنة كوهر ملكشاه بنت

عائشة السلطنة حفيدة السلطان بايزيد وجدة أحمد دوقه كين باشا والي حلب، من الديار المقدسة، و توفيت هنا دفنت بجانب المدرسة السفاحية. وما زال قبرها موجوداً، ولكن بحالة سيئة ثم سيطر عليه أحد الأهالي وقطن عليه. ثم أنشأ الوالي المذكور في المحلة جامعاً بجوار دار العدل وسمي بالعادية عام ٩٦٣ هـ - ١٥٥٥، ١٥٥٦ م. وهو من أجمل جوامع حلب لا يزال قائماً بحالة جيدة. وفي المحلة فضلاً عن ذلك جامع تغري بردي الذي أنشئ عام ٧٦٩ هـ - ١٣٩٣، ١٣٩٤ م وقد بناه ابن طومان المعروف بالموازيني. أما السبلان والقساطل والمدارارت فقد كانت كثيرة، اندثر أكثرها. وكذلك المدارس كالمدرسة الحدادية والمساجد كمسجد درب الاسفريس، ويطلق عليه المسجد العمري. ويذكر بعض المؤرخين أن ولي الله العارف إبراهيم بن أدهم وضريحه في جبلة المعروف بضريح وجامع السلطان إبراهيم، قد نزله ويطلق عليه أحياناً اسم مشهد علي، وأن الزوايا التي بنيت في المحلة قد دثرت أيضاً، وكان أشهرها زاوية شيخ تراب التي بنيت عام ١١٩٥ هـ - ١٧٨٠، ١٧٨١ م. أما الخانات والأسواق التي تحلق بالمحلة فكثيرة مثل سوق القطن وسوق الحمام وخان الفرايين وخان العلية وستحدث عنها بالتفصيل فيما بعد. إن محلة السفاحية السكنية المجاورة للأسواق القديمة كانت مزدهرة، وقد سكنها العاملون في الأسواق بشكل خاص ومن مختلف الطوائف وعرفت فيها بعض العائلات العريقة مثل عائلة راغب زادة والعادلي وغيرهم.

إن عمران المحلة التقليدي ونسيجه القديم لا يزال يحافظ على حالته الأولى منذ سبعمائة سنة حتى اليوم حتى إن زلزال عام ١٢٣٧ هـ - ١٨٢١، ١٨٢٢ م الكبير قد دمر عدداً من أبنية المحلة ولم يبق منها سوى اسمها إلا أنه أبقى على أهمها كخان الشونة والخسروية والعادية وغيرها. وقد جددت المحلة، ورممت مبانيها التاريخية في عام ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢، ١٨٨٣ م، كما وسع رأس الجادة على قدر الكفاية كما يقول المؤرخ الطباخ في عام ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠، ١٩٠١ م.

السؤال الذي يتبادر هل وصلت رياح التغيير وآثارها إلى هذه المحلة العريقة ؟؟ إن حمام ميخان قد هجرت، ومئذنة المدرسة السفاحية تميل قليلاً وأبواب كثيرة فتحت في جدار خان الفرايين، وحديقة جامع العادية قد ملأها الأبنية الطفيلية. وورشات ميكانيكية ثقيلة قد ظهرت في خان العلية؛ وأهم من هذا كله تحويل المباني السكنية الجميلة إلى مستودعات وورشات ميكانيكية ثقيلة قد ظهرت في المحلة. فهل من يهتم بالحفاظ على أصالة هذه المحلة العريقة... ؟

محلة السليمانية

لا شك أن بداية ظهور مدينة حلب قد تم وفق أسس عمرانية كانت معروفة منذ بدايات التاريخ. وأن المجموعات الأولى في أي مدينة قديمة كانت تتم على مرتفع من الأرض لأسباب متعددة منها دفاعية، ومنها اتقاء فيضان الأنهر القريبة، وأخيراً لتوفير الأراضي المنخفضة الصالحة للزراعة. وهكذا بنيت حلب الأولى فوق مرتفع القلعة وهضبة العقبة وتلة السودا وغيرها. وحين ظهر ما نسميه تخطيط المدن لدى اليونان والرومان قبل مئات السنين من ميلاد السيد المسيح وظهر ما يسمى بالشارع المستقيم كما في تدمر وأفامية وجرش ودمشق، توسعت مدينة حلب وكان الطريق المستقيم ولا يزال حتى اليوم هو الذي يبدأ بباب أنطاكية وينتهي في سوق الزرب تحت أقدام القلعة. وقد أصبح هذا الشارع المستقيم نواة مدينة حلب قبل ألفين وأربعمائة عام تقريباً.

ظهرت لمدينة حلب كما لغيرها، ضواحي سكنية نشأت خارج الأسوار وقد تحدثنا عن بعضها كالحاضر السليمانى والجديدة وبانقوسا وغيرها وهذا طبيعي في المدن القديمة المزدهرة. وقبل مائة عام ونتيجة لازدياد السكان وازدهار الحياة الاقتصادية توسعت مدينة حلب خارج ضواحيها القديمة، فنشأت أحياء حديثة كالنيال والحميدية والجابرية والسليمانية في الجهة الشمالية وحديثنا اليوم يتناول السليمانية التي تكونت بدءاً من عام ١٣١٣ هـ - ١٨٩٥، ١٨٩٦ م.

لقد كانت حلب في تلك الفترة محاطة في جبهاتها الجنوبية الشرقية والشرقية بكروم الفستق والتين والزيتون والعنب أما في الجهات الشمالية والغربية والجنوبية الغربية فقد كانت محاطة بالبساتين يرويهما نهر قويق والمياه الفائضة من نهر حيلان.

من بساتين الجهة الشمالية بستان النيال وبستان سليمان حلي. وكان هذا من أكبر بساتين تلك الجهة والمتصرف فيه جرجي بن سمعان خياط الحلبي المولد والمنشأ، الموصلي الأصل، كما يصفه المؤرخ الغزي الذي يضيف فيقول : فقد كان البستان المذكور جارياً في تصرفه، وكان يبيع الذراع منه إلى الفقراء ببضعة قروش، ويقسط مجموع القيمة عليهم إلى عدة سنين. ويجري معهم من التساهل مالا يفعل غيره.

وهكذا انتشر العمران في البستان المذكور كما انتشر في بستان النبال قبله، ودعيت المحلة بالسليمانية وأحياناً بالخياط. وضمت طبقة من السكان أقل غنى من الطبقات التي سكنت أحياء المدينة داخل الأسوار كالجلموم والفرافرة أو خارج الأسوار كالجديدة وبانقوسا، كما سكنتها جميع الطوائف، وغلبت عليها طائفة الروم الكاثوليك، وقد بنيت كنيسة القديس بونا فانتورا للآباء الفرنسيين في عام ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م وما زالت قائمة حتى اليوم. وفي عام ١٩١١ م سكن المحلة عدد متزايد من الأرمن فتوسعت المحلة وامتدت وظهرت فيها أزقة وحارات كالرام وتلفون هوائي، وأخذت أسماءها حسب المناسبات فالرام كان مركز تجمع المياه في المحلة، والتلفون الهوائي موضع إنشاء محطة اتصالات لاسلكية أقامها الجيش الألماني الحليف للأتراك العثمانيين خلال الحرب العالمية الأولى.

توسعت المحلة أكثر فأكثر ووصلت حدودها إلى جسر الصيرفي شمالاً ونهر قويق غرباً ونشأت فيها أفران وحوانيت لتأمين حاجات سكانها وفتحت فيها في عام ١٣٣٩ هـ - ١٩٢٠، ١٩٢١ م جادة يصفها المؤرخ الغزي بقوله جادة عظيمة لا مثيل لها في جواد حلب من جهة عرضها وما تؤدي إليه من بساتين حلب ومرتجتها. وفي مكان آخر من كتابه يصف الغزي هذه الجادة فيقول : طريق معبودة مفروشة بالرصاص مدرجة بالدحروجة (يقصد أنها معبدة) أولها من محلة السليمانية بحلب وآخرها مقبرة المسيحيين والفرنسيين الحديثة - التي دفن فيها ضحايا الحرب العالمية الأولى من جنود الحلفاء الفرنسيين - طولها نحو ١٥٠٠ متراً وعرضها عشرون متراً.

والخلاصة ظهرت محلة السليمانية بتخطيطها الحديث حياً حديثاً مكتظاً بالسكان، ويشكل شرياناً حيويّاً ساعد على توسيع المدينة شمالاً وغرباً ولا يزال يلعب هذا الدور إلى اليوم.

لم يبق من مباني حي السليمانية السابق سوى النادر من البيوت التقليدية القديمة وبعض الكنائس القديمة وأصبح حياً حديثاً بمبانيه وشوارعه وساحته وخدماته خاصة إذا قورنت بأحياء المدينة القديمة داخل السور وفي الضواحي القديمة كالجديدة المجاورة له.

ومع ذلك فإن حي السليمانية يشكل مرحلة تاريخية في تطور مدينة حلب لا نزال نذكره بل يجب أن نحافظ على ما تبقى منه خوفاً من أن تضع معالمه أمام تيار الحداثة الجارف.

محلة سراي إسماعيل باشا

منذ القديم وحتى قبل أكثر من مائة عام كانت حلب تتعرض إلى هزات أرضية بين فترة وأخرى. آخرها وأعنفها ما جرى في عام ١٢٣٧ هـ - ١٨٢١، ١٨٢٢ م وكانت شديدة جداً، حدثنا عنها الشيخ المعمر محمد آغا مكانسي. وكان مما قاله إلى للمؤرخ الغزي : - إن أعظم فزعة عرتني مدة حياتي فزعة ارتعدت لها فرائصي وأوقعتني في مهاوي اليأس من الحياة. كنت في ليلة الزلزلة الكبرى.. - ويتابع وقد شاهدها مع أصحابه : (... حتى أوقر أسماعنا دوي كهزيم الرعد وإذا بالأرض قد مادت بنا يمناً ويسرة ثم انتفضت أربع مرات متوالية وإذا بالجلدران تتداعى وتخر السقوف، فيسمع لها جلبة ودوي تقشعر منها النفوس. كل هذا جرى في برهة من الزمن لا تزيد على نصف دقيقة...) وكانت نتائج هذه الهزة الأرضية كما ذكرت المصادر التاريخية خمسة عشر ألف قتيل وتدمير جزء كبير من مدينة حلب تركتها خراباً قرابة خمسين عاماً. لقد كانت الساحات الخربة التي خلفها الزلزال تدعى اختصاراً خرابات. من أكبرها خرابة سراي إسماعيل باشا، وكانت هذه المحلة تتبع في الفترة العثمانية محلة ساحة برة. وقد وصفها مؤرخا حلب الغزي والطباخ بأنها تبلغ عشرة آلاف ذراع شطرنجي، وقد عمرت بعد الزلزال حتى تكاملت عام ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ - ١٩٠٦ م.

نسبت المحلة وهي كما هو معروف داخل أسوار المدينة إلى الغرب من مديرية الأوقاف الإسلامية وجامع الخسروية - حالياً الثانوية الشرعية - نسبت إلى والي حلب إسماعيل باشا بن عثمان باشا في عام ١١٦١ هـ - ١٧٤٨ م. وكانت والدته الحاجة عفيفة، ويظهر أنها اهتمت بهذه المحلة فأنشأت فيها جامع الروضة. ووقف ولدها إسماعيل باشا عليه أوقافاً واسعة خلال ولايته، وقد جدد الجامع واستمر. وكان الشيخ علي الطباخ عم المؤرخ المعروف قد اتخذه مركزاً له بعد أن تلقى العلم الديني على الشيخ أحمد الترماني والشيخ مصطفى الهلالي شيخ الزاوية الهلالية المعروفة، إلى أن توفي عام ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨، ١٨٩٩ م غير أن الجامع دثر بعده ولم يستطع أحد من المؤرخين تحديد مكانه في المحلة. كما دثر معه جامع آخر عرف بجامع الخيمي. أما السراي التي دعت المحلة باسمها فقد وصفها المؤرخ الغزي أنها كانت من الدور الكبيرة الجميلة بحلب فيها بستان ودولاب وماء وأحواض. وقد تكون أهملت حين انتقل بانيتها إلى خارج أسوار المدينة وأسس محلة جديدة عرفت بالإسماعيلية في عام ١١٦٤ هـ - ١٧٥٠، ١٧٥١ م - فقام السيد عبد الرحمن الجوبي بعده ببناء دار كبيرة في مكانها، وكان من المعروفين

بجلب باستقبال الضيوف وإكرامهم. ثم غادرها، فاستأجرتها مديرية التربية في حلب، وجعلت منها مدرسة دعيت بمدرسة الإخاء العربي ثم لم تُبقَ عليها، فخربتها مؤخرًا، وبنت مكانها مدرسة حديثة ضخمة تعرف اليوم بمدرسة الشهباء. لم يبق من آثار محلة سراي إسماعيل باشا سوى جامع أنشأه إسماعيل باشا الوالي بجانب السراي عرف باسمه. وقد جدد أكثر من مرة ولم يبق من آثاره سوى بعض الأعمدة ملقاة في باحته. ويعرف اليوم أيضاً باسم جامع الجوي. كما بنى إسماعيل باشا جامعاً آخر بجانب السراي، وقد دثر أيضاً، فعمره الشيخ حسام الدين الصيني البخاري في عام ١٣١١ هـ — ١٨٩٣، ١٨٩٤ م. ومن الواضح أنه جدد بعد الزلزال المعروف. لقد ضاعت السراي والدار الكبيرة بعدها، ولا يعرف أحد من طلاب مدرسة الشهباء الحالية أن مدرستهم تقوم على أنقاض السراي الجميلة والوحيدة التي عرفت بجلب. فهم يعرفون أن اسم المحلة هو سراي إسماعيل باشا. حتى إن كل ما حول المدرسة من دور قديمة قد بنيت بشكل بسيط بعد عام ١٨٢٢ م ولم يبق من أثر واضح سوى البئر المجاورة لجدار المدرسة الغربي والتي حفرها الحاج عبد القادر بن عمر الشهير بالميسر التاجر المعروف في عام ١٣١٨ هـ — ١٩٠٠، ١٩٠١ م ليستقي منها جميع أهل المحلة. لقد بقيت البئر وحجر الأساس فوقها تذكر عمل الخير هذا بعد مضي تسعين عاماً على حفرها. كما يوجد في المحلة جامع عمري ضاعت وثائقه ومعالمه، حتى الطرقات المبلطة بالحجر الأبيض قد بقي بعضها، إلا أن بعضها الآخر ضاعت معالمه حتى طبقة الزفت. رحم الله إسماعيل باشا إذ لا يزال أهل المحلة يذكرونه صباح مساء. ولا بد أن مجلس مدينة حلب سيحفظ الاسم والذكرى معاً.

حي الجميلية " السليمية "

من الأحياء الحديثة التي نشأت خارج أسوار المدينة القديمة وإلى الغرب منها حي سليمية. ورغم أن هذا الاسم مدون في بطاقة هوية الآلاف من سكان هذا الحي إلا أن القليل منهم يعرف أن حي سليمية هو حي الجميلية الواسع الذي يرقى تاريخه إلى مائة سنة مضت.

في عام ١٢٩٧ هـ - ١٨٧٩، ١٨٨٠ م عين جميل باشا بن نامق باشا والياً على حلب بطلب من أهاليها. وقد عرف عنه اهتمامه بالأعمال العمرانية، منها افتتاح الجادة العظيمة من جسر الناعورة إلى باب الفرج وهو شارع الناعورة حالياً، كما أكمل طريق حلب - الاسكندرونة، وحصل على وسام الامتياز من السلطان.

في عام ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢، ١٨٨٣ م أسس محلة الجميلية، وقد ذكر المؤرخ الغزي فيها حمامين باسم حمام شهاب الدين العجمي وحمام فخر الدين أياس وذكر أن أراضيها كانت وفقاً على المدرسة العثمانية بحلب. وكان أول بناء فيها عام ١٣٠٠، ١٣١٦ هـ - ١٨٨٣، ١٨٨٩ م هو المكتب الإداري الذي دعي فيما بعد بالسلطاني ثم التجهيز الأولى وأخيراً باسم ثانوية المأمون، وكان أول مؤسسة تعليمية على الأساليب الحديثة؛ وفيها افتتح في عام ١٣٢١ هـ - ١٩٠٣، ١٩٠٤ م معرض عام لمنتجات حلب وولايتها الواسعة. وفيها اتخذ باجتماع جماهيري الفتوى بدخول العرب الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ إلى جانب الدولة العثمانية وستحدث عن كل ذلك في مناسبة أخرى.

أما البناء الثاني فكان قصر جميل باشا بني في جنينة بيت الناقوس وكان لا يزال قائماً أمام ثانوية معاوية التخصصية حتى هدم في أواخر عام ٢٠٠٠ م. وجاء بعده علي محسن باشا القائد العام لحامية ولاية حلب الواسعة فبنى قصره مع حديقة واسعة شمالي جدار ثانوية المأمون وهو البناء الذي اتخذ مندوب المفوض السامي الفرنسي بحلب مسكناً له وكان يعرف ببيت الجنرال - ثم أصبح بعد الاستقلال مدرسة الوليد بن عبد الملك وهدم مؤخراً ليحل محله بناء حديث ضخم.

وفي عام ١٣٠٤ هـ - ١٨٨٦، ١٨٨٧ م ورد الإذن من استنبول بإحداث المحلة رسمياً. وسميت بالسليمية نسبة إلى سليم أفندي بن السلطان عبد الحميد خان الثاني. ورغم ذلك فلم يقبل أهالي حلب على السكن فيها للملوحة مياه آبارها واضطرابهم إلى بناء الصهاريج لجمع ماء

المطر، ولكثرة بعوضها إذ ليس فيها مصارف للمياه المالحة، وقرب نهر قويق منها. وأهم من ذلك كله الخوف من اللصوص وقطاع الطرق الذين عاثوا فيها الفساد إلى أن أنشئ مخفر للشرطة فيها.

وفي عام ١٣١١ هـ - ١٨٩٣، ١٨٩٤ م بنت بلدية حلب مبنى لسكن ولاية حلب أصبح فيما بعد داراً للمعلمات باسم سليمان الحلبي تحت إدارة مدير المكتب السلطاني، وقد عرفت فيما بعد باسم ثانوية معاوية التخصّصية للبنات. وفي عام ١٣١٧ هـ - ١٩٠٠ م بنيت أول دار للسكن للأهالي كانت وقفاً للمدرسة العثمانية، وكانت مطلة على المكتب الإعدادي السلطاني. وفي عام ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠، ١٩٠١ م بنى عبد الرحمن ذكي المدرس الجامع الحميدي على أسلوب المدرسة العثمانية ولكن بحجم أصغر وما زال قائماً إلى اليوم، وكان التدريس فيه للشيخ بشير الغزي ثم لأخيه الشيخ كامل مؤرخ حلب المعروف وهكذا ظهرت معالم الحي الجديد وبدأ السكن فيه، إلا أن معظم سكانه كانوا من الأغراب والموظفين والمنفيين من قبل السلطان عبد الحميد.

ثم انتقلت إليه الطائفة الموسوية من حي بحسيتا، وشكلت أكثرية السكان، وكان لها أكثر من كنيسة. ومن بعدهم أتى الأجانب ثم المهاجرون من ماردين. ولما ازداد إعمار منطقة باب الفرج في عام ١٣٣١ هـ - ١٩١٢، ١٩١٣ م وهي المنطقة الأقرب إلى حي الجميلية، وعاد المنفيون إلى بلادهم بعد سقوط السلطان الطاغية عبد الحميد عام ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م أقبل أهالي حلب على السكن فيها، فعمر مستشفى القديس لويس المعروف بمسشفى فريشو عام ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧، ١٩٠٨ م وقد أسسته رهبنة ماريوسف، ولا تزال تعمل فيه. كما عمّرت محطة الشام لسكة الحديد في عام ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥، ١٩٠٦ م وكان لاختيار موقعها مناقشة طويلة ستحدث عنها في مناسبة أخرى..

وفي عام ١٣٣٩ هـ - ١٩٢٠، ١٩٢١ م عمر الميتم الإسلامي مكان بيت الناقوس وأصبح فيما بعد مقر ثانوية الفنون النسوية حتى اليوم... وهكذا عمّرت المحلة، وأصبح تعداد منازلها ٢٢٠ بيتاً وعدد سكانها ١٧٣٥ نسمة في عام ١٩٢٢ م حين وضع المؤرخ الغزي كتابه.

وبعد : لقد هدم قصر علي محسن باشا، وشوه بناء ثانوية معاوية الجميل بسيطرة المسرح المجاور عليه، وكان يفضل أن يبني وراء الثانوية. فهل نبقي الآن على بعض أوابد هذا الحي للذكرى والتاريخ؟؟

محلة سويقة حاتم

الخلاف حول القديم والحديث موجود منذ الأزل وهو يشكل مظهراً من مظاهر الحياة الإنسانية، كما أن الحفاظ على الأبنية التاريخية كان مثار جدل، ولا يزال. أما حفظ وصيانة التراث القومي من علم ومعرفة وبناء، فهذا أمر يستحق من كل مواطن واع الاهتمام الكبير لارتباط التراث بالحاضر والمستقبل، وبمعنى آخر قد يختلف اثنان حول طريقة للعمل أو الحديث أو اللباس أو حتى التفكير. أما أن يختلف حليان حول إزالة قلعة حلب فهذا باعتقادي أمر بعيد وبعيد جداً. ورغم ذلك فالكثير من تراثنا يزول أمام أعيننا وبسرعة وسهولة كبيرتين.

قبل عام ١٩٥٦ م كانت محلة سويقة حاتم من - أشهر حارات حلب وأعمارها، مبانيها متزاحمة، السكنى فيها مرغوبة، كما يقول المؤرخ الغزي. كانت هذه المحلة تضم الجوامع والمساجد والمزارات والمدارس والخانكاهات والبيمارستانات والحمامات ودور الحديث، وفي مقدمتها الجامع الأموي الكبير؛ إذ كانت المحلة تقوم حول بابيه الغربي والشمالي المعروف بالجراكية، أي أنها كانت تمتد من الباب الغربي باتجاه الشرق، وتضم قسماً من زقاق أو سوق الزهراوي لتصل حتى خان الوزير أي أنها كانت في مكان الشارع العريض والأبنية على جانبيه والذي يصل بين الجامع الكبير ومبنى المطبخ العجمي مع مرآب السيارات أمام جدار الجامع الكبير الشمالي سابقاً. ومن المعروف أن هذا الجدار مع الباب الشمالي بنا في الستينات من هذا القرن. وهكذا يتبين لنا حجم محلة سويقة حاتم التي زالت فجأة من الوجود وبكاملها؛ حتى جدار الجامع وبابه الشمالي لم يسلم من الهدم والتجديد تماماً.

لم نر في المصادر المتوفرة سبباً للتسمية أما تسميتها بالسهلية أو السهيلية، فرمما نسبة إلى يعقوب بن أبي سهل الذي ينتهي نسبه إلى الإمام جعفر الطيار والذي سكن أحد أحفاده في المحلة...

إن أقدم مباني هذه المحلة هو بلا شك الجامع الأموي الكبير. وقد جدد أكثر من مرة لكن مؤذنته الحالية وقد بنيت عام ٣٨٠ هـ - ٩٩٠، ٩٩١ م هي أقدم أثر باق في المحلة. ثم إن حمام الواساني أمام جامع حاج موسى الأميري أو جامع الخير وكان يقال إن فيه جرنًا مقدسًا يترك الناس بزيارته. ثم مسجد ومزار نبي الله شمعون، وكان يعرف بمسجد سويقة حاتم ثم بنيت فيما بعد المدرسة الشرفية وكانت أول مدرسة في حلب في عام ٥١٧ هـ - ١١٢٣، ١١٢٤ م وتعرف اليوم بالمكتبة الوقفية، وهي في مدخل سوق النسوان. وسنبحثها فيما بعد لأهميتها. وقد

ذكر ابن الشحنة خانقاه الملك المعظم التي بنيت عام ٥٣٦ هـ - ١١٤١، ١١٤٢ م، وجدها الملك الظاهر ومظفر الدين كوكبوري عام ٦٣٠ هـ - ١٢٣٢ م وعرفت بخانقاه الزينية وقد عاصرها المؤرخ الطباخ ووصفها. أما زكي الدين بن رواحة المتوفى ٦٢٢ هـ - ١٢٢٥ م فقد بنى المدرسة الرواحية التي هدمها تيمورلنك، ثم جددت، ثم دثرت ثانية. وجاء بعده يمين بن حمزة كاتب بكلمش، فبنى دار حديث على مذهب أبي حنيفة عام ٧٧٦ هـ - ١٣٧٤، ١٣٧٥ م بقيت قائمة حتى نهاية القرن الماضي وبجانبها المدرسة السمشية وبیمارستان ابن خرخاز بجانب الباب الشمالي للجامع الكبير الذي أصبح فيما بعد داراً للكحالين يداوون بها أمراض العيون. أما دار الحديث السهلية فقد عاصرت دار السيد حمزة والتي جدها محمد الكيالي مدير أوقاف حلب عام ١٨٦٢ م وكانت تعرف بالزاوية الجبغرية. وقد ذكر أبو ذر المتوفى عام ٨٨٤ هـ - ١٤٧٩، ١٤٨٠ م حمامين في المحلة لابن عصرون باني المدرسة العسرونية، وكانت قائمة قرب مكان البناية العسرونية الحالية وراء خان الوزير عرفت إحداهما بالابارين والثانية بالنعيم ثم صارت لابن مشكور عبد الله الحلبي ناظر الجيش الذي وقفهما على رباط في القدس، ثم حمام الابرية ذكرها ابن الشحنة المتوفى عام ٨٩٠ هـ - ١٤٨٥ م، فضلاً عن دار حديث أنشأها أحمد موتياش باشا والي حلب عام ١٠٠٤ هـ - ١٥٩٥، ١٥٩٦ م وكانت من أوقاف خان الطاف الذي بناه. وقد عاصرها المؤرخ الغزي في أوائل القرن العشرين، ثم المدرسة الجاولية التي أنشأها عفيف الدين جاولي، وهدمت نهائياً عام ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥، ١٩٢٦ م. وكان للمدرسة الرضائية - العثمانية أوقاف في المحلة ومنها حمام في زقاق الشهبندر بنيت عام ١١٥٢ هـ - ١٧٣٩، ١٧٤٠ م أدخلها الحاج عبد القادر أفندي الجابري في سوق التوكل المعروف اليوم باسم سوق حاجي أفندي. كما كان في المحلة الخانقاه السمشية، ولم يذكر أين محلها ثم المدرسة الجبغرية التي عاش فيها حسين الدركزلي المتوفى عام ١١٧٧ هـ - ١٧٨٧ م وسبيل أحمد بن خليل الخباز التونسي المعروف بالجزماتي، وقد بناه عام ١١٨٦ هـ - ١٧٧٢، ١٧٧٣ م وكانت أوقافه كثيرة. وأخيراً زاوية الكيالي التي جددت عام ١٢٠٢ هـ - ١٧٨٧، ١٧٨٨ م وكانت والدتي تأخذني معها حين تود زيارتها لتحقيق رغبة تريدها، فتطرق باب الزاوية، وتطلب المدد...

إن هذا العدد الكبير من دور العلم والعبادة دثر بسرعة كبيرة عام ١٩٥٦ م، وحل محله شارع واسع فتح لدخول السيارات، فتنشر ضجيجها، وتلوئتها للبيئة... - يذكر اليوم عدد قليل سويقة حاتم. وسينسى الجيل الجديد كل هذا التراث - فهل يكون هذا عبرة لنا لنحتفظ بالبقية الباقية. أرجو ذلك.

محلة سويقة علي

يلاحظ الدارس لتطور مدينة حلب في تاريخها الطويل، أن مركز المدينة الإداري والتجاري قد انتقل من مكان إلى آخر. فهو في الألف الثاني قبل ميلاد السيد المسيح، في قلعتها وربما في موقع حي العقبة. وفي الألف الأول هو في شارعها القديم الذي يمتد من موقع باب أنطاكية وحتى القلعة مروراً بساحة المدينة الرئيسية حيث توجد الحلوية والجامع الأموي الكبير. أما في عصرنا الحاضر بعد الميلاد والهجرة فهو في جميع هذه المواقع وفي مراكز أخرى كمنطقة الجلوم وأسواق المدينة القديمة أي ضمن أسوار حلب وأبوابها، وفي ضواحيها المتعددة التي لم يبق منها سوى الضاحية الشمالية المعروفة بالجديدة وجزء من بانقوسا.

حديثنا اليوم عن أحد مراكز حلب هو حي سويقة علي أو السويقة الذي يقوم بدراساته عدد من الخبراء الفرنسيين بإشراف الجغرافي المعروف جان كلود دافيد، وأشار بهم فيها منذ أكثر من سنتين، فقد كان هذا الحي مركز المدينة في الفترة المملوكية التي تمتد بين عامي ١٢٥٠ و ١٥١٦ م رغم أن بعض مبانيه تعود إلى فترة الحكم المرداسي التي امتدت بين عامي ١٠٢٥ و ١٠٨٠ م والبعض الآخر إلى عام ٥٠٩ هـ - ١١١٥ م ومعنى هذا أن تاريخ هذا الحي يمتد أكثر من ثمانمائة وخمسين سنة إلى اليوم.

إن أقدم وثيقة لدينا تذكر اسم الحي، تتحدث عن حكر حمام علي من بين أوقاف المدرسة العسرونية التي كانت في مكان بناء العسرونية الحالي. وأخرى تتحدث عن مسجد علي. وفيه قبر علي العريقي الذي ينسب إليه هذا الحي أوردها المؤرخ ابن شداد المتوفى عام ٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م وذكر المؤرخ الغزي هذا المسجد، وكيف أنه احترق عام ١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م، وبني على أنقاضه مسجد آخر دعي بمسجد سيجر، ربما باسم بانه، ثم جدد مدير الأوقاف السيد محمد الكيالي في عام ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ - ١٩٢٦ م ويعرف اليوم لدى الجوار باسم جامع السيجري جانب خان التوتون وقرب سوق حاجي أفندي الذي كان يعرف سابقاً باسم سوق التوكل.

أول مباني هذا الحي هو خان الست، ذكر في وثائق الحكم المرداسي في القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي ويعرف اليوم بخان الكتان. ثم زاوية أصلان دادة في عام ٥٠٩ هـ - ١١١٥، ١١١٦ م التي توسعت في الفترة العثمانية، وقد بني إلى جانبها قصر الأمير حسن بن الداية الأخ غير الشقيق لنور الدين زنكي عام ٥٤١ هـ - ١١٤٦ م والمعروف اليوم ببقاياها بالمطبخ العجمي؛ وإلى

جانبه المدرسة النارجية وستحدث عنها مفصلاً. ثم جاء بنو العدم وشيدوا دورهم في الحي عام ٧٣٧ هـ - ١٣٣٦، ١٣٣٧م إلى أن هدمها تيمورلنك، وفي عام ٧٥٠ هـ - ١٣٤٩، ١٣٥٠ م بني جامع الفستق والمدرسة الصحابية أو الصحابية.

ولما ازدهرت المنطقة تجارياً بني فيها أجمل خانات حلب وهو خان أبرك أي خان الصابون، و خان خاير بك. ثم تكتمل سوق المحلة - السويقة. ولا شك في أن وجود هذه المباني ثم وجود عدد كبير من المدارس كالجوشنية والأقصراوية والصلاحية والقصماوية والجامجية، وعدة أفران ومصابغ وسبلان لا يزال أحدهما قائماً بجانب مدخل خان جامع موسى الكبير للدليل كبير على ازدهار هذا الحي في الفترة المملوكية.

وفي فترة الحكم العثماني، وبعد أن بني الحاج موسى الأميري جامع الخير في عام ١١٧٧ هـ - ١٧٦٣، ١٧٦٤ م والخانين المعروفين باسمه أوقافاً له بالإضافة إلى عشرات الدور الكبيرة له ولأسرته ولعقائه، توسعت المحلة وازدهرت أكثر؛ فبني خان الوزير والبردغخانة المعدة لصقل الأقمشة، ولا تزال قائمة، و خان قورت بك المملوكي - العثماني و خان الدق، و العدسات لطحن الحبوب والأوتيل في خان الدوه لك ومقهى نور العين، ومصبغة شمال خان حاج موسى الأعوج، وكثير من الأوابد سيأتي الحديث عنها مفصلاً.

وهكذا عمرت المحلة وسوقها - السويقة - فوصفها المؤرخ الغزي بقوله في أوائل هذا القرن : إنها أعمر محلات حلب وأعظمها موقعاً وأكثرها أسواقاً وأروجها تجارة، جيدة الهواء غزيرة المياه. ونضيف نحن فنقول : إنها كانت مركز مدينة حلب ومقر ولائها الماليك بقيت مزدهرة وانتعشت بعد الاستقلال وحتى السبعينات، فكانت مركز استيراد وتصدير على المستوى الدولي والمحلي، سيطرت اقتصادياً على أسواق المنطقة وخاصة تركيا المجاورة. فقد كان في حي سويقة علي أكبر المخازن وأجمل الدور وأقدمها، إذ لا تزال فيها أقدم دور السكن في حلب في عهود أسبق من الفترة العثمانية وستظهر الدراسة التي تجري الآن أهمية هذه المحلة العريقة.

ولكن.. تفقد هذه المحلة والسوق فيها، باستمرار، طرازها المعماري القديم، وتتحول الدور الرائعة فيها وخاصة دور آل الأميري إلى ورشات لطحن الزعتر وغيره وإلى مستودعات ضخمة لقربها من السوق، حتى إن الاعتداء يصل إلى السبيلين الأثرين فيها، فهل نبادر إلى الاهتمام بها جدياً فنحفظ تاريخنا وبلدنا العريق.. ؟

محلة الهزازة أو محلة السيد علي

يعتبر القطر السوري بين أكثر البلاد العربية تزايداً للسكان وإن متوسط عدد أفراد العائلة السورية يتجاوز السبعة أفراد، ولهذا فإن عدد المدن في القطر والتي يزيد عدد سكانها عن المليون نسمة سيزيد في المستقبل القريب.

لقد كان عدد سكان مدينة حلب في أوائل القرن العشرين الذي انقضى مائة ألف نسمة، وإن المدينة تتوسع باستمرار ويتحمل القسم القديم منها ضغطاً متزايداً ليستوعب أكثر فأكثر تزايد السكان مع هجرة الريف والهجرة المؤقتة والعمال المياومين وغيرهم، وأن الضواحي القديمة خارج الأسوار تتحمل النصب الأكبر، وخاصة الضاحية الشمالية المعروفة بالجديدة وأحيائها المتعددة. من هذه الأحياء محلة الهزازة التي وجدت قبل أكثر من ألف عام : فقد ذكر المؤرخ ابن العديم المتوفى عام ٦٨٨ هـ - ١٢٨٩ م في كتابه زبدة الحلب في تاريخ حلب هجوم إمبراطور الروم نقفور على حلب عام ٥٣١ هـ - ٩٦٢ م فقال : ((... وكان سيف الدولة على بانقوسا، ووردت عساكر الروم إلى الهزازة...)).

فالهزازة وجدت في فترة الحكم الحمداني وكانت كبانقوسا مركز قتال ضد الروم. كما ذكر المؤرخ ابن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ هـ - ١٢٨٥، ١٢٨٦ م في المحلة حماماً في بستان كافي اليهود بالهزازة، واثني عشر مسجداً فيها. ثم جاء المؤرخ أبو ذر المتوفى عام ٨٨٤ هـ - ١٤٧٩، ١٤٨٠ م وابن الشحنة بعده فأكدوا على عودة الحمام إلى العمل. وهذا دليل واضح على أن المحلة كانت مزدهرة في الفترة المملوكية الممتدة بين أعوام ١٢٥٠ - ١٥١٦ م عام مجيء الاحتلال العثماني. وأكد المؤرخ الغزي المتوفى عام ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م بقوله إن تخطيط هذه المحلة كان في أواخر أيام المماليك الجراكسة.

لا ندري سبب تسمية الهزازة، فلم نحصل على نص تاريخي، وإن كانت الروايات تنسج الكثير حول هذه التسمية التي عاشت ألف عام ونيف إلى أن طغى عليه اسم محلة السيد علي التي لم تكن محلة سكنية، فقد كانت هذه مقبرة عامة نسبت إلى السيد علي بن السيد علاء الدين العجمي والهمداني. وقد ذكر المؤرخ أبو ذر المتوفى سنة ٨٨٤ هـ - ١٤٧٩، ١٤٨٠ م أن السيد علي كان يعظ الناس بجامع الزكي، ويفسر القرآن والتوراة والإنجيل حتى إن يهودياً سمعه من الشباك فأسلم. توفي السيد علي عام ٨٦٣ هـ - ١٤٥٨، ١٤٥٩ م، ودفن في مقبرة القطب

ابن العجمي، والغريب أن ينسى الناس اسم القطب ابن العجمي، وينسبون المقبرة إلى السيد علي، وربما لأن قبة ضربت فوق المقبرة، وفي التاريخ يحدث كثيراً أن ينسى الناس الاسم القديم لأي مكان، إذا لم يكن هناك من يحميه ويقدره.. لم تسلم مقبرة السيد علي في عام ١٣٠٩ هـ - ١٨٩١، ١٨٩٢ م من اعتداء الجوار عليها. فقد زحفوا عليها، وبنوا بيوتهم فيها؛ مما اضطر أصحاب القبور إلى منعهم من تعديهم وباعوا - كما يذكر الغزي - بعض قطع منها، وصرفوا أثمانها على سياج أداروه عليها.. وهكذا يتبين لنا أن بداية السكن في مقبرة السيد علي كان في عام ١٨٩١ م أي قبل مائة عام. غير أنه لم يكن بكثرة حيث يملأ المقبرة بكاملها، فقد ذكر المؤرخ الطباخ حين وضع كتابه عام ١٩٢٥ م عدة قبور معروفة في المقبرة.

توسعت محلة السيد علي كثيراً بالمقارنة مع محلة الهزازة الصغيرة والتي بقيت لها أهميتها وخاصة حين بنى فيها جمال باشا السفاح في عام ١٣٣٥ هـ - ١٩١٦، ١٩١٧ م خزان الماء القديم في موقع مبني الإطفائية القديم لجلب إليه ماء عين البيضاء بالقرب من عين التل ليسقي جنوده وأهالي حلب بالتالي، وبعد أن شحت مياه حيلان، ولم تعد تكفي المدينة فضلاً عن ازدياد تلوثها. وقد ساعد وجود الخزان على توسيع محلة السيد علي في البداية ثم تكاثر السكان الكبير، فبنى جامع السيد علي الحالي في محلة الهزازة بالذات، بعد أن أصبح مسجد الشيخ عبد الله القديم لا يكفي جموع المصلين، وبعد أن ازداد عدد السكان المسلمين على عدد السكان من الطوائف المتعددة. لقد بقيت محلة الهزازة ذات الألف عام محلة عريقة، وتوسعت محلة السيد علي كثيراً، لكن التحديث طغى على الاثنين معاً فأضاع هويتهما، ولم يبق لهما سوى الاسم.

محلة شاهين بك

قبل زمن قصير، كان المركز الإداري لولاية حلب الواسعة في حي قديم داخل الأسوار، وفي دار واحدة وصفها المؤرخ الغزي بأنها تضاهي محلة عظيمة. عرف هذا الحي باسم العوينة أو شاهين بك. سميت محلة العوينة نسبة إلى عين ماء تنبع من جبل الحوار بجانب المدخل الحالي لحي الجبيلة. وكان أهالي حلب يغتسلون فيها قبل فجر يوم السبت لاعتقادهم بأنها تساعد على الشفاء من أمراضهم. كما كانت مياهها تغذي قسماً كبيراً من أحياء حلب منذ عام ٩٣٥ هـ - ١٥٢٨، ١٥٢٩ م. وفي عام ١٣١٧ هـ - ١٨٩٩، ١٩٠٠ م بني بدلاً من القسطل الذي كان بجوارها؛ حوض ضخّم زود بمضخة لرفع الماء عن طريق دولا ب عال بحركة الهواء كالدولا ب الحالي في منتزه السبيل، لتغذية محلة باب الفرج. وكان في الحي أكثر من مدار، ومسجد عمري فوق القسطل، وباب الأربعين وتكية القرقر، وقد تكون التسمية وتعني الأربعين قد جاءت من الباب المجاور لها. ودار الحكومة أي المركز الإداري المذكور سابقاً. والذي بقي جزء منه قائماً إلى الشمال من مبنى قسم الهجرة والجوازات السابق.

وفي عام ١٣٠٨ هـ - ١٩٠٠، ١٩٠١ م فتح شارع الكواكي الذي يصل خندق القلعة الشمالي بخندق المدينة عند منعطف السراي. فهدم الحوض وزالت عين الماء، كما هدم المسجد العمري وبني بدلاً منه الجامع الصغير الذي يقوم حالياً في منتصف شارع الكواكي. ولم يبق إلا زاوية القرقر أمام مبنى قسم الهجرة والجوازات.

أما دار الحكومة أو ما عرفت بالسراية العتيقة، والتي بقيت حتى عام ١٩٣٠ م المركز الإداري الوحيد. والتي لم يبق منها اليوم سوى الباب الحديدي الضخم وجزء صغير من البناء الأساسي؛ فقد أسسها أحد أغنياء الطائفة الموسوية، ثم آلت إلى ورثة الحاج حسين البابي جد عائلة بني الميسر الحالية وصاحب الأوقاف الكبيرة في حلب ١١٦٠ هـ - ١٧٤٧ م. ثم اشتراها واقف المدرسة الأحمدية ضمن أسواق المدينة، محمد أفندي بن أحمد طه زاده الجلي عام ١١٦٨ هـ - ١٧٥٤، ١٧٥٥ م، ثم اشتراها إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا والي مصر حين حارب الدولة العثمانية، واحتل سورية عام ١٢٤٧ هـ - ١٨٣١ م وجعلها مقراً له. ولما انسحبت الجيوش المصرية من سورية عام ١٨٤٠ م أصبحت مقراً للولاية العثمانية. وفي عام ١٢٩١ هـ - ١٨٧٤، ١٨٧٥ م أصبحت داراً للعدلية ضمن دوائر الملكية ودار البريد والبرق والبلدية وثلاثة سجون. غير أن

أكثر هذه الأقسام زالت كما هو معروف مع زوال السجن القديم، وبقيت دوائر العدلية. وهي اليوم مدرسة أبي عبيدة بن الجراح. وهكذا زال المركز الإداري الضخم مع زوال محلي العوينة وشاهين بك وكان العاملون في هذا المركز يشرفون على ولاية تمتد من أضنه حتى تخوم دمشق. ولا يزال كثير من المعمرين يذكرون مقر محافظ حلب فيه قبل عام ١٩٣٩ وهو الجزء الباقي إلى اليوم.

لا أدري لماذا غاب عن الجميع الحفاظ على السراي. ولم تحتفظ بها كما تفعل كل شعوب العالم حين يحافظون على أوابدهم التاريخية للأجيال القادمة تاريخاً حياً.

فهل نبقى على البقية الباقية؟

حي الشرعسوس

باسم الحداثة، وسعيًا وراء الحديد من أي مصدر جاء، والتقليد، كل ذلك أفرغ ويفرغ المدينة القديمة من سكانها والذين يترحون إلى الأحياء الحديثة ويخلفون وراءهم دورهم التقليدية. إننا لسنا اليوم في صدد المقارنة بين تلك الدور والطوابق، وإنما سنبحث في بعض نتائج عمليات التروح والتي بدأت قبل خمسين سنة...

حي الشرعسوس، أحد أحياء ضاحية حلب الشمالية القديمة خارج الأسوار والمعروفة بـ الجديدة - كان سكانه من المسلمين ومن جميع الطوائف وهذه كانت تشكل نسبة عالية كما في الأحياء المجاورة مثل : العاشور والناصر والشابورة والماوردي والقبب وغيرها... وربما كانت له ميزة خاصة، نستخلصها من التسمية إذ يذكر المؤرخ الغزي أن الاسم محرف عن الشرعيتي أي المتشرع، وربما سكن فيه قاضي الشرع ؟.

بني في وسطه بين عامي ١٢٤٩ و ١٢٥٠ هـ - ١٨٣٣، ١٨٣٥ م كنيسة جميلة على اسم القديس جرجس، ويذكر الرواة كيف أن المحتفلين بعيدة يزورون الكنيسة جماعات، وبعض النسوة يأتين حافيات ومعهن نذورهن. وإلى جانب الكنيسة جامع زاوية الشيخ عبد الله والقسطل المجاور له الذي يؤمن توزيع مياه قناة حيلان على الحي كله، وفي مدخل الحي الجنوبي جامع الفتال. والجامعان لا يزالان قائمين...

ساهم حي الشرعسوس في النهضة التعليمية الأولى في مدينة حلب فقد كان إلى جانب الكنيسة مدرسة لتعليم العلوم العصرية واللغات، وتؤهل الطلاب إلى المدارس العالية. وكانت تضم مائتين وخمسين طالباً بينهم عدد من المسلمين، ولا يزال الجيل القديم يذكر الكثير عنها...

عرف حي الشرعسوس كالأحياء المجاورة، تقاليد رائعة لا يزال سكانه يذكرونها، فقد كان ساكنو الحي يتعاونون جميعهم على تنظيف حيهم ويعمدون إلى غسل بلاط الشارع كل يوم سبت. ويتزاورون فقيرهم وغنيهم في اليوم التالي. ففي الحي دور كبيرة وجميلة ودور أخرى بسيطة بجوار بعضها بعضاً. وعلى غرار جميع أحياء حلب القديمة داخل الأسوار وخارجها كان للحي بابان كبيران أحدهما في الشمال والآخر في الجنوب يغلقان مساءً، فيصبح الحي داراً واحدة وعائلة واحدة، وخاصة أمام أحداث فئات الحامية الانكشارية التي كانت تعيث الفساد في المدينة بين آن وأخرى، وخاصة حين تتأخر أجورهم المرسلة من السلطان...

إن زيارة هذا الحي اليوم بحالته الراهنة تجعلنا نلاحظ أن الحي ما زال يحافظ على نسيجه العمراني المنسجم كما كان منذ بداياته: بدوره وأزقته وبواباته وملاقف الهواء - بادنج - على أسطحته. وهي مكيفات رائعة تعمل بدون قدرة كهربائية، والخواجز القرميدية الجميلة بين السطوح تمنع الرؤيا، ولكنها لا تمنع الشمس والهواء كما بقي بلاط الشارع أيضاً، وآثار الأبواب التي كانت تغلق. كما بقي للحي هدوءه الرائع وملاعب الأطفال بعيداً عن السيارات والدراجات القاتلة...

ولكن... نزح جميع سكانه الأساسيين إلى الأحياء الحديثة، وأهملت العناية وخاصة النظافة وأغلقت المدرسة ثم الكنيسة في عام ١٩٦٨ م، بعد ثلث قرن من النشاط. ونقلت روائعها إلى كنيسة حديثة بنيت بنفس الاسم. وتبدل وجه الحي السابق؛ ومن يدري، فقد يعود الحي إلى مجده السابق إذا حافظنا عليه، ويعود الأحفاد إلى بيوت الأجداد - وبدأت الهجرة المعاكسة فعلاً - في حلب وغيرها - وتعود التقاليد الرائعة، وتعود مدينة حلب القديمة إلى ماضيها التليد...

محلة الشمالي

أليس من المستغرب أن يجهل ساكن المحلة أو العامل فيها، اسم محلته فيطلق عليها اسماً يسمعه أو يخترعه، وفي الحالتين لا يمت إلى الاسم الصحيح بصلة. حتى إنه لا يحاول أن يسأل عن الاسم الصحيح. ويأتي أحدهم وقد يكون غريباً، فيطلق اسماً كيفما اتفق. وبذلك يضيع الاسم شيئاً فشيئاً ولا يعود له وجود إلا في باطن الكتب. وقد يقدر له أن يظهر في معرض الذكريات أو البحث العلمي، أو لا يظهر.

محلة - الشمالي - في حلب من أكثر المحلات نشاطاً يقصدها أغلب أهالي المدينة لشراء حاجاتهم اليومية، فهي للسكن فضلاً عن أنها سوق نشيط يرتاده الجميع. في المحلة خان وجامع وثلاث قيسريات ومقهى وحمام وفرن وسبيل وعشرات المخازن. وأكثر من فيها لا يعرف اسمها ولا اسم صاحب الوقف الكبير فيها؛ فيدعونها تارة باسم محلة الجديدة أو سوق الجديدة، أو سوق الدجاج أو سوق بهرم، حيث فيها حمام جميل بناه بهرم باشا والي حلب في القرن السادس عشر وأمامه جزيرة من الأبنية هي جامع إبشير باشا ومقهاه والخان وبقية المحلات التي ذكرناها...

إن محلة الشمالي واحدة من عدة محلات تتشكل منها الضاحية الشمالية لمدينة حلب خارج الأسوار. فهي شمالي خندق المدينة القديمة - شارع الخندق - الممتد من باب الحديد إلى باب الفرج والتي تشكلت منذ القرن الحادي عشر الميلادي. أراضي المحلة حكر للمدرسة الحلوية، وحين حكم حلب الوالي مصطفى إبشير باشا للمرة الثانية عام ١٠٦١ هـ - ١٦٥١ م بنى في المحلة بعد الوالي بهرم باشا أوقافاً ضخمة: الجامع في الزاوية الشرقية - الشمالية وعشرات الأبنية أوقافاً له - الخان والقيسارات والمقهى و... - وكتب صكاً مستفيضاً. وكان جزء من ريع الوقف يرسل إلى العاملين على خدمة الحرم الشريف والأماكن المقدسة في الحجاز. يقول المؤرخ الغزي في كتابه نهر الذهب في تاريخ حلب الذي طبع أوائل هذا القرن العشرين: -... وريع هذا الوقف أخذ بالزيادة يوماً فيوماً، وربما يبلغ سنوياً في هذه السنين ألفي ذهب عثماني وزيادة -...

الملاحظ أن محلة الشمالي بكل أقسامها، لا تزال تحتفظ بنسيجها العمراني القديم الذي يعود إلى القرن السابع عشر كما تحتفظ بفعاليتها الاقتصادية القديمة تقريباً، غير أن المقهى ويقوم حالياً أمام بوابة الياسمين المؤدية إلى سوق الصوف حيث متحف التقاليد الشعبية وكان يعد من أجمل

مقاهي حلب بأعمدته الرشيقة وقبابه اللطيفة وواجهاته المزخرفة - والذي استعمل أكثر من مرة مقهى ومخفراً للشرطة ومطبخة... قد شوه مؤخراً. ونأمل يوماً أن يزول هذا التشويه ويعود إلى حالته الأولى خاصة وأن وزارة السياحة - كما علمت تعد مشاريع سياحية في المنطقة على غاية الأهمية...

لقد صدرت مؤخراً دراسة علمية رائعة عن وقف بشير باشا، قام بها المركز الوطني للبحث العلمي في باريس - فرنسا، أظهرت هذه الدراسة فن العمارة وتقنية البناء العالية في القرن السابع عشر في حلب. ونحن بدورنا نرجو لهذه المحلة ولهذا المباني الوقفية أن تحتفظ بأصالتها، فلا تصيبها الحداثة بأكثر مما أصابتها حتى الآن.

محلة الشميصاتية

ينتشر اليوم بائعو الزهر في جميع أنحاء المدينة القديمة والحديثة على السواء بمخازن متفرقة. وحين لم تكن المدينة الحديثة قد وجدت؛ كان في أحد أحياء حلب القديمة سوق خاص للزهر في محلة تدعى - الشميصاتية - . هذه المحلة واحدة من عدة محلات تشكل ضاحية بانقوسا الواقعة خارج أسوار المدينة القديمة في الطرف الشمالي الشرقي بالقرب من باب القناة أو باب الحديد كما هو معروف حالياً وهو أحد أبواب حلب القديمة، الموجودة حتى الآن.

يذكر المؤرخ كامل الغزي في كتابه نهر الذهب أن تسمية المحلة محرفة عن الكلمة التركية - سميذاتلي - ومعناها ذات اللحم السمين، ويعتقد أنه ربما كان يباع فيها لحم الأغنام الجيدة، بينما أورد الأستاذ عبد الفتاح القلعجي في كتابه "حلب" أن المحلة نسبت إلى جماعة سكنتها جاءت من سميساط مدينة على شاطئ الفرات من طرف الروم غربي الفرات، ولها قلعة في قسم منها يسكنها الأرمن ونحن لا نستبعد هذا الرأي، لأن مدينة حلب كانت مقصد كثير من الجماعات الذين جاءوا من الشمال وحتى من هنغاريا المجر - كما أن الأرمن سكنوا هذه المحلة مع طوائف أخرى، ثم نزحوا عنها.

لا تزال هذه المحلة قائمة - وهي بالقرب من محلة ابن يعقوب في حي بانقوسا - وكانت أكبر محلات حلب القديمة - إذ إن وجودها في أطراف المدينة الشمالية الشرقية جعلها تضم مناطق واسعة منها : الجبل الأحمر الذي تقوم عليه ثكنة إبراهيم باشا المصري، بالإضافة إلى منطقة الشيخ فارس في حي الهلك وأيضاً قرية بابلي - حالياً منطقة باب الله - أي أن هذه المحلة تحيط بمدينة حلب حتى تصل إلى أطرافها الشمالية البعيدة.

كانت هذه المحلة حياً كاملاً، ففيها أبنية السكن المنتشرة في زقاق الطليعة التي يصعد فيها الإنسان قاصداً الثكنة - وإلى طليعة الماملي نسبة إلى إحدى العائلات فيه وزقاق المدار وغيره... وفي هذه المحلة حمامان حمام الأفندي أو هنانو، وهو من أوقاف التكية المولوية الموجودة في حي باب الفرج، والحمام الجديد، وهو من الفترة المملوكية وتاريخه يعود إلى سنة ٨١٠ هـ - ١٤٠١ م وقد رمم مؤخراً وأربع مدر (مفردها مدار) لتحضير البرغل والنشاء وغير ذلك. وجامع الحدادين، وسنفرد له بحثاً خاصاً - وقسطل العقرب المحرف عن كلمة الأقرب لتوزيع مياه قناة حيلان على المحلة ومزار الشيخ إبراهيم الجركسي - ومزار الشيخ أعراي، وتلحق مقبرة بنفس الاسم -

والرباط العسكري أي ثكنة إبراهيم باشا المصري، وكانت تعتبر محلة لوحدها. سنتحدث عنها بالتفصيل...

وأخيراً في هذه المحلة سوق هامة جداً في الاقتصاد المتبادل بين الريف والمدينة، ولا يزال قائماً يدعى سوق الجيج - سوق الدجاج - وخان سنو الذي لم نستطع تحديد مكانه. وكانت فيه محكمة على المذهب الشافعي...

أما خان الزهر أو سوق الزهر فهو السوق التي كانت تجتمع فيه النسوة لبيع الزهور المزروعة في حدائق المنازل والبساتين المحيطة - ومن الواضح أن هذه التجارة قد تقلصت كثيراً وزال قسم من السوق بعد فتح الشارع الحالي والذي لا علاقة له بالزهر لا من قريب أو بعيد...

لا تزال محلة الشيمصاتية قائمة بنسيجها العمراني القديم وبمنازلها الجميلة المزخرفة وسوق الجيج فيها والحمامات، غير أن فتح الشارع الجديد في بنقوسا قد اقتطع جزءاً من طرف المحلة الجنوبي...

إننا نلفت نظر مجلس المدينة إلى هذه المحلة العريقة والثكنة المجاورة لها وسوقها القديم، لنحفظ تراثها ضمن هذه المدينة العريقة...

محلة " الشيخ أبو بكر "

قبل أربعين سنة كتب المؤرخ الحلبي الشيخ راغب الطباخ في كتابه إعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء ما يلي : ((إذا أرسلت طرفك للشمال الشرقي من مدينة حلب تجد جبلاً صغيراً فيه عدة بنايات وفي وسطه أربع قباب مرتفعة وهناك أشجار من السرو؛ تحت إحدى هذه القباب ضريح الشيخ أبي بكر بن أبي الوفا رضي الله عنه - وقد اشتهر هذا المكان باسمه ...))

توفي الشيخ أبو بكر عام ٩٩١ هـ - ١٥٨٣ م غير أن التكية التي دفن فيها كانت مسجداً في عهد المؤرخ ابن شداد المتوفى عام ٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م، ومعنى ذلك أن هذه الهضبة وهي في وسط المدينة اليوم، كانت خارجها وبعيداً عنها، وعلى قممتها مسجد لا نعرف شيئاً عنه. وعلى شاكلة التكايا والمدارس التي كانت تبني خارج المدينة، فقد بني على أنقاض المسجد تكية كبيرة عرفت منذ القرن العاشر الهجري أي القرن السادس عشر الميلادي - مقراً لدراويش الطريقة الوفاية - إحدى الطرق التي انتشرت في حلب...

وحين جاء العثمانيون إلى حلب عام ١٥١٦ م سميت الهضبة " أورتة تبة " بمعنى الهضبة الوسطى لأنها كانت تتوسط بين جبل الغزالات حيث ثكنة إبراهيم باشا المصري وجبل العظام، حيث لا تزال المقبرة المعروفة إلى اليوم. ونظراً لارتفاعها وبعدها وأهميتها، فقد درج ولاية حلب العثمانيون على التزول فيها أولاً لدى استلامهم مناصبهم، ومنها يدخلون المدينة بمراسيمهم المعتادة. وبقيت على هذا الشكل حتى نهاية القرن التاسع عشر. ولقد ذكرنا في مقالنا عن زقاق الطويل - الصراع الذي جرى بين أهالي حلب والوالي العثماني خورشيد باشا الذي تحصن في الهضبة المذكورة، واعتصم فوقها إلى أن انتهى في عام ١٨١٩ م. في عام ١٢٧٩ هـ - ١٨٦٢، ١٨٦٣ م بدأ البناء حول التكية، وتكاثر في عام ١٣١٥ هـ - ١٨٩٧، ١٨٩٨ م على الأراضي الوقفية العائدة إلى التكية. وفي عام ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧، ١٩٠٨ م بنى محمد أسعد الجابري قصراً له قرب الهضبة ولم يسكنه إلى أن جاءت هجرة الأرمن إلى حلب عام ١٣٤٠ هـ - ١٩٢١، ١٩٢٢. فسكنه المهاجرون إلى اليوم وأعطوه اسم بلدهم في الأناضول ولا يزال يعرف بخان الزيتون...

وهكذا تطور هذا الحي الصغير، وقد لاحظت بلدية حلب في بداية عهد الاستقلال ضرورة الحفاظ على مظهر الهضبة كما ذكره المؤرخ الطباخ، فوضعت له نظاماً عمرانياً خاصاً، بحيث

منعت أي بناء يعلو فوق مستوى أرض التكية. وهكذا جاءت لوحات الفنانين وصورهم عن حلب معبرة عن هذا المنظر الذي تميزت به الهضبة، ولا يقل من حيث الأهمية عن قلعة حلب نفسها.

وكالعادة، ألحق بهذا الحي مناطق واسعة شمالي المدينة مثل الميدان الأخضر ومبنى دار المعلمين والعين البيضاء وعين التل.

والآن يتبادر لنا السؤال التالي أو الأسئلة التالية :

١. هل بقيت هذه الهضبة تاريخياً كما عرفناها أي هل حافظنا عليها ؟
٢. هل بقيت هذه التكية تحكي تاريخها : مقراً لطائفة الدراويش الوفاية، ومقراً للولاية العثمانية... ؟
٣. هل بقيت رؤوس أشجار السرو المعمرة تطل من على الهضبة على مدينة حلب كما كانت في لوحات الفنانين وصورهم ؟

هل من جواب لهذه الأسئلة؟؟.

محلة الطلبة

يرى البعض أن الاهتمام بالمدينة القديمة وأثارها ينحصر في مباني ضخمة بارزة متفرقة وفي مركزها التاريخي. إن هؤلاء مثلهم مثل بعض المؤرخين الذين كتبوا للأمير والسلطان وحده وأهملوا الحديث عن بقية أفراد المجتمع بطبقاته وفعالياته وأثرهم في التاريخ...

إن اهتمامنا بحلب، بالقلعة والجامع والمدرسة والأسواق فقط، لا يعطينا الأهمية التاريخية التي تستحقها مدينة حلب القديمة بأحيائها وأزقتها وبواباتها - وما تضمه من أوابد تاريخية تحكي قصة تطور هذه المدينة العريقة عبر تاريخها الطويل ونسيجها العمراني الكامل...

إن حياً صغيراً أو جزءاً من حي إذا ما درس دراسة وافية يعطينا الكثير من المعلومات التاريخية : اقتصادية واجتماعية وسياسية وغيرها، ويلقي الضوء بالتالي على مجموع المدينة بل إنه يكشف عن معلومات لم يهتم بها مؤرخ الأمير والسلطان فيما كتب.

إن الكثيرين في حلب لا يعرفون ما يجب معرفته عن محلة - الطلبة - حتى القاطنين فيها، رغم أنها أحد محلات حلب المسجلة في السجل المدني. وإن البعض يعرفها باسم آخر، وهو محلة زين الدين...

تقع هذه المحلة خارج أسوار المدينة القديمة وبالقرب منها، وهي جزء من الضاحية الشمالية المعروفة بالجديدة. وتتوسط الطريق بين الضاحية ومركز المدينة القديمة داخل الأسوار. نصل إليها عن طريق باب النصر، أحد أبواب حلب المختبئ المغمور، الذي يذكرنا دائماً بالملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي وأعماله الخالدة. هي من المحلات القديمة وتشكل وحدة عمرانية متكاملة. كما كان الأمر في محلات أخرى في الفترة المملوكية والفترة العثمانية التي تلتها، فهي تضم سوقاً وخانات وقيسريات وأفراناً وحمامات تكتفي اكتفاءً اقتصادياً ذاتياً، خلال الأزمات وما أكثرها آنذاك!

يعود تاريخ جامع الزكي والأسواق المجاورة له، وهي أقدم مبانيها، إلى عهد المماليك أي إلى أكثر من ستمائة عام قبل اليوم...

فقد وجد عام ٧٠٠ هـ - ١٣٠٠ م. شيد الجامع علي بن سعيد الزيني، أمير في دولة المماليك - كما يقول الغزي والطباخ - ثم جددته محي الدين محب، وله محلة مجاورة باسمه، عام ١١٣٧ هـ - ١٧٢٤ م ونسب الجامع إلى عمر بن محمد وشهرته " الزكي "، توفي عام ٩٤٦ هـ - ١٥٣٩ م...

إلى جانب الجامع تقوم زاوية البعاج، وتنسب إلى الشيخ عمر الحسيني الوفاي الشهير بالبعاج حيث لا يزال قبره وقبر ابنه فيها. وقد توفي عام ٩٤٦ هـ - ١٥٣٩ م أيضاً، وجدها بعدها محمد هاشم عام ١٣٣٦ هـ - ١٩١٧ م. أما حمام القواس المجاورة للزاوية - ولا نعرف سبب التسمية - فقد ذكرها المؤرخ ابن خطيب الناصرية المتوفى سنة ٨٤٣ هـ - ١٤٣٩ م. وهي ما زالت قائمة، ولكنها مهملة، وتنهار شيئاً فشيئاً.. وهي من أوقاف حسين باشا الباي جد بني ميسر. وإلى جانب الحمام تقوم قيسرية القواس، ولا تزال فيها صناعة النسيج اليدوية التي تقلص لهجرة أفرادها إلى البلاد المجاورة، فهي قائمة فيها كما كانت منذ عدة مئات من السنين واشتهرت حلب بها عالمياً. كما يوجد في المحلة مسجد الشيخ صالح الكيلاني. وقد كتب علي بابيه : - الله عوني جابري ميسر عبد القادر ولم نستطع معرفة المقصود منها.

سكنت جميع الطوائف محلة الطلبة وخاصة الأرمن وعاشت بسلام كما في مجموع حلب كلها حتى فترة متأخرة؛ حيث نرح معظمهم إلى المدينة الحديثة. كما نرح سكانها القدماء، وحل محلهم سكان الأحياء المجاورة، وبعض المهاجرين من الريف وقد هجرت لذلك الدور الكبيرة والجميلة، فأصابها الإهمال والتهديم. غير أن نسيج المحلة العمراني لا يزال قائماً في كل تفاصيله عدا بعض الأبنية الحديثة التي حلت محل بعض الخانات التي كانت تباع حتى فترة قريبة الأخشاب كغيرها من الخانات المجاورة.

تلك نبذة تاريخية عن محلة لا تعرف شهرة القلعة أو غيرها، رغم أنها من أقدم الأوابد في حلب. يجب علينا أن نعرفها قبل أن نقرر شيئاً في حلب القديمة، فتذهب هي وتاريخها العريق ضحية الجهل بها كما ذهبت محلات مثلها وأقدم منها، فهل نعتبر؟!!

خان النحاسين

ما زال في جعبي الكثير من الأحاديث وخاصة في القسم الأول منها عن أحياء حلب القديمة التي لا تزال تحتفظ بذكرات المئات من السنين غير أنني رأيت الكتابة اليوم عن حدث أثار اهتمامي يجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل أيضاً. ولا بد لي من مقدمة قبل أن أعرض الحدث المذكور...

عُرف التاجر الحلبي منذ أكثر من سبعمائة عام بنشاطه الواسع؛ فقد عمل على نقل تجارتها من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب عبر مدينة حلب، هذه المدينة التي كانت مزدهرة بأسواقها وخاناتها وقيسارياتها؛ والتي لا تزال قائمة حتى اليوم شاهدة على حركة تجارية واسعة شملت العالم القديم المعروف في ذلك الوقت.

وقد عاشت في حلب جاليات أجنبية تعمل بالتجارة جاءت من مختلف دول العالم سكنت في الخانات والقيساريات حيث كانت الطوابق الأرضية مستودعات ومخازن للبيع، والطوابق العليا لسكنها ومعاشها.

وقد استمرت منذ حوالي عام ١٢٢٠ م حتى عام ١٨٢٢ م حيث حدث الزلزال الكبير الذي دمر نصف حلب، وقتل أكثر من خمسة عشر ألف حلبي؛ عندها سمح السلطان العثماني محمود الثاني للجاليات الأجنبية بمغادرة سكنها في الخانات إلى خارج أسوار المدينة، ورغم ذلك بقي بعضها حتى وقت قريب جداً وخاصة في خان النحاسين في مدخل سوق الحمص، أحد أسواق المدينة القديمة...

في خان النحاسيين هذا لا يزال أقدم منزل من منازل الجاليات الأجنبية بني عام ١٥٣٩ م. في الخان نفسه كانت القنصلية البلجيكية العامة، وأحدثت بدلاً عنها القنصلية الفرنسية العامة فترة من الزمن. وفي مدخل الخان أقيمت لوحة مرمرية كبيرة تخليداً لذكرى مستشرق مجري معروف هو شاندررو كوروشي تشوما وذكرى مروره بحلب، وفي الخان المذكور عام ١٨٢٠ م أي قبل نيف ومائة وسبعين عاماً خلت.

إننا لسنا في صدد الحديث عن الخان فله حديث طويل، إنما أردنا اليوم الحديث عن الذكرى المائة والخمسين لوفاة المستشرق المجري المذكور أستاذ اللغات الشرقية والتي تم الاحتفال بها في الخان المذكور وأمام اللوحة المرمية، حيث جاء السيد سفير المجر المعتمد لدى الجمهورية العربية السورية بدمشق وأركان سفارته بصحبة المسؤولين بحلب والقنصل المجري لدولة المجر وحضور الجالية المجرية فألقيت الكلمة المناسبة، ووضع إكليل من الغار مع شرائط تحمل ألون العلم المجري.

لقد أردت من هذا الحديث الإشادة بالتاجر الحلي العريق ذي الصلات الدولية الواسعة والثقافة الكبيرة. ففي عام ١٨١٩ م بدأ العالم المجري شاندررو رحلة طويلة من بلاده نحو الشرق بحثاً عن الموطن الأصلي لشعب المجر. وفي نيسان عام ١٨٢٠ م وصل من بيروت إلى اللاذقية حيث سار مشياً على الأقدام إلى حلب؛ حيث بقي فيها حوالي ثلاثة أسابيع وأقام علاقة صداقة حميمة مع تاجر حلي استقبله، واستضافه عنده، وساعده في رحلته هذه عبر بغداد وإيران ثم بخارى وأفغانستان حتى وصل عام ١٨٢١ م إلى الأراضي الهندية. ومنها زار منطقة التيب وهامالايا. لقد قدم التاجر الحلي ولا نعرف اسمه حتى الآن، مساعدات أخرى للعالم المجري في رحلاته الأخرى إلى الشرق الأقصى. وفي عام ١٨٤٢ م عاد شاندررو الأستاذ المجري الكبير إلى التيب ليتابع أبحاثه، ولكنه أصيب بمرض وتوفي في نيسان من ذلك العام.

لقد خلد المجريون عالم اللغات. ونحن خلدنا ونخلد التاجر الحلي، وفي مقر دياره في خان النحاسيين أيضاً وسنخلد دائماً تاريخ مدينتنا حلب العريقة وأسواقها وخاناتها وكل حجر فيها وفي كل مناسبة. ونرجو أن يعترف الآخرون بخلودها هذا، فيعملوا على حمايتها أبد الدهر.

محلتا : عبد الحي وعبد الرحيم

التاريخ ذاكرة الشعوب والويل لشعب يضيع تاريخه! فإنه يقطع جذوره بيده، وتضيع بالتالي معالم هويته الأساسية، ويفقد مقومات حياته حتى القومية منها...

أتيت بهذه المقدمة لأني خلال بحثي المستمر عن أحياء حلب وإبراز أهميتها التاريخية والتعريف بها وبالتالي الاهتمام بها والحفاظ عليها كتراث نفخر به وماض نعتر به ونتطلع من خلاله إلى مستقبل نريده مشرقاً ومشرقاً. خلال بحثي هذا كنت أتعثر أحياناً في معرفة سبب تسمية أكثر من حي ومحلة. من هذه المحلات : محلة عبد الحي ومحلة عبد الرحيم، وهما في الضاحية الشمالية خارج أسوار المدينة القديمة والمعروفة اليوم بالجديدة.

إن أهمية هاتين المحلتين لا تقل عن أهمية المحلات الأخرى. فإن محلة عبد الحي، وتضم اليوم جزءاً من ساحة الجديدة المعروفة سابقاً بساحة الخطب والطريق المؤدي إلى شارع التربية وفيها قيسرية، وأكثر من مخزن لبيع الحلويات وعشرات الدكاكين، كانت في الماضي وقفاً على المدرسة الأحمدية في الجلوم والمدرسة الحلوية أمام الباب الغربي للجامع الأموي، كما يوجد في المحلة جامع شرف والقسطل المجاور له وهما من أواخر القرن الخامس عشر ٨٩٠ هـ - ١٤٨٥ م أي خلال الحكم المملوكي لحلب.

لم نعرف نسبة هذه المحلة إلى عبد الحي سوى أن مؤرخ حلب الشيخ كامل الغزي ذكره في كتابه نهر الذهب في تاريخ حلب أن عبد الحي بن عبد الله قد أوقف عقارات متعددة في هذه المحلة عام ١٣١١ هـ - ١٧١٨ م وفي عام ١١٣٥ هـ - ١٧٢٢ م فهل نسبت هذه المحلة إليه بسبب هذا العمل الخيري؟ لا ندري! لقد كانت هذه المحلة تضم أكثرية سكانها من الطوائف. وقد استرعت انتباه المسؤولين مؤخراً ووضع مشروع ضخيم لترميم مبانيها، رغم أن جامع شرف والقسطل المجاور له بحاجة جيدة - وسنفرد لهما بحثاً خاصاً - القسطل المحمي بحاجز حديدي قامت بوضعه الإدارة المحلية يضاف إلى ذلك أنه كانت في المحلة مدرسة للبنات تحت إدارة الراهبات اليسوعيات، يعلمن فيها اللغتين العربية والفرنسية وبعض المهن اليدوية. وكانت من أولى المدارس في حلب.

أما محلة عبد الرحيم المجاورة والتي تقع في الجهة المقابلة من حي الأربعين، أي في منتصف حي التدريبية وتتعامد معه، فقد كانت هي الأخرى تضم دكاكين كانت وقفاً على المدرسة الحلوية وكانت الطوائف تؤلف أكثرية سكانها. فيها مسجد القلومي الذي لم نقف أيضاً على سبب تسميته وإن كان المؤرخ الغزي يذكر أن أوقاف هذا الجامع تعود إلى عام ١١٣١ هـ - ١٧١٨ م، في الفترة العثمانية، ولا يزال مسجد يحمل الاسم نفسه منقوشاً فوق المدخل بعبارة وحيدة - مسجد قلومي - دون ذكر شيء آخر.

وفي المحلة كانت قيسرية ضخمة تعرف باسم قيسرية البطرك هدمت مؤخراً، وحلت محلها أبنية جديدة غير أن المنطقة لا تزال تحمل الاسم نفسه والاسم معروف للجميع في المحلة، لعبت هذه القيسرية دوراً اقتصادياً هاماً كغيرها من قيسريات محلة الجديدة، فقد كانت تنسج فيها يدوياً أنواع السجاد الحلي القديم والذي اكتسب شهرة عالمية إلى جانب السجاد العجمي المعروف.

والسؤال الآن هل هناك من يفيدنا عن سبب تسمية هاتين المحلتين، أو تكشف لنا الوثائق في المستقبل شيئاً من ذلك؟ وعندها نستطيع أن نوثق ونسجل هذه المعلومات.

لقد بذل المؤرخان الحلبيان الحديثان الغزي والطباخ جهداً كبيراً، ووضعاً الأسس. وعلينا أن نكمل المعلومات، ونشرها ليعرفها الجميع؛ وبالتالي لا يطلقون التسميات الحديثة التي لا تمت إلى الماضي بصللة، فتضيع ذاكرة الشعوب، وتبدل الهوية أو تصبح بلا هوية.

حي العريان

ظهر الاهتمام مؤخراً بمراكز المدن التاريخية؛ أي المركز والنواة الأساسية لكل مدينة والتطور الذي جرى على هذا المركز حتى وصلت المدينة إلى حالتها الحاضرة، فهناك باريس القديمة ولندن التاريخية والقاهرة الأولى. وإن اهتمام السلطات الأثرية لم يعد يقتصر على مباني تاريخية متفرقة كالجوامع أو اليمارستان لوحده. لقد أصبح الاهتمام منصباً على المركز القديم بأزقته وحواريه وأبوابه وبوابته وأرضيته وحجارته.

ومركز مدينة حلب التاريخي لا يزال قائماً وإن أصابه بعض التعديل الخطير حيناً والبسيط حيناً آخر. ومن المعروف أن أوراق هذا الكتاب تدرس الآن الأحياء القديمة، وما طرأ عليها من تطور.

إن حي العريان أو جقور قسطل - قسطل الجورة - شرقي سوق النحاسيين حتى ساحة باب الحديد ويوازي شارع الخندق من الجهة الشمالية، عرف تبديلاً كبيراً من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية أيضاً، إذ لا تعود أبنية الحي الحالية في قدمها لأكثر من مائة عام لأن أوابدها القديمة قد دثرت. فقد كانت فيه مدرسة تنسب إلى والد حسن بن بلبان المعروف بابن المهنندار باني الجامع المعروف باسمه في حدود القرن الرابع عشر، وكان فيه مدرسة أخرى للحنفية هي مدرسة ذي القدرية أنشأها الأمير ناصر الدين محمد بك بن ذي القدر وقرر فيها الشيخ شهاب الدين المرعشلي، كما كان فيها قسطل يتزل إليه بإحدى عشرة درجة لتوزيع مياه قناة حيلان على الحي يعرف بالتركية باسم جقور قسطل، ونسب إليه الحي وقد جدد القسطل عام ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٨ م، إلا أنه ردم منذ أربعين سنة حين لم تعد الحاجة ماسة إليه بعد أن نقلت مياه عين التل بأنايب معدنية، فضلاً عن حمام وقيسرية لحياكة الأقمشة وخان دلاباشي وقسطل السوسي الذي أشأه بدر الدين السوسي عام ١٢٧٦ هـ - ١٨٥٩ م وكنيستين: الأولى كنيسة بشارة الإنجيل للبروتستانت بنيت عام ١٢٨٤ هـ - ١٨٦٧ م والثانية كنيسة مار جرجس للكاتوليك الأرثوذكس اشترك معهم فيها الأرمن الأرثوذكس منذ عام ١٨٩٣ م. وقد دثرت هاتان الكنستان مؤخراً، وبقي القليل من بنائهما لا يزال تحت بناء حديث. كما اشتهر في الحي قناق "دار كبيرة" بني الجزماتي. وكان يسكن فيها كاتب سر الوالي خورشيد الذي قاومه الحلبيون في ثورتهم ضده عام ١٨١٩ م. وتحدثنا عنها خلال بحثنا عن زقاق الطويل.

رغم اندثار أكثر أبنية الحي القديم، فقد بقي النسيج العمراني القديم، وخاصة مسجد العريان الذي نسب إليه الحي، وفيه ضريح الشيخ العريان الذي عرف بهذا الاسم، لأنه كما أورد المؤرخ الطباخ أنه كان يتجرد من ثيابه حين تأخذه الحال. ونعتقد أنه يوسف العريان الذي أوقف أوقافاً كثيرة في الحي في عام ١١٤٣ هـ - ١٧٣٠ م، فضلاً عن أوقاف وصفية بنت سعيد وتاريخها ١١٩٩ هـ - ١٧٨٤ م.

سكن هذا الحي عدد من الطوائف، وعملوا فيه فقد كان الأرمن بشكل خاص يعملون في صياغة الحلبي الفضية، وخاصة الخلاخيل التي تلبس في رجل واحدة أو الرجلين. وغالباً ما يلبسه الأولاد الصغار. ثم تبدلت صناعتهم، فعملوا في استصناع السكاكين ومقابضها من قرون الحيوانات ثم انتشرت صناعة الأوعية المعدنية التي تستعمل للخبز - الصاج - . وأخيراً وبعد الحرب العالمية الثانية وبعدها انتشرت في الحي، ولا تزال، صناعة أواني متعددة من إطارات السيارات المستعملة. وتعتبر من الصناعات الهامة، وخاصة لسكان الريف، بحيث تنافس صناعة الأواني البلاستيكية والمعدنية من الألومنيوم. وهذه بدأت تزول أيضاً، ويحل محلها النحاسون يطرقون أوانيتهم النحاسية.

أخيراً ليس المهم أن نعترف بمبدأ حماية المركز التاريخي لمدينة حلب، بل يجب أن نهتم بحفظه وصيانتة وترميمه ونظافته. وبذلك نكون قد حفظنا هوية مدينة حلب القديمة من الضياع.

حي العزيزية

ليس المقصود من دراسة تخطيط المدن هو التفكير بتوسع المدينة لتستوعب أكثر فأكثر. بل المقصود أيضاً هو دراسة تاريخ المدينة وتطورها على مدى قرون وقرون. ومدى ملائمة تخطيط هذه المدينة لعوامل اجتماعية ومناخية واقتصادية وغير ذلك، فما ينطبق على مدينة في شمال أوربة لا ينطبق على مدينة في بلادنا.

حين توسعت مدينة حلب القديمة خارج الأسوار، نشأت أحياء جديدة تختلف قليلاً عما هو داخل الأسوار. ظهرت فيها منازل جديدة تشابه إلى حد كبير المنازل التقليدية.

ففي عام ١٢٨٥ هـ - ١٨٦٨ م، أرادت الحكومة العثمانية أن تحصل على تمويل لمدرسة الصنائع - إصلاح خانة - فبدأت ببيع أراضي للبناء في مرتفع قريب من مجرى نهر قويق يعرف بجبل النهر بقيمة قرش أو قرشين للذراع المربع، فأسرع أهالي حلب لشرائها، وأغلبهم من سكان الضاحية الشمالية المعروفة بالجديدة من الطوائف والمسلمين. وهكذا بدأ يظهر حي جديد عرف بالعزيزية وربما نسبة إلى السلطان عبد العزيز كمحلة السليمية والجميلية وغيرها. حتى إن المنطقة عرفت باسم أرض المشنقة ؟ لفترة ما، وكانت فيها أراضي وقفية للمدرسة الحلوية والجامع الأموي. غير أن اسم العزيزية استمر. واسم أرض المشنقة لم يعد يذكر سوى في الكتب.

يصف الشيخ كامل الغزي موقع حي العزيزية بأنه صحراء واسعة لسباق الخيل، وفي الربيع منتزه للنساء حتى غياب الشمس، حيث يصبح الموقع بعد الغروب مرتعاً لقطاع الطرق ويخاف الإنسان المرور فيه. فاضطرت الدولة العثمانية أن تبني مخفراً للشرطة لحماية السكان في عام ١٩٠٠ م وهو المبنى المعروف اليوم بقسم العزيزية للشرطة. كما نظمت بلدية حلب حديقة رائعة عرفت بالمنشية وجعلت لها حوضاً على شكل مضائق البوسفور والدردنيل، وهي اليوم مركز انطلاق باصات النقل الداخلي المعروف بالمنشية القديمة.

توسع حي العزيزية وكان البناء فيه يجمع بين القديم والحديث حيث إن كل بناء يضم باحة داخلية وحديقة وحوضاً فضلاً عن قسم بني على الأسلوب الحديث. وكانت المباني كلها على نسق واحد كما يذكر الشيخ كامل الغزي، كما بنيت في الحي مباني وقفية تتبع كنيسة الأرمن الأرثوذكس، وأخرى تتبع كنيسة السريان الكاثوليك.

وكانت حدود محلة العزيزية آنذاك واسعة جداً فهي تمتد على أطراف التل والبساتين الواقعة على أطراف النهر كبساتين القبار والريحاوي والحجازي وكور مصري والعويجة. كما تصل حدود المحلة غرباً إلى منتزه السبيل الحالي وشرقاً إلى جبل البخيتي بالقرب من المستشفى العسكري السابق. ولما كانت أكثرية السكان من الطوائف فقد بنيت في المحلة عدة كنائس، مثل كنيسة الطائفة الكلدانية مار بطرس بنيت بين عامي ١٨٨٢ م و ١٨٨٦ م وهدمت مؤخراً وقامت محلها عبارة في شارع محمد عبده، ثم مدرسة راهبات مار يوسف جان دارك عام ١٩٠٧ م ولا تزال قائمة، ثم مدرسة الرهبنة البيضاء الفرنسييسكانية عام ١٩٠٩ م وكنيسة اللاتين وقد هدمت وقامت مكانها كاتدرائية اللاتين الحالية، ومستشفى أنطونيان وهو حالياً إعدادية الحكمة. وقد هدم مؤخراً ولا ندري ما الذي سيحل محله...!! وأخيراً منتزه السبيل عام ١٨٩٨ م ومحطة بغداد في عام ١٩١٢ م.

إن لحي العزيزية تاريخ حافل؛ ولبيانها التي تنهار واحدة بعد أخرى ماض كبير ستعرض له، ويكفي أن نلمح إلى أن فيها دار الإمارة، وسكنها الشريف ناصر حاكم حلب عام ١٩١٨ م نائباً عن الأمير فيصل، حتى إن فيصل حين جاء إلى حلب في عام ١٩١٩ م أقام في الحي نفسه، وكذلك الجنرال اللنبي عام ١٩١٩ أيضاً.

بعد هذا كله، نتساءل، لماذا لا نحتفظ بالبقية الباقية من أحياء هذا الحي الجميلة، لنحفظ لهذا الحي هويته وتاريخه، وهي هوية حلب وتاريخها؟ أم نبقي بلا تاريخ وبلا هوية. وقد علمنا مؤخراً أن مشروعاً كبيراً بمساعدات علمية دولية يدرس المباني الباقية.

حي العطوي

لم تتوفر لمدينة حلب القديمة دراسة علمية عريقة كما توفر لغيرها. لقد كتب عنها الكثيرون منذ ابن العديم المتوفى عام ٦٦٠ هـ - ١٢٦١ م وحتى الشيخ الراغب الطباخ المتوفى عام ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م وكانت كتابات هؤلاء تؤرخ لحياة المدينة السياسية والفكرية وتضع لها وصفاً عمرانياً عاماً.. ولكن منذ فترة ليست بعيدة اهتم بعض الباحثين الأجانب بدراساتها دراسة عمرانية علمية نشر بعضها باللغة الأجنبية، حتى إن الندوات التي أقيمت لحماية المدينة لم تنتشر وإن ما تقوم به الدوائر الرسمية صاحبة العلاقة من إحصائيات ودراسات يبقى أيضاً دون نشر.

لقد دفعني إلى كتابة هذه المقدمة ما أراه من نقص كبير في المصادر والدراسات المنشورة واقتصارها على الوصف دون البحث والتعليل. وإنني إذ أضمن بحثي الآن عن أحياء حلب لاحظت أن أكثر من حي لم يدرس بشكل كاف، ومثال ذلك حي العطوي الذي أهملت دراسته رغم أهميته. ولم يحظ من مؤرخنا الشيخ الغزي قبل وفاته عام ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م إلا بقليل من الوصف.

حي العطوي الصغير والكبير محلتان قائمتان حتى اليوم خارج أسوار المدينة القديمة في الضاحية الشمالية المعروفة بالجديدة بالقرب من باب النصر، تمتدان من داخل باب النصر باتجاه الغرب حتى قرب سوق الجديدة، وتعتبران من الأحياء الحديثة نسبياً وذات أهمية عمرانية. بني الحي على أنقاض مقابر اليهود التي كانت خارج الأسوار قرب باب اليهود. وهو الباب الذي هدمه الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي، ثم أعاد بناءه، ودعاه باب النصر قبل حوالي سبعمائة سنة. ثم أصبحت معظم أراضي المحلتين وأبنيتها وفقاً للمدرسة الحلوية القائمة أمام الباب الغربي للجامع الأموي الكبير.

ازدهر حي العطوي قبل أكثر من مائة عام؛ ففيه أبنية للسكن جميلة وواسعة، كان أكثر سكانها من الطوائف وخاصة الروم الكاثوليك والسرمان. وفيه ثلاثة مدر أحدها مدار عجان الحديد، وقد توقف منذ أكثر من خمسين سنة، ومدار حاج محمد صباغ، وقد توقف أيضاً. ولم يبق سوى مدار أبي عثمان مدراتي مازال يعمل في إنتاج النشاء؛ وهذه المدر الثلاثة لم يذكرها الشيخ الغزي، وكذلك القيسرية والمطحنة التي تعمل اليوم لإعداد قوالب - البوظ - وأخرى في شرقي

الحي كانت للخواتمي، ثم توقفت الآن؛ وقد اكتفى المؤرخ الغزي بذكر مسجد رمم في عهده وقسطين فقط حتى إنه لم يذكر سبب تسمية الحي التي يعتقد أنها جاءت نسبة إلى الحاج عطا الله الكلزي. وفي المحلة اليوم قبر ينسب إلى الشيخ محمد عطوي وولده. ولا نعرف من هو، وإن وجود الضريح المذكور ساعد على بقاء اسم الحي حتى الآن.

إن من أهم ما يجب معرفته في هذا الحي أن الحدود الجنوبية لهذا الحي كانت خندقاً عميقاً يفصل بين المدينة وأسوارها والضاحية الشمالية الجديدة، وكان الخندق يعرف بخندق العطوي حتى عام ١٣١١ هـ — ١٨٩٣ م حيث أمر الوالي العثماني عثمان نوري باشا في ولايته الثانية بردمه. واستمرت عمليات الردم حتى عام ١٣١٧ هـ — ١٩٠٠ م، حيث انتهى الردم بفتح الجادة العظمى كما يدعوها الغزي بين باب النصر وجامع السهرودي الكائن في قسم شرطة النجدة حالياً؛ وعرفت هذه الجادة عند العامة بدرب العربية، لأن العرب الحنتور السوداء كانت الوحيدة التي تترتاده مع عربات النقل المعروفة والتي انقرضت هي الأخرى مع الحنتور. ويوجد نموذج عنها أمام مدخل فندق الأمير بحلب. إن فتح هذا الشارع العريض قد ساعد على تشييد الأبنية العالية في حي العطوي والمشرفة على الجادة العريضة المعروفة اليوم بجادة الخندق. وهي في الواقع قسم من حي العطوي الهام، والذي لا يعرفه سوى القليل من الباحثين.

حديثنا هذا دعوة إلى دراسة تطور المدينة القديمة دراسة علمية عميقة. وهي اليوم لدى الباحثين الأجانب النموذج الحي الكامل لمدن العالم العربي الإسلامي. فلنسرع بها قبل أن تزول حلب القديمة أو تتغير معالمها، فلا نعرفها ونفتش عنها في بطون الكتب وفي الدراسات الأجنبية.

فهل لا نزال غافلين عنها...؟!

حي العوينة

لابد من التأكيد، ولأكثر من مرة على ضرورة البحث التاريخي العميق عن تاريخ مدينة حلب حين نعمل على تسمية الشوارع والأزقة والحواري البوابات، حتى الحديث منها، فنعيد التسميات القديمة التي تعطينا تاريخها والأحداث التي جرت فيها. فالأسماء القديمة مقدسة لأنها ترتبط بالهوية التاريخية. فهل يستطيع شعب أو فرد أن يعيش بلا هوية وبلا نسب، ونحن أمة عرفنا أنسابنا منذ فجر تاريخنا.

إن الحديث عن محلة العوينة التي لم يعد يذكرها إلا القليل من أهالي حلب يطول، ولكن لا بد من استعادة الذكريات - فقد تضافرت العوامل على محو ذكرى هذه المحلة، فلم تعد تذكرها لافتة صغيرة أو كلمة على هوية - أو حتى في سجلات المدينة.

تقوم محلة العوينة إلى جانب دار الحكومة - السراي العتيقة - ملاصقة إلى بابها الغربي شمالي الجزء الذي استعمل سجنًا - السجن القديم. ويذكر المؤرخ الغزي أنها كانت زقاقاً يحجز بين دار الحكومة والخندق ويقصد شارع الخندق الحالي في منطقة المفرق مع شارع تراب الغرباء. وكان يطلق على هذا الجزء اسم خندق العوينة - إن العوينة في الأصل عين ماء تجري؛ في مكانها اليوم مدخل حي الجبيلة من شارع الكواكبي كان المرضى يقصدونها يوم السبت قبل طلوع الشمس كما يقول المؤرخ الطباخ - يغتسلون بها - ولها ذكر في الخواصات التي بحلب، لا تذكر المصادر التاريخية القديمة متى جفت - وربما قبل حوالي مائة عام مضت وقد بني مكانها قسطل تجري المياه إليه من قناة حيلان عرف بقسطل العوينة، لا يزال يذكره بعض القاطنين في حي الجبيلة ممن هم في العقد الثامن من العمر، وقد بني المسجد العمري فوق القسطل، وبنيت دار إلى جانبه ومرافق أخرى.

وبين عام ١٣١١ هـ - ١٨٩٣، ١٨٩٤ م وعام ١٣١٥ هـ - ١٨٩٧، ١٨٩٨ م اشترت الحكومة العثمانية دوراً في محلة العوينة من الباب الثاني لدار الحكومة المعروف بباب السجن أمام تربة الجبيلة إلى ساحة باب النصر، وخربتها، وردمت الخندق المعروف بخندق الروم أو العطوي - وفتحت الجادة بين العوينة والخندق -

ولأهمية لهذه الجادة، لأنها تجاور دار الحكومة، أقامت الحكومة دولا ب هواء فوق مضخة يشابه ما وضعته في منتزه السبيل لإخراج الماء حيث كانت العين سابقاً، وتوزيعه على المدينة القديمة، ضمن أنابيب معدنية، وقد دفع لذلك ثلاث آلاف ذهب عثماني كما يقول المؤرخ الغزي - غير أنه ما لبث أن تعطل.

وحين نقلت مياه عين التل إلى حلب في أوائل هذا القرن، وبني خزان كبير لها في محلة الهزارة مدت الدولة : أنابيب حديدية مع محرك ناري - كما تذكر المصادر التاريخية - إلى حوض العوينة قرب مقبرة الجبيلة لتوزع في أبنية لسقاية بعض المحلات الجنوبية من مدينة حلب في عام ١٣٣٥ هـ - ١٩١٦، ١٩١٧ م بمبادرة من جمال باشا القائد العام في الحرب العامة - تلك هي محلة العوينة ودورها في تطور المدينة القديمة بحلب.

ونحن نتساءل اليوم - لماذا لم نبق على دار الحكومة في محلة العوينة - وتاريخها حافل ؟

ثم إن محلة العوينة قد زالت أقسام كبيرة منها. فلماذا لا نذكرها بلوحة معدنية صغيرة؟

هل نقصد بإهمالنا هذا أن نطمس تاريخ المدينة، ونحفظه غيرنا ؟

محلة العقبة

لقد اجتمع تاريخ مدينة حلب كله، منذ أقدم عصورها إلى اليوم في محلة واحدة لا تزال قائمة. فقد أظهرت الدراسات المتوفرة لدينا حتى الآن، والشواهد التاريخية المتاحة، أن محلة العقبة كانت حلب الأولى منذ ثلاثة آلاف وأربعمائة سنة، ومن يدري فقد تتيح الحفريات الأثرية - لو جرت فيها - إلى إظهار آثار أقدم من ذلك التاريخ بكثير.

إن ارتفاع محلة العقبة ووقوعها إلى جانب نهر قويق، وكان غزير المياه، قبل أن يقطع الأتراك مجراه، وهي أهم الصفات الأساسية للتجمعات السكانية في العصور القديمة، والواقع أن وجود تيجان الأعمدة البازلتية والكلسية منتشرة في أرجاء المحلة، وفي واجهة جامع القيقان ثم بقايا الأعمدة الحجرية في جدرانها، يعتبر شاهداً على قدم هذا الموقع، وأن النصب الحثي البازلي المعاد بناؤه في الجدار الجنوبي للجامع المذكور والذي يعود إلى القرن الرابع عشر قبل ميلاد السيد المسيح، يثبت وجود التجمع السكاني القديم في محلة العقبة، وفي فترة الحكم الحثي في شمال سورية، وفي محلة العقبة بالذات بالإضافة إلى مرتفع القلعة.

في القرن الرابع قبل الميلاد، وفي عهد الإسكندر الكبير المقدوني - ذو القرنين - أصبحت حلب ضمن إمبراطوريته الواسعة، وقام خليفته سلوقس نيكاتور ببناء الشارع المستقيم في بداية محلة العقبة وعلى طرفها الجنوبي والذي لا يزال إلى اليوم، ويمتد من باب أنطاكية إلى مرتفع المدينة - الاكروبول - حيث قلعة حلب. وقد توسعت المناطق السكنية حول هذا الشارع بتخطيط شطرنجي لا يزال واضحاً في الأحياء المحيطة بأسواق المدينة القديمة، ومنها محلة العقبة كما بني قوس النصر في بداية هذا الشارع ولا تزال آثاره ظاهرة في الجدار الغربي لجامع الشعبية كل ذلك جعل المؤرخ الغزي يصف محلة العقبة بقوله - ربوة قامت عليها حلب -.

وحين جاء العرب المسلمون قبل ألف وأربعمائة عام ليحرروا مدينة حلب من الحكم الروماني - البيزنطي، دخلوا المدينة من جهة باب أنطاكية، وأراحوا أتراسهم هناك، وبني فيما بعد جامع الأتراس أو الشعبية أو التوتة، فكان أول جامع اختطه المسلمون في حلب محلة العقبة، وفي الفترة العربية الإسلامية، وأول وقف فيها.

سميت المحلة بالعقبة لارتفاعها ونشوزها، ويذكر المؤرخ الغزي - أن بني المنذر قد سكنوها، فسميت - عقبة بني المنذر - . كما أن من المعروف لدينا أن أول من سكن فيها الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بين عامي ١٥٢ و ١٥٤ للهجرة الموافق ٧٦٩ و ٧٧١ للميلاد، ثم يذكر ابن العديم المتوفى عام ٦٦٠ هـ - ١٢٦٢ م أن سابق بن محمود بن صالح مرداس الذي حكم حلب عام ٤٦٨ هـ - ١٠٧٦ م كان يسكن العقبة، ويضيف - وحمل من العقبة وكان ساكناً فيها بالدار التي تنسب إلى عزيز الدولة فاتك أبو شجاع، ورفع إلى القلعة بجبل من السور. . -

كما سكن في محلة العقبة الصفي ابن المنذر ناظر حلب في عهد الظاهر غازي ويصفه المؤرخ أبو ذر المتوفى عام ٨٤٣ هـ - ١٤٤٠ م أنه كان ضابطاً حسن السيرة للرعايا، وقد بنى فيها حماماً تعرف اليوم باسم حمام البزدار وما زالت قائمة إلى اليوم، وقد ذكرها أيضاً ابن الخطيب الناصرية المتوفى عام ٨٤٣ هـ - ١٤٤٠ م، وحدد موقعها في ذيل العقبة. وهكذا نرى أن هذه المحلة يصفها المؤرخ الطباخ : أشرف نواحي حلب وأفضلها، طيبة المناخ.

كانت العقبة مسكناً لحكام حلب في بداية العهود العربية الإسلامية رغم أن المؤرخين قد اتفقوا على أن ماءها ظاهر الملوحة، وتخلو من الماء الجاري، ويشرب سكانها من ماء المطر يجمعونه في صهاريج في بيوتهم لأن قناة حيلان التي كانت تمتد حلب بالمياه لم تكن لتصل إلى العقبة المرتفعة - وإنما إلى أطرافها. ويذكر المؤرخ ابن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ هـ - ١٢٨٦ م أن قسماً من القناة يؤخذ إلى البلاط وما يليه، وهذا الطريق الأخذ إلى البلاط فيه قسطل في رأس العقبة قدام دار الملك الظاهر، ثم يخرج إلى عند مسجد البلاط - ويظهر من هذا النص أن دار الملك الظاهر كانت قرب العقبة أيضاً.

كثرت الأبنية العامة في هذه المحلة لأهميتها فضلاً عن حمام الصفا - البزدار - وكان هناك مسجد في ذيل العقبة وآخر في ذيلها من الشمال. كما يذكر فيها ابن شداد - خانقاه - داراً - لأبناء السبيل - أنشأها الأمير جمال الدين المعروف بابن المتنبى المتوفى سنة ٦٣٩ هـ - ١٢٤٢ م. كما ذكر المؤرخ ابن الشحنة المتوفى سنة ٨٩٠ هـ - ١٤٨٠ م حمام الخواجة بذيل العقبة - وقد دثرت - ثم مسجد الكيزاوي في زقاق الكيزاوي فضلاً عن خان كامل والزاوية الكمالية وتعود أوقافها إلى عام ١١٨٧ هـ - ١٧٧٤ م.

استمر البناء في محلة العقبة، وتحديد المباني القديمة فقد جدد الحاج عبد القادر ميسر المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٦ م جامع الخواجا، وقام الحاج خليل كريم بالعمل. كما عمر الشيخ حسين الكيالي المتوفى عام ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م مسجداً صغيراً في أول محلة العقبة قبيل

خان كامل. وفي عام ١٩١٥ م حين جاء الأرمن مهجرين بأعداد كبيرة إلى حلب سكنوا في دورها الواسعة. وكان لهم فيها أكثر من مئتين للأطفال ما زال يذكرها من عاش فيها إلى اليوم، وهم طاعنون في السن. كما عاش فيها الأتراك الذين نفاهم السلطان التركي عبد الحميد الثاني، وجمعية الاتحاد والترقي من بعده.

تعرضت محلة العقبة، أكثر من أي محلة أخرى في حلب للزلازل وقد أورد المؤرخون نصوصاً كثيرة عن أثرها المدمر في حلب عامة ومحلة العقبة خاصة دون أن يذكروا تعليلاً علمياً لذلك فقد ذكر ابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ هـ - ١٢٦٢ م - أن زلزالاً عام ٥٠٨ هـ - ١١١٥ م هدم بعض دور العقبة - وقال ابن الوردي في زلزال عام ٧٤٢ هـ - ١٣٤٣ م - ما يلي: ... غير أن الدموع جرت على عقبة بني المنذر كما السماء وبرزت المخدرات من الخدور لحرركات البناء وتعانقت حيطانها تعانق وداع وفكت الرقاب واختلعت الأضلاع وما أدراك ما العقبة فك رقبة وما يدعى بعاجز من ضمن قول الراجز: زلزلة قد وقعت في العقبة ترضى من الدم بعضم الرقبة.

أما زلزلة شهر آب عام ١٨٢١ م والتي يذكر الحلبيون أنها دمرت أكثر من نصف المدينة وقتلت أكثر من خمسة عشر ألف من سكانها فقد كتب عنها الشيخ بكري إمام الجامع الأموي في مذكراته ما يلي: ((حصلت زلازل عظيمة هدمت حارة اليهود والعقبة وسوق العطارين ومكثت أربعين يوماً...)) - أما المؤرخ الغزي المتوفى سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م فقد ذكر أن محلة العقبة: أسرع محلات حلب تأثراً بالزلزال - إذ لا يوجد أساسات جبلية. - وقد حاول الغزي هنا أن يعلل أن المحلات العالية تكون أكثر تأثراً بالزلزال. فضلاً عن أن مرتفع محلة العقبة هو تراكم طبقات أتربة، ولا تقوم المحلة على الأرض الطبيعية.

ما زالت محلة العقبة إلى اليوم قائمة تحتفظ بأوابدها التاريخية ونسيجها العمراني التقليدية ودورها الواسعة سوى بعض الأبنية الحديثة المتفرقة. كما يوجد فيها عدد من الخانات بنيت حوالي عام ١٩٣٠ م وهي قائمة إلى اليوم في الطرف الغربي من المحلة، وتغطي سور المدينة القديمة، وتتوزع بين الأبراج الأثرية المنتشرة من باب أنطاكية وإلى الشمال حتى موقع باب الجنان.

كما أن محلة العقبة ما زالت من أعلى المحلات في المدينة القديمة. آن لمجلس مدينة حلب ودائرة المدينة القديمة ومديرية الآثار أن تولي محلة العقبة العناية اللازمة التي تستحقها فهي حلب الأولى - حلب - النواة.

زقاق الكتاوية في حي الجبيلة

حيث يعرض للباحثين في التاريخ وعلماء فقه اللغة، اسم حي أو موقع أو مدينة؛ يحاولون معرفة سبب التسمية وكيف تطور الاسم وكيف اشتق وغير ذلك... لهذا يجب الحفاظ على التسميات الأولى وخاصة أسماء المدن والقرى والمواقع والأحياء، فلا تبدل لأي سبب كان، ومهما كانت أهميته؛ لأن هذا التبديل يمحو الأصول والجذور، فتضيع، إلا إذا كانت مسجلة في وثائق تاريخية وغالباً لا تسجل لأن الشعوب تتناقلها شفهيّاً عن طريق الرواية فتتوارثها الأجيال وربما خلال آلاف السنين. وهكذا لا يصح بحجة قلم أو رغبة شخصية محوها.

منذ أكثر من مائة عام ونحن نعبر الطريق بين باب الحديد وباب الفرج وندعوه بشارع الخندق؛ لأنه كان خندق مدينة حلب حتى عام ١٨٨٣، ثم ردم من بقايا أبنية تهدمت بفعل زلزال عام ١٨٢٢، وأعطى لفترة اسم درب العربية، لأن العرب الحنتور كانت تسير فيه ثم أهمل هذا الاسم مع زوال العربية. ولهذا فإن إطلاق اسم آخر على شارع الخندق أمر مرفوض تماماً. إلى جانب شارع الخندق يقوم حي الجبيل أو الجبيلة لارتفاعه عن باقي الأحياء المجاورة.

حي الجبيلة من الأحياء الكبيرة والقديمة بحلب خاصة لأنه يقع على أحد محاور الدخول إلى مركز المدينة، وهو يضم عدة أزقة وسوقاً ومركز شرطة بجانب الباب المعروف بباب القناة أو باب الحديد. كما يوجد فيه مقبرة لوقوع الحي على أطراف المدينة.

زقاق الكتاوية جزء من هذا الحي بل أقدم أجزائه ويقسم إلى الكتاوية الكبرى والكتاوية الصغرى وتقع شمالها. وقد سمي الزقاق نسبة إلى جامع الكتاوية الذي بني عام ٧٨٧ هـ - ١٣٨٥ م بالقرب من مدرسة ابن العجمي التي نسبت إلى مؤرخ حلب سبط بن العجمي، وقبره فيها وهي أقدم من الكتاوية، إذ تعود إلى عام ٥٩٥ هـ - ١١٩٨ م وقد عرفت بجامع "أبو ذر" المؤرخ الحلبي المتوفى عام ٨٨٤ هـ - ١٤٧٩ م.

توسع حي الجبيلة وقد حدده المؤرخ الغزي بين البياضة والشارع الأعظم أي شارع الخندق وكان أكبر شارع قبل مائة عام سكنه المسلمون فقط وذكر المؤرخ الغزي عدة مباني أثرية مثل مسجد الزركشي بجانب باب الحديد وقسطل الشعار ١٥٣٢ م ومسجد أبي الشامات وغيرها، ستكون موضوعاتنا المقبلة.

أن أبرز قسم في حي الجبيلة هو قبو الأكنجي أو قبو المسلاتية المعروف حالياً " قبو النجارين "، وسنبحثه فيما بعد فهو قائم يحافظ على عمارته وفعاليته وبعض النصوص الكتابية المحفورة على جدرانها. أما مركز الشرطة والذي يسميه المؤرخ الغزي " المغفر " أي المخفر ما زال قائماً أيضاً لحراسة باب المدينة. بني عام ١٢٦٥ هـ - ١٨٤٨ م ورسم مؤخراً، واستعمل قصراً لضيافة الدارسين لمدينة حلب من الأجانب؛ يتمتعون بالإقامة فيه. ويقول الغزي: حين بني نبشت فيه عدة قبور، منها قبر كان فيه تابوت من دف نقل إلى مصطبة أمام المغفر؛ وهناك اتخذ له ضريح، لكن لم يعلم صاحبه.

ومن أهم العائلات التي سكنت حي الجبيلة عائلة أحمد أفندي طه زادة المعروفة بعائلة الجلي. كما دفن في مقبرة الحي عدد كبير من مشاهير مدينة حلب أمثال محمد بن محمد البلخي مدرس المدرسة الأتابكية الذي توفي عام ٦٥٣ هـ - ١٢٥٥ م وعلي بن خليل قرجا أمير إمارة ذي القدر وتوفي عام ٨٤١ هـ - ١٤٣٧ م وأحمد بن إبراهيم الخلاصي الطبيب المتوفى عام ١٢٤٢ هـ - ١٨٢٨ م، وكان يدرس الطب في زاوية أبي ذر في حي الجبيلة هذا فضلاً عن عدة قبور لبني العجمي في جامع أبي ذر. وإن مقبرة الجبيلة عرفت بمقبرة الأربعين، وربما لأنها كانت قرية من باب الأربعين أحد أبواب مدينة حلب التي دثرت، أو لأن أربعين ولياً دفنوا فيها.

لا يزال حي الجبيلة يحافظ على وصفه العمراني القديم، إذ لم يطرأ عليه تعديل كبير، ولم تفتح فيه الشوارع، أو تدخله الأبنية الحديثة إلا قليلاً. إنما أهملت آثاره ووسعت الكلتاوية كثيراً، وأصبحت المقبرة ملعباً لأولاد الحي. وهكذا عفونا على أضرحة علمائنا وأئمة المدارس الدينية، وأهملناها، حتى أصبحت على وضعها الحالي. فهل من يهتم.؟

حي الفرافرة

بينما تعمل جميع شعوب العالم بلا استثناء على إحياء تراثها القومي، وتدافع عنه : لغة وماضياً وعمراً وتقاليداً، وتضحى من أجله بالنفس والنفيس، وتنفق الملايين؛ نقف نحن موقف المتفرجين ونكاد نبدأ بخطوة أو خطوتين على خجل أو جهل، إذ نجهل ما نملك من تراث يتيه على الدنيا ويعترف به غيرنا، ويقدره.

إن تسجيل مدينة حلب القديمة ضمن قائمة التراث العالمي الإنساني تحت إشراف منظمة الثقافة والتربية والعلوم الدولية التابعة لهيئة الأمم المتحدة - الأونيسكو - لم يكن عبثاً ولا جاء عفواً الخاطر. وإن مجيء الطلاب والدارسين من أربعة أركان الكرة الأرضية ليس صدفة ولا حياً وإعجاباً بمدينة حلب الحديثة.

إننا نعمل ببطء شديد جداً في حماية تراثنا القومي، وإن الحداثة والمصلحة المادية الشخصية، أسرع من أعمال الحماية بآلاف المرات وإن التخريب الذي يصيب أحياء المدينة القديمة كبير جداً وربما لا نستطيع إيقافه. مثالنا اليوم هو حي الفرافرة.

يعود حي الفرافرة لفترة زمنية قديمة، وإن بعض أوابده تعود إلى أكثر من ثمانمائة عام كالمدرسة العسرونية التي بنيت في عهد بني مرداس، وجعل منها نور الدين زنكي مدرسة عام ٥٥٠ هـ - ١١٥٦ م. أما شهرته فقد وصلت دار السعادة استنبول عاصمة أكبر إمبراطورية في القرن السادس عشر. سكنه أكبر موظفيها في بلاد الشام، وأعني تجار الشرق الأوسط.

يقول المؤرخ أبو ذر في كتابه كنوز الذهب عام ٨٨٠ هـ : ((ينسب درب بني الفرافرة إلى بني فرفور وكانوا رؤساء. وبهذا الدرب سكن نقباء الجيش)). وقبل القرن الحادي عشر الميلادي كان يدعى بالمعلقة، حيث كانت تعقل فيه خيل المجاهدين وإبلهم وكان رحبة متسعة.

توسع الحي قبل سبعمائة وخمسين عاماً، وازدادت أهميته. فبالإضافة إلى دوره السكنية الرائعة أنشئت فيه المدارس، بعضها في الزوايا والجوامع والتكايا حيث تعقد حلقات الدرس، وبعضها أنشئ على الأسلوب الحديث حيث يتم تعليم الحساب والفلك والطب والعلوم العصرية. وحين كان في حلب ثلاثة عشر مكتباً رشدياً، كان خمسة منها في حي الفرافرة. وفيه خمس حمامات من أصل اثني وأربعين حماماً أحدها حمام السلطان باسم الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين.

بنيت في الحي المدرسة الحسامية عام ٦٢٥ هـ - ١٢٢٨ م وبنيت زاوية النسيمي عام ٨٢٠ هـ - ١٤١٨ م. وبعد أن دمر تيمورلنك المدرسة الناصرية - جامع الحيات - جددت في عام ٨٣٣ هـ - ١٤٣٠ م. ثم زادت المدارس والجوامع والتكايا والأفران والسبلان والمقاهي والخانات و الخانقاهات وأهمها خانقاه ضيقة خاتون ٦٣٥ هـ - ١٢٣٧ م والمدرسة الشعبانية ١٠٨٥ هـ - وغيرها مما سنبحثه بالتفصيل في مواضيع مقبلة.

إن كثرة الأبنية العامة في حي الفرافرة من جوامع مساجد وزوايا وتكايا ومدارس ومكاتب رشيدية وأفران وسبلان ومقاهي تؤكد لنا أهمية هذا الحي، بحيث يجعله المؤرخ الغزي من أعمر أحياء حلب وأهمها على الإطلاق. فقد كان يضم عدة أزقة مثل زقاق بني الكتخدا - الكيخيا - وزقاق الشعبانية وعدة بوابات، أهمها بوابة الأرمنازي، وأكثر من سوق مثل سويقة علي وسوق باب النصر وسوق الخابية. وكلها ستكون مواضيع بحثنا في المستقبل.

سكن حي الفرافرة أعيان المسلمين وكبار موظفي الدولة العثمانية. وكانت دار الحكومة على بعد خطوات من الحي. ويذكر مؤرخ حلب الشيخ كامل الغزي المتوفى عام ١٩٣٣ م أن سكان الفرافرة يغلب عليهم الكلام الذي يحوي الكثير من الألفاظ التركية والفارسية، لأنهم مستخدمون لدى العثمانيين؛ وأن كل دار في الحي تضاهي محلة وأن دور آل قطر آغاسي كانت محل أنظار زوار حلب. ويقول المؤرخ الشيخ محمد راغب الطباخ مؤلف كتاب أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء المتوفى عام ١٩٥١ م - أن السر عسكر نامق باشا كلف عدداً من أعيان حلب من سكان محلة الفرافرة ليقوموا بإحصاء السكان في حلب عام ١٢٣٦ هـ - ١٨٢١ م. وكان مركزهم في التكية المنصورية. ومن المعروف أنه في عام ١٢٧١ هـ - ١٨٥٥ م تأسس مكتب رشدي في تكية المنصورية وكان الطباخ في عداد تلامذته في عام ١٣٠٤ هـ - ١٨٨٦ م. وذكر لنا أنه رأى في التكية مخطوطات كثيرة جداً. ويضيف الطباخ أن والي عكا أحمد باشا الجزائر الذي هزم نابليون بونابرت نزل في دار آل السياف في محلة الفرافرة لدى مروره في حلب في طريقه إلى استنبول دار السعادة عام ١٢٠٣ هـ - ١٧٨٩ م.

لقد كان أهم وأغنى العائلات الحلبية المعروفة والباقية حتى اليوم تسكن في البدء في حي الفرافرة أهم أحياء حلب القديمة ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر عائلات :

شريف. قطر آغاسي. كتخدا كيخيا. مرعشي. سياف. قدسي. خطيب. أميري. منصوري. الكاتب. الكواكي. الجابري. وغيرهم..

حي الفرافرة لم يعد يذكره إلا القليل، وأكثر ما نخشاه أن يطلق عليه اسم آخر كالمستودع مثلاً أو الورشة أو غير ذلك ولا يبقى من هذا الحي العريق إلا الاسم مسجلاً في دائرة السجل العقاري وفي كتب المؤرخين.

إن أول معول بدأ في الهدم كانت عملية إزالة بناء المدرسة العسرونية، فقد هدمتها دائرة الأوقاف القائمة عليها في عام ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م لتقيم في مكانها بناءً طابقياً. المعول الثاني كان بيد بلدية حلب حين فتحت الشارع المؤدي من الجامع الأموي الكبير إلى خندق القلعة في عام ١٩٥٦ م. فأزالت أبنية كثيرة، وشوهت ما بقي من أبنية كالجامع الأموي، وخان الوزير الذي رمم جداره الشمالي بعد أربعين سنة، والمطبخ العجمي الذي يرمم حالياً، ويوظف كمطعم من قبل وزارة السياحة، والمدرسة الشعبانية وغيرها الكثير.

واليوم بعد أن استيقظ الشعور بالتراث تنهار أبنية أخرى كمسجد أزدمر الذي تنهار جدرانه، ولا يلتفت مسؤول إليه رغم مطالبة أهل المحلة بإيقاف خطره على المارة.

وأخطر ما يتهدد ما بقي من أبنية الفرافرة هو الإهمال أولاً، وتغيير وظائفها السكنية ثانياً. بحيث أصبحت الدور الرائعة ورشات ومستودعات لأنها تقع بجانب سوقة علي المركز التجاري، وتوضع فيها مواد خطيرة تؤدي إلى كوارث كما حدث مؤخراً في بيت الأميري حيث أصابه الحريق ولم يبق منه إلا القليل. إذا أردنا أن نعرف ماضي وحاضر ومستقبل هذا الحي فعلينا زيارة دار آل قطر أغاسي والتي عرفت يوماً باسم إعدادية سيف الدولة قرب موقع السجن القديم، فقد رمت لجنة حماية المدينة القديمة قسماً منها، وجعلتها مقراً لها. وبقي القسمان الآخران على حالهما من الإهمال والتخريب، وقد علمنا أن خطة قائمة لترميمهما.

هذه تذكرة لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر فهل نبدأ بالتضحية من أجل قيمنا، ومن أجل تراثنا وهويتنا؟

حي الفردوس

لا شك أن الزائر لمدينة حلب القديمة عربياً أم أجنبياً يتمتع برؤية المباني الأثرية ويحاول الدليل المرافق إبراز الصفات المعمارية، إذا كان على المستوى الثقافي المطلوب. ولكن مالا يعرفه الدليل وحتى المواطن العادي، هو تاريخ الحي أو المنطقة التي يقع فيها المبنى الأثري؛ ولا تتوفر النشرات السياحية التي تكمل هذا النقص. ومن الواضح أن معلوماتنا مهما كانت وافية ودقيقة معمارياً وأثرياً، تبقى ناقصة إذا لم نكن نعرف تاريخ المنطقة المحيطة بالمبنى.

"مدرسة وجامع ورباط وتربة الفردوس" لا يمكن الإحاطة بها بمعزل عن المنطقة التي توجد فيها، خاصة وأنها بعيدة عن مركز المدينة القديمة خارج الأسوار، وفي منطقة بعيدة نسبياً عن باب المقام أحد أبواب المدينة.

المدرسة كما هو معروف تقع في حي الفردوس وقد عرف هذا الحي بين أحياء مدينة حلب القديمة بأنه حي ثقافي كان زائراً بالحركة التعليمية والفكرية قبل نيف وسبعمئة عاماً قبل اليوم، ولم يكن يقل أهمية عن الحي اللاتيني في باريس مثلاً، والذي لا يعود لأكثر من أربعمئة عام - وله شهرة عالمية معروفة.

لقد نشأت في حي الفردوس المساجد والمدارس والربط والزوايا، وإذا عرفنا أن هذا الحي نشأ في القرن السادس الهجري، وتطور بعد ذلك. لأدركنا مقدار الجهد الذي بذله الحكام الأيوبيون في هذا المجال الثقافي، خاصة وأن جهدهم كان مضاعفاً؛ فقد تصدوا للعدو الغاصب أكثر من ثلاث قرون، وأقاموا في الوقت نفسه مؤسسات تعليمية تركت أثرها على الأجيال وإلى اليوم. وستعرض لها بدراسة مفصلة في مقالات لاحقة.

إلى جانب مدرسة الفردوس بنيت المدرسة الظاهرية البرانية عام ٦١٠ هـ - ١٢١٤ م وقد رُممت مؤخراً. وينتظر أن تتم بها مديرية أوقاف حلب. ثم بنيت عمارة الرحالة العالمي الهروي عام ٦١١ هـ - ١٢١٥ م أنشأها الملك الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين الأيوبي - ثم المدرسة الجمالية التي أنشأها جمال الدولة إقبال الظاهري عتيق الملكة ضيفة خاتون زوجة الظاهر غازي.

هذا فضلاً عن المدرسة وتربة الدرويشية التي أنشأها الملك الناصر عام ٦٢١ هـ - ١٢٢٤ م وتربة أغلبك بعد عام ٧٦٠ هـ - ١٣٥٩ م وتربة شهاب الدين أحمد عام ١٠٥٠ هـ - ١٦٤١ م وعدد كبير من الخانات والدور الحمامات وغيرها.

يذكر الغزي المؤرخ الحلبي المعروف والمتوفى عام ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م أن حي الفردوس كان قبلة للرواد الأجانب ولا يزال إلى اليوم، وقد زاره مؤخراً رئيس الجمعية الوطنية الفرنسية ووقف حيث وقف الزعيم المغولي تيمورلنك يوماً، وفكر بنقل الحوض والحراب إلى عاصمة بلاده، فأعلمه أحد الحاضرين بأن لا أحد في بلاده يستطيع إعادة تركيبه فعدل عن الفكرة.

لقد راجت مؤخراً إشاعة مفادها أن الدفين في مدرسة الفردوس هو علي بن أبي طالب والصحيح أن الدفين هو الملك الحافظ أرسلان شاه بن الملك العادل أخي صلاح الدين الأيوبي. وقد توفي عام ٦٣٩ هـ - ١٢٤٢ م.

حي الفردوس بعيد عن أنظار المسؤولين. ولكنه قبلة الزوار الأجانب كما أنه في ذاكرة التاريخ. ونعتقد أنه يستحق العناية أكثر من عنايتنا بالمدينة الحديثة، فهو صفحة مشرقة في فكرنا وعلمنا ونضالنا ضد المستعمر.

حي الفيض

لم تكن حلب القديمة قبل ألف عام ونيف محصورة ضمن الأسوار بل كانت أوسع من ذلك بكثير، وربما ما كان داخل الأسوار وحولها يتميز بوجود المراكز التجارية من أسواق وخانات وقيسريات أو محلات المهن كالقيسريات أو للسكن. ولهذا استأثرت باهتمام الدارسين العرب والأجانب إلى اليوم. ولو تعمقنا قليلاً في دراستنا لتاريخ حلب القديم لرأينا اتساع المدينة الكبير، ولرأينا القصور والمشاهد والمدارس والجوامع والحمامات والسكن أيضاً ضمن دائرة قطرها عدة كيلو مترات، تغير مركزها بحسب الفترات التاريخية فهو تارة قلعة حلب وتارة حي العقبة وتارة منطقة كاتدرائية حلب الكبرى والجامع الأموي وهكذا.. ولا شك أن نهر قويق لعب دوراً كبيراً في تطور مدينة حلب وتاريخها، إلى أن قطعه الأتراك في وقت غير بعيد عن اغتصابهم لواء الاسكندرون العربي.

حي الفيض الذي عرف قبل أكثر من ألف عام جاء اسمه من منطقة تقع على ضفاف النهر حيث يدعى النهر فيها بنهر الفيض وفيها بنى سيف الدولة الحمداني قصره، كما كان فيها حلبة السباق، وفيها بنى المشهد في عام ٣٥١ هـ - ٩٦٢ م.

وهذه المنطقة بالذات كانت هدف نقفور إمبراطور الروم البيزنطيين حين هاجم حلب في أواخر القرن العاشر الميلادي، واحتلها عدا القلعة وخرّب قصر سيف الدولة - كما كانت حلب هدف الصليبيين المستعمرين بعد حوالي مائتي عام من هجوم الروم.

يضيف لنا المؤرخ ابن شداد المتوفى عام ٦٨٤ هـ - ١٢٨٦ م قصر سيف الدولة، ويذكر وجود ثلاثة مساجد، كما يذكر أن نور الدين زنكي وسع مشهد الدكة عام ٥٥٠ هـ - ١١٥٦ م وأنهى الملك العادل ابن نور الدين عمارته في عام ٥٨٥ هـ - ١١٩٠ م. كما يتحدث عن المدرسة الدقاقية فيقول أنشأها مهذب الدين أبو الحسن علي بن فضل الله ابن الدقاق في منطقة الفيض. وأول من درّس فيها رشيد الدين في سنة ثلاثين وستمائة ٦٢٣٣. ويضيف أن في الحي حمام للشهاب بن العجمي وحمام فخر الدين إياس.

أما ياقوت الحموي المتوفى عام ٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ م فيربط محلة الفيض بالحاضر السليماني ويقول ((يكون ابتداء مكان أبنية الحاضر من المكان المعروف إلى الآن بالقبة والعامود غربي

منطقة نهر قويق المسمى بالفيض آخذاً إلى المكان المعروف بجسر الحج على شكل نصف دائرة ويدخل في ذلك المحلة المعروفة بالكلاسة)).

يتحدث المؤرخ ابن الشحنة المتوفى عام ٨٩٠ هـ - ١٤٨٠ م عن محلة وميدان الحلبة ويقول ((هي محلة من ضواحي حلب من جهة الغرب وهي مكان صحيح الهواء حسن التربة مشرف على النهر، وبه كروم وميدان، بل ميدانان تقام فيهما حلبة السباق. ويتصل بها مكان يقال له الفيض)) ويذكر أن أرض الحلبة من منزهات حلب.

اهتم حكام حلب قبل ألف عام بمنطقة الفيض. ومن المعروف أن بني مرداس الذين حكموا حلب بعد سيف الدولة وقبل نور الدين زنكي قد أضافوا أبنية كثيرة. ويذكر المؤرخ الطباخ صاحب كتاب إعلام النبلاء لتاريخ حلب الشهباء أنهم بنوا إلى جانب مشاهد المحلة مشهداً عرف بمشهد طرود نسبة إلى طرود زوجة صالح بن مرداس والتي تزوج بها أبو نصر لؤلؤ مرتضى الدولة حين سجن صالح في قلعة حلب.

فقد بني المشهد كما تذكر الروايات التاريخية خارج باب الجنان في طريق الحلبة.

ذكر لنا المؤرخ أبو ذر في كتابه كنوز الذهب والمتوفى عام ٨٨٤ هـ - ١٤٨٠ م عدة ترب في محلة الفيض مثل تربة ابني أبيك أحمد وعمر وحدد لنا مكان القبة والعامود فقال : بني أبو بكر دودار السيفي بردبك المتولي على الزاوية الدقاقية قبة عند مرمى النشاب غربي الفيض. وتحت هذه القبة صهريج ماء. وتساعد على عمارته أهل الخير من الرماة الذين يرمون بالنشاب. يقول المؤرخ الطباخ إنه لذلك اشتهر هذا المكان إلى الآن أي إلى أوائل القرن العشرين بالقبة والعامود.

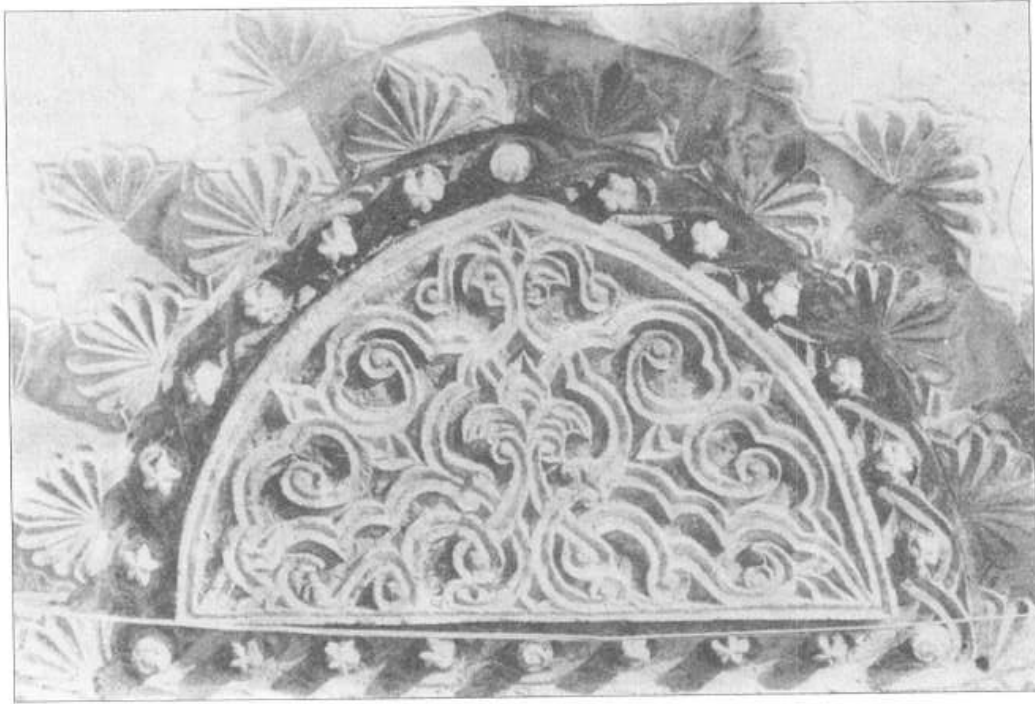
يذكر لنا الدكتور محمد أسعد طلس الذي نشر كتابه تاريخ الآثار الإسلامية بحلب عام ١٩٥٦ م أنه كان في محلة الفيض قبل الثاني عشر الميلادي في المنطقة التي شيدت عليها الدولة مستودعات المحروقات " الكازخانة " قبور معروفة للشراكسة، إلا أنه درست حين تشييد تلك المستودعات لكن الدكتور طلس أخطأ حين أطلق اسم سيف الدولة على منطقة الفيض.

في عام ١١٧٧ هـ - ١٧٦٣ م أوقف حاج موسى الأميري بستان التادفي في الفيض على جامعته المعروف بجامع الخير في السويقة. وفي عام ١٩٢٠ حفر عبد القادر أفندي بن طه بن عباس المعروف بالجلي بئراً سبيلاً قرب نهر الفيض، وبني عليه قنطرة؛ كما يقول المؤرخ الشيخ كامل الغزي في كتابه نهر الذهب في تاريخ حلب. هذا البئر يعرف إلى اليوم بحب الجلي، وسميت المنطقة باسمه وقد ساعد هذا البئر على اتصال محلة الفيض بقرية الأنصاري البعيدة عن حلب؛ حيث كان المارة يتزودون بالماء منه. كما قامت السلطات في حلب في عام ١٩٢٤ م كما يقول الطباخ

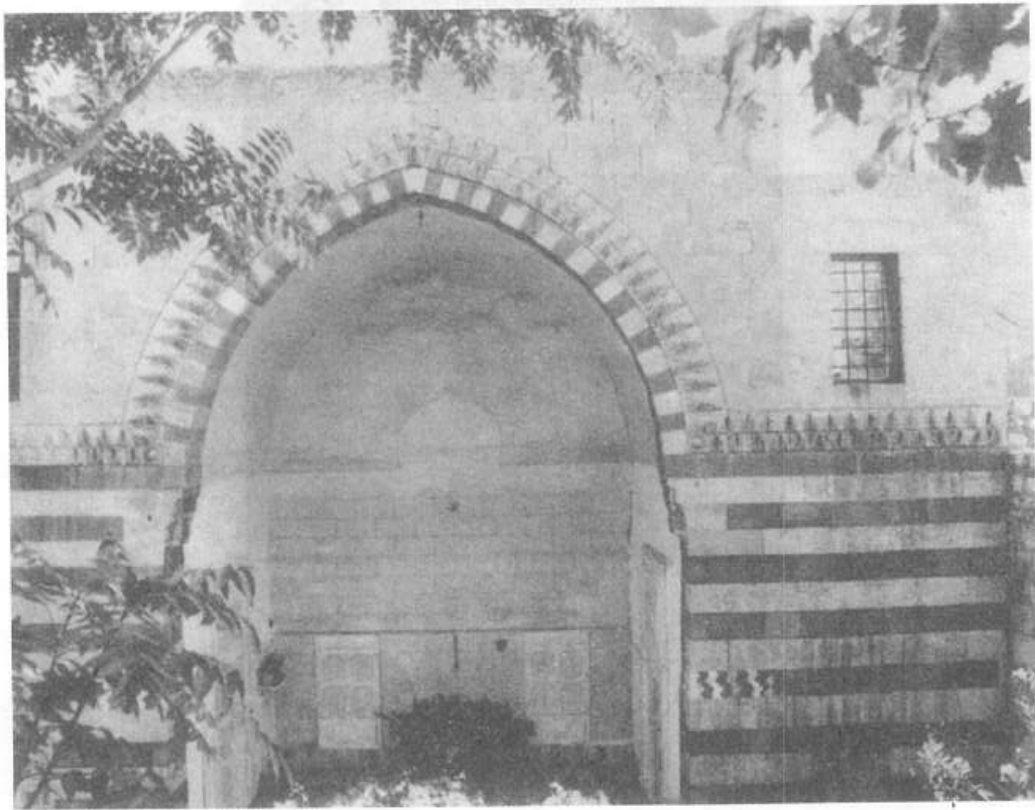
بإصلاح الطريق من الفيض إلى قرية الأنصاري، وصارت العجلات تذهب إليها بسهولة. وصار الناس يقصدون القرية أيام الربيع.

تلك نبذة تاريخية عن محلة الفيض التي يعتبرها بعض الدارسين اليوم محلة حديثة، بينما تعود إلى أكثر من ألف عام خلت. وحين توسعت المدينة القديمة نحوها في الماضي. كان ذلك لوجود محلة ملأى بالمشاهد والمدارس والقبور... ونتساءل اليوم أين هي؟ إن تسمية جب الجلي ووجود مشهد الحسين ومشهد الدكة تؤكد عراقية محلة الفيض. ولولا ذلك ضاع التاريخ، ولم يبق سوى الاسم في طيات الكتب.

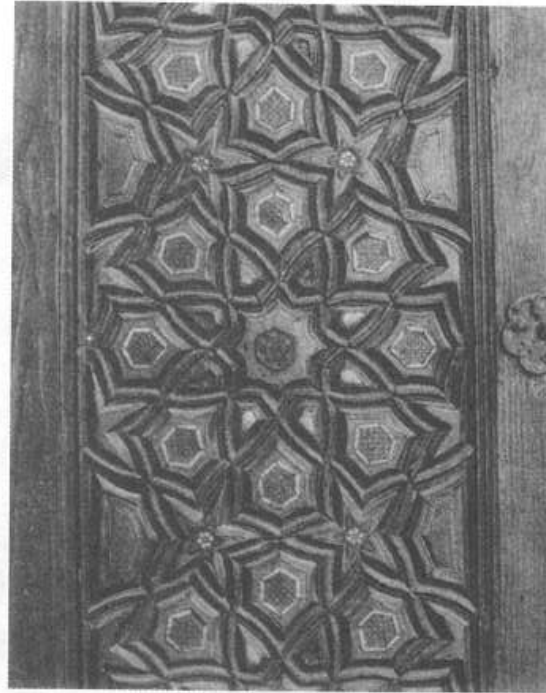
هل نحفظ ما بقي، ولا نشوّهه بإدخال الطفيليات الحديثة؟ أم لا يوجد من يسأل!



جمال المنزل التقليدي وزخارفه الرائعة



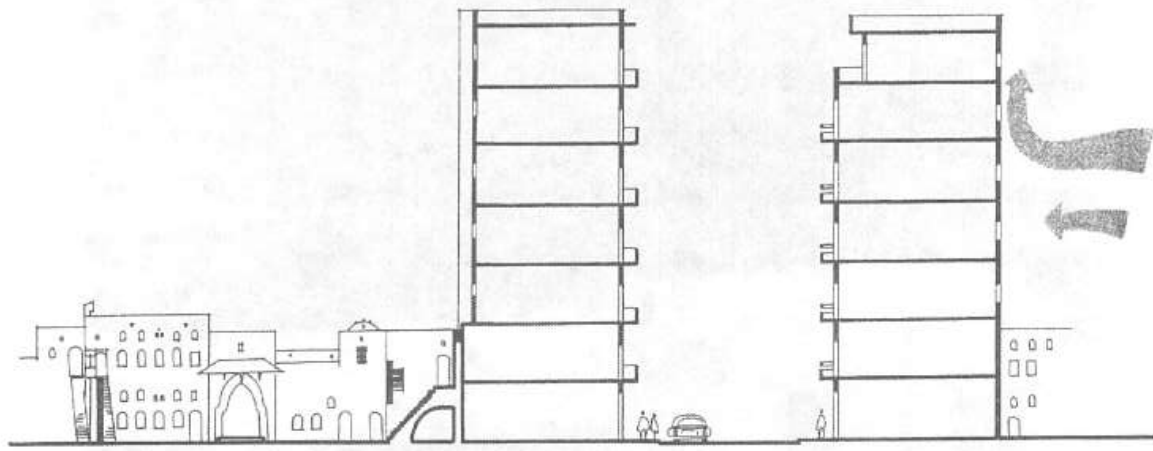
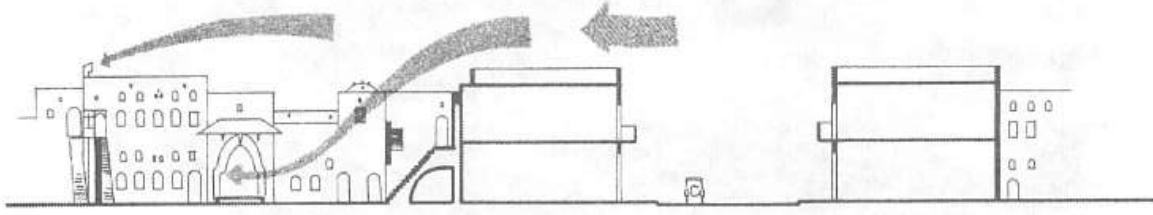
الايوان في المنزل التقليدي



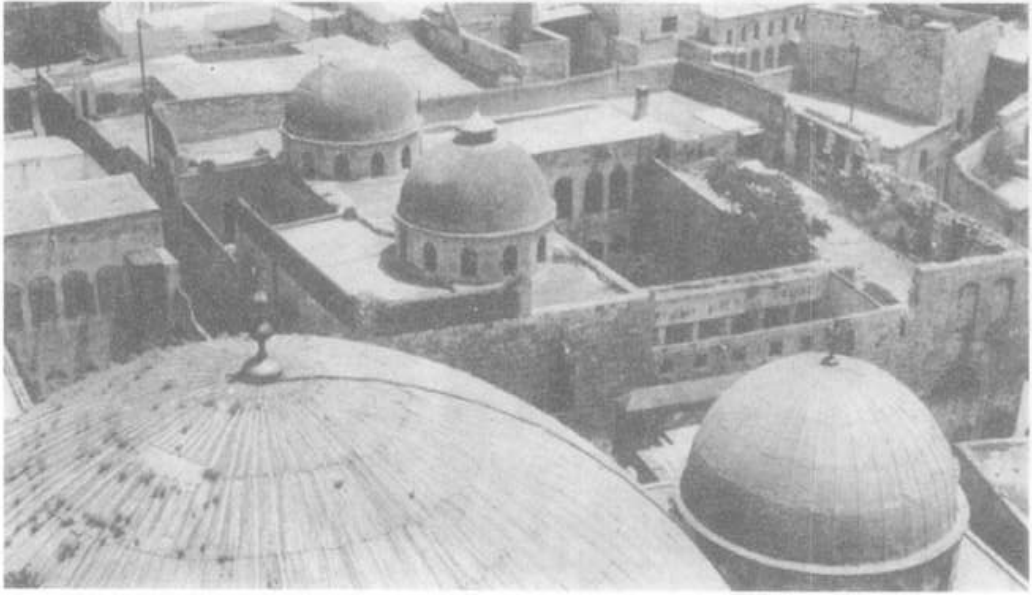
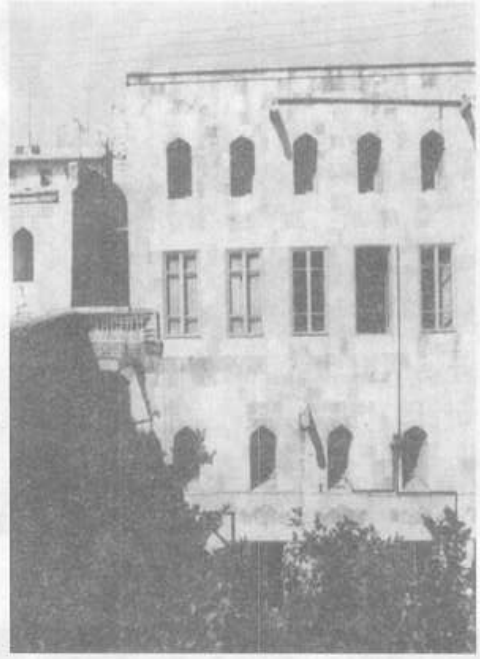
الزخارف الحجرية التقليدية في منازل المدينة القديمة
والخط العربي في الأبواب والشبابيك



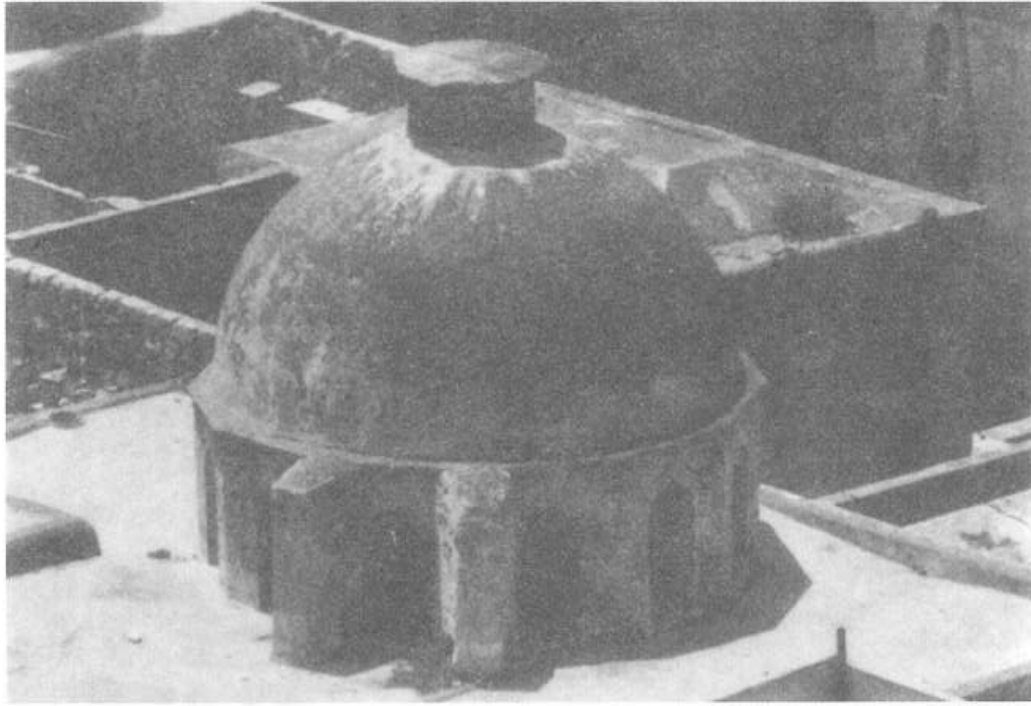
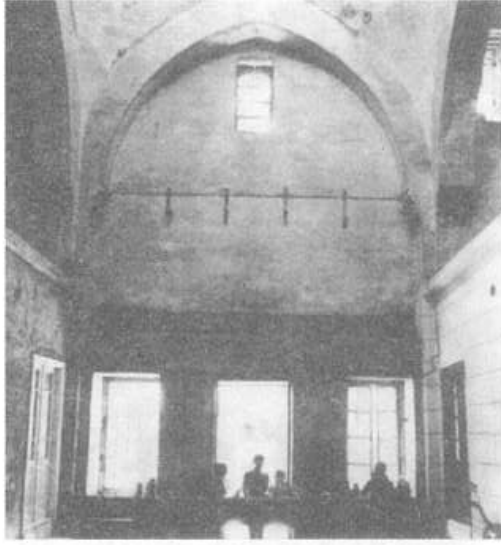
الصراع بين الأصيل والدخيل



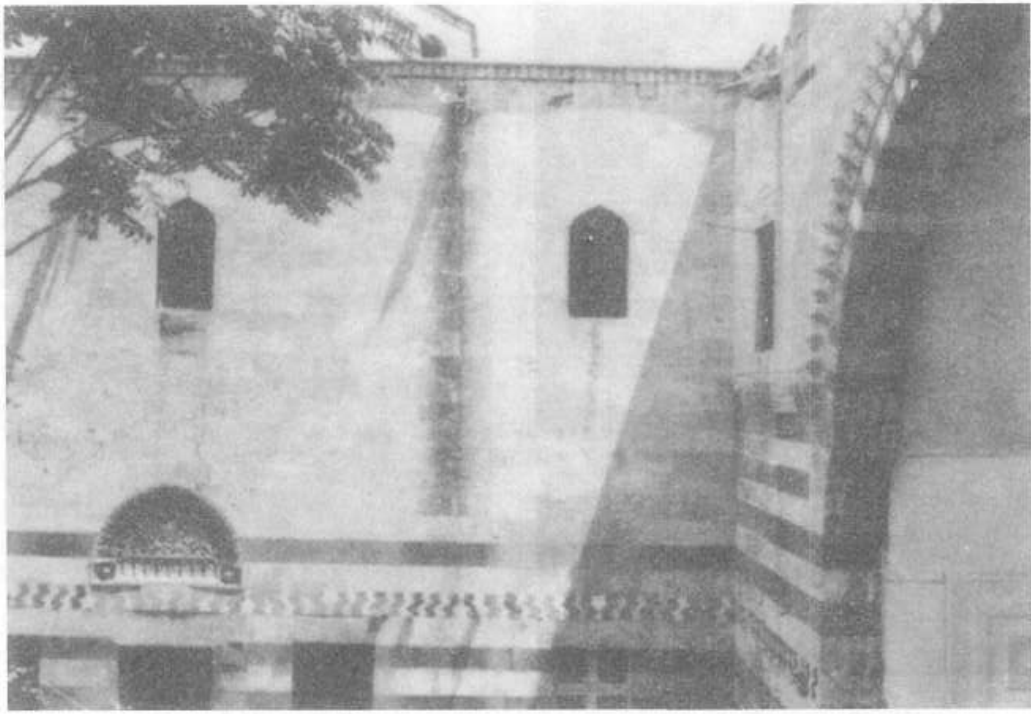
كيف كانت المدينة القديمة، وكيف أصبحت الانبئة العالية
الذخيلة تصطاد المنازل التقليدية وتمنع عنها الشمس والهواء



عناصر الراحة والزخرفة في المنازل من النموذج الثالث
واجهة إحدى الغرف والمربع الإيوان قباب متنوعة فوق الأسطحة



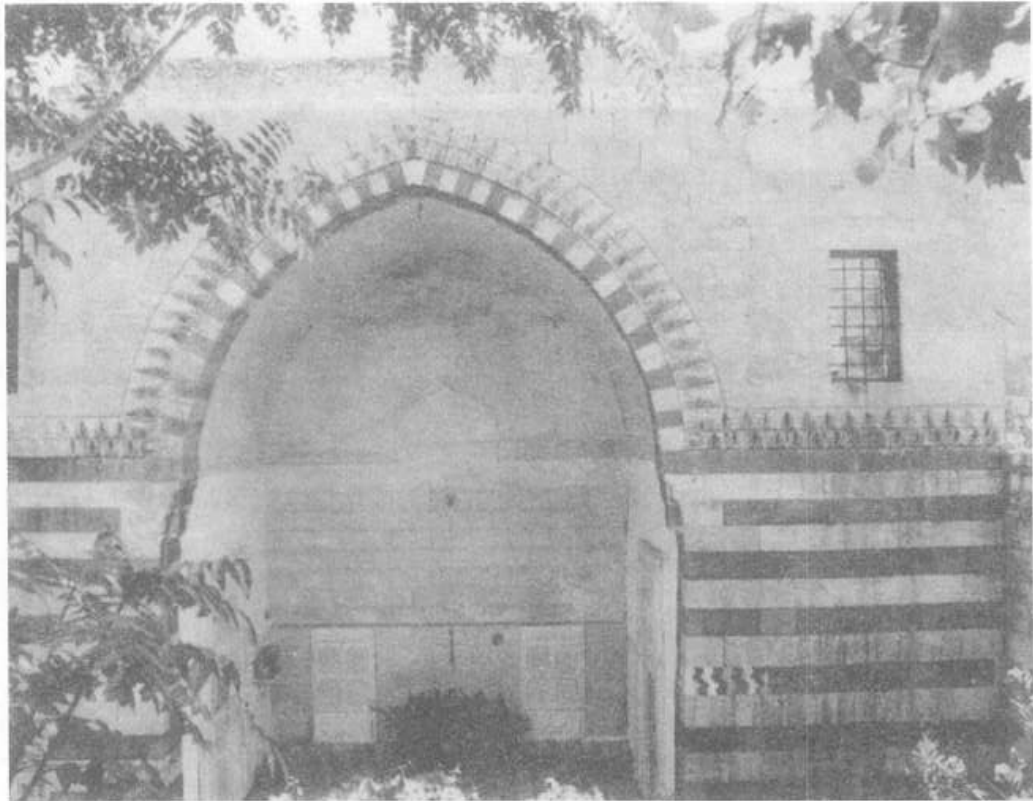
عناصر الراحة والزخرفة في المنازل من النموذج الثالث
الباب الخارجي قبة القاعة داخل القاعة



فندق القاهرة

فندق القاهرة

فندق القاهرة



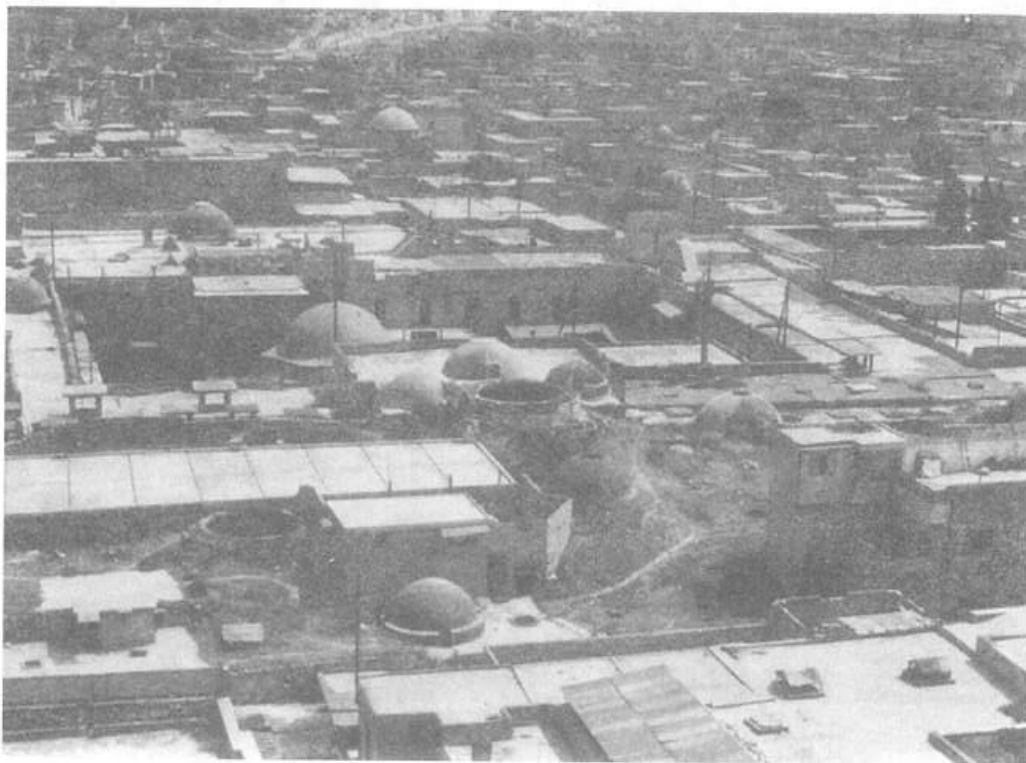
عناصر الراحة والزخرفة في المنازل من النموذج الثالث
زخارف الجدران الإيوان



منزل في حي الفرافرة
وقع تحت ثقل البناء الحديث



المدرسة السفاحية



المدينة القديمة ونسيجها العمراني



حي وراء الجامع وتحيط به الأبنية الحديثة



منزل في حي الجديدة والبناء الحديث بجانبه



حلب القديمة نسيج عمراني قائم يتحدى الزمن

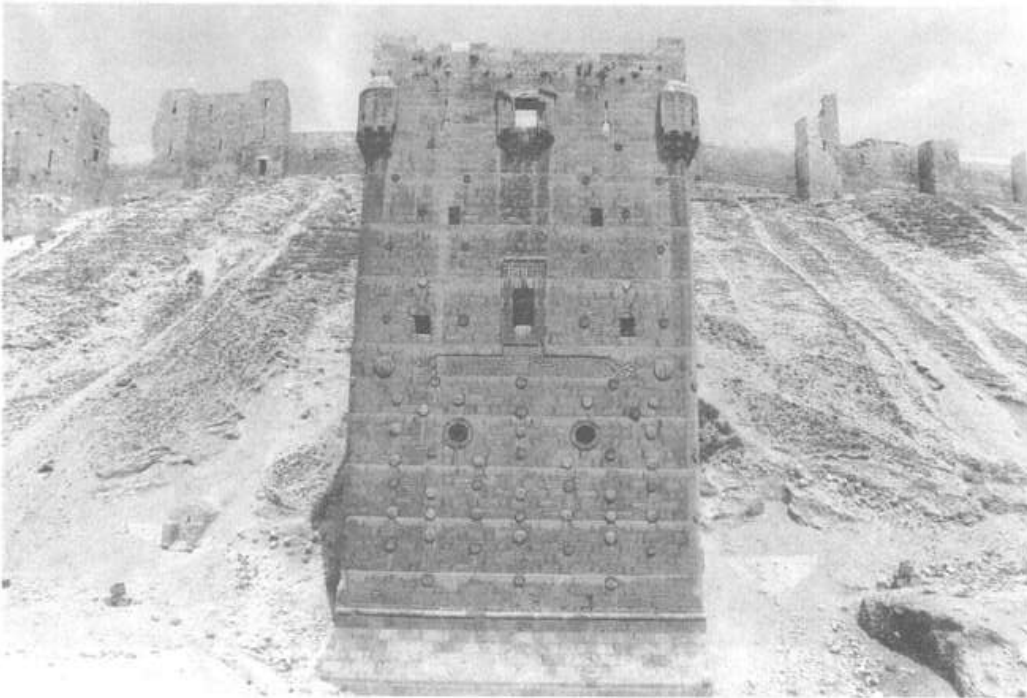


الحلب القديمة وسرب الطيور يتمتع بأجوائها

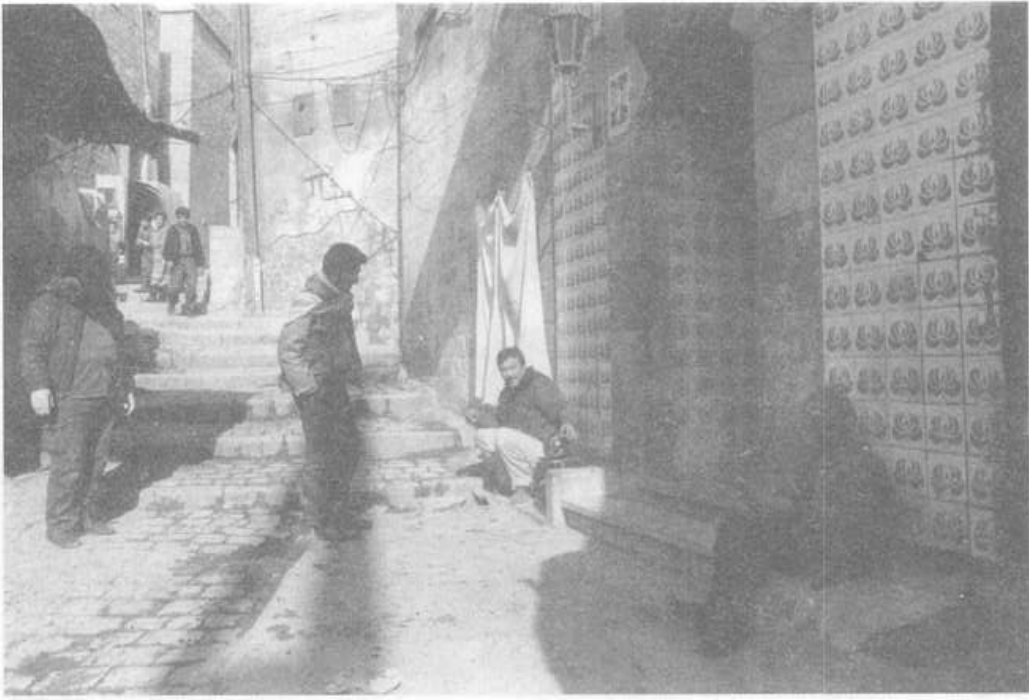
تسرع صملا يندلج حمة عليمه حمة إلى متقاة يرونيها وحبها



أحد أبراج سور المدينة القديمة



البرج الجنوبي المتقدم في التحصينات قلعة حلب المحروسة



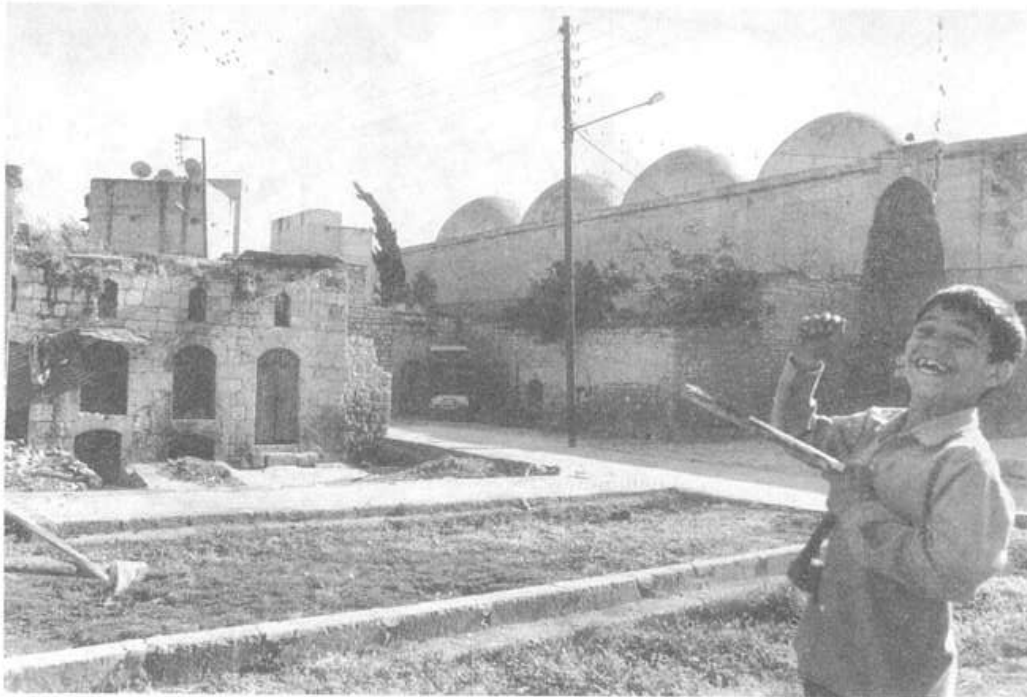
محلة باب أنطاكية حمام الحي



الأكشاك الخشبية تنتظر الاهتمام بها



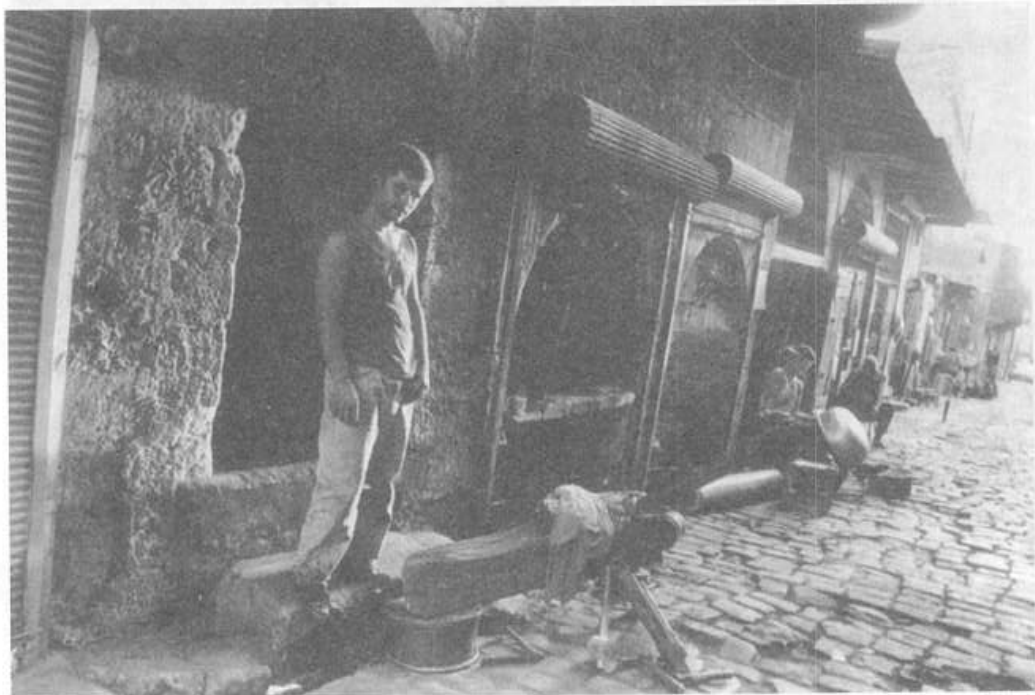
أحد أسواق المدينة سحر الشرق



المدرسة الظاهرية الأيوبية حي الفردوس



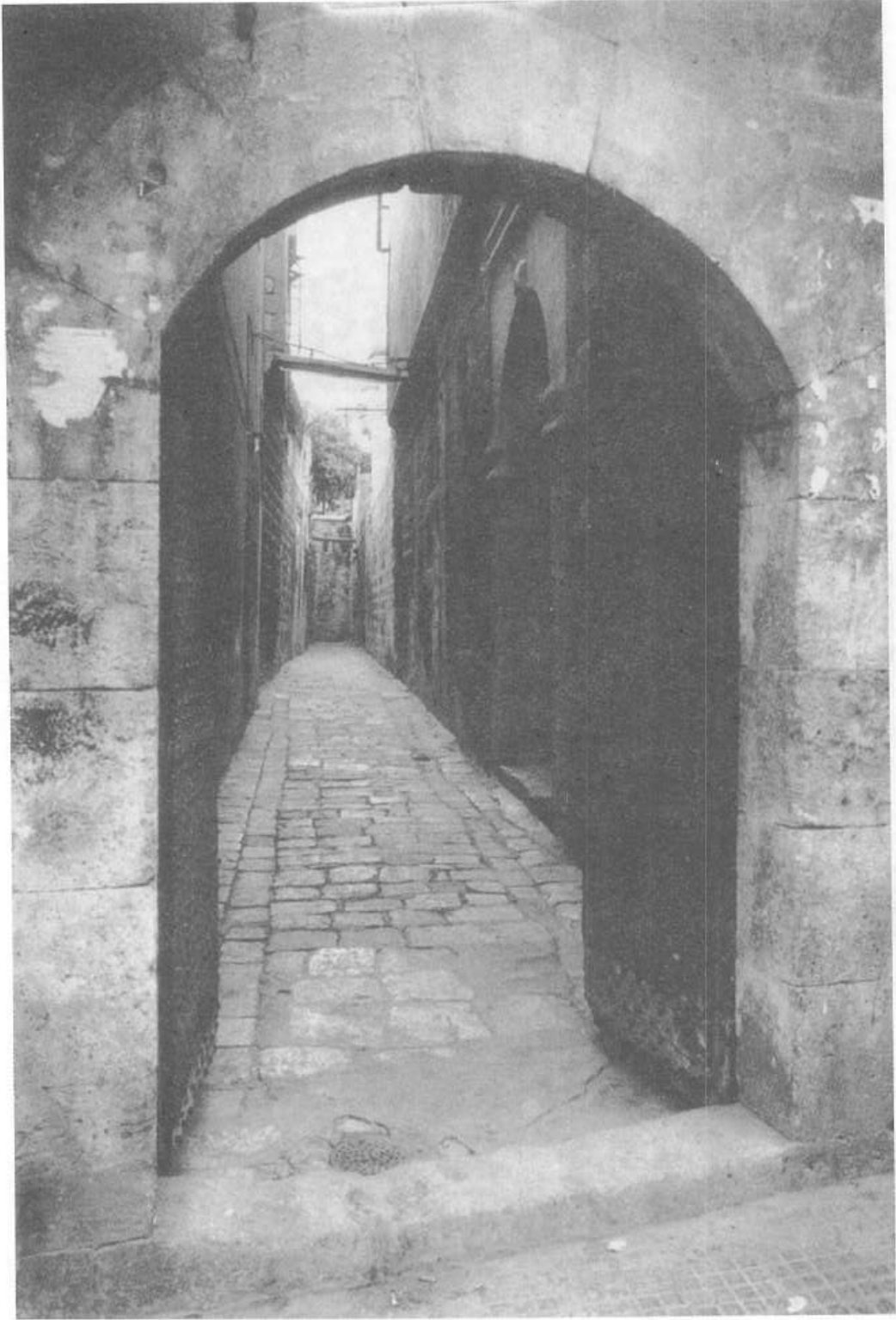
أحد أحياء المدينة القديمة الأمان من الأخطار



أحد أسواق الأحياء



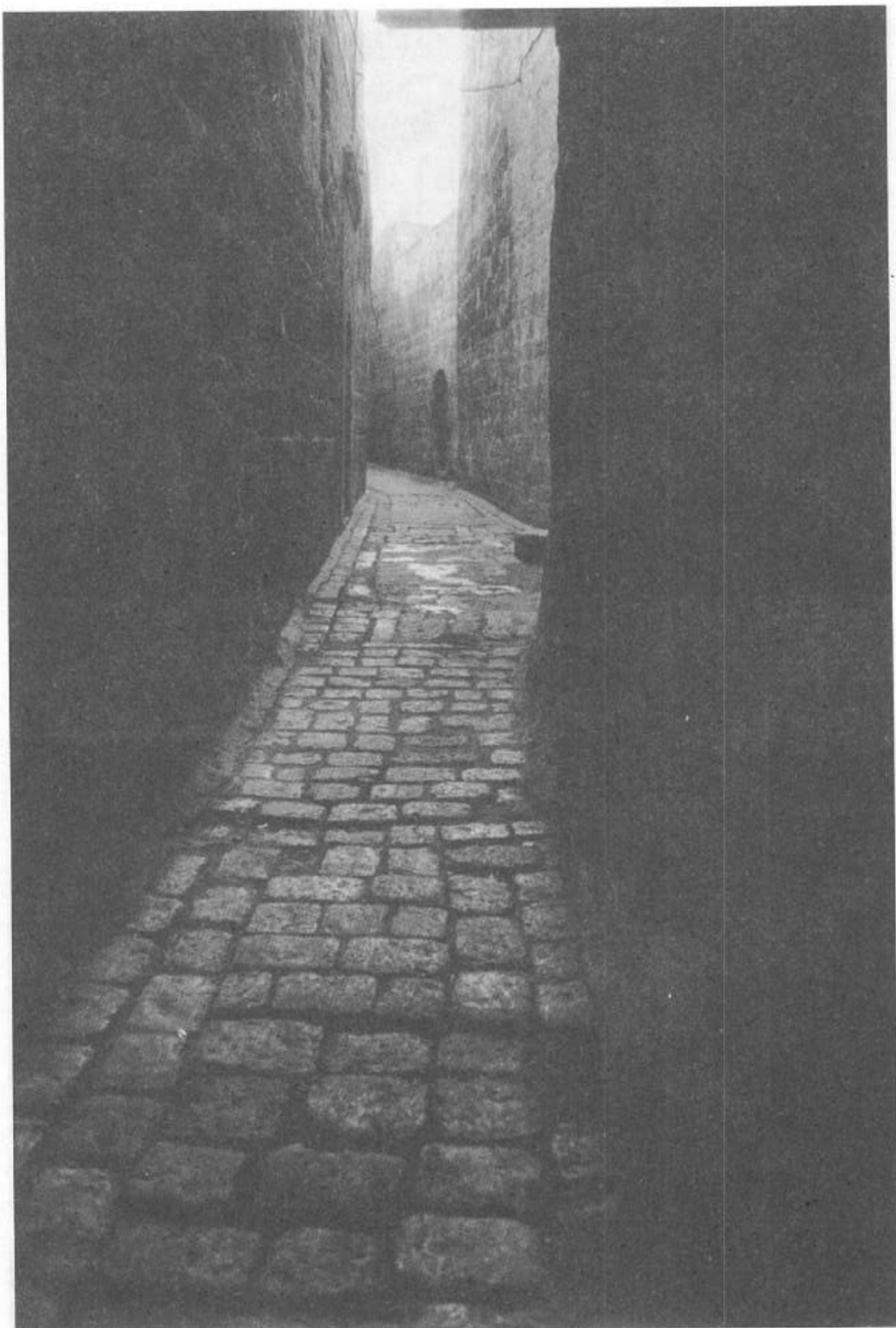
الكشك الخشبي انتقل من المسكن التقليدي إلى الحديث



أحد أزقة حي الجديدة بوابة صفاء وهدوء



لقد قُسم الشارع الحديث بين القديم والجديد



أحد الأزقة التاريخية عراقية وأمان



حي سكني يسوده الهدوء والخصوصية



سوق الحي

جبله حلب

الرقم	الاسم	الرقم	الاسم	الرقم	الاسم
1	جبله حلب	21	جبله حلب	41	جبله حلب
2	جبله حلب	22	جبله حلب	42	جبله حلب
3	جبله حلب	23	جبله حلب	43	جبله حلب
4	جبله حلب	24	جبله حلب	44	جبله حلب
5	جبله حلب	25	جبله حلب	45	جبله حلب
6	جبله حلب	26	جبله حلب	46	جبله حلب
7	جبله حلب	27	جبله حلب	47	جبله حلب
8	جبله حلب	28	جبله حلب	48	جبله حلب
9	جبله حلب	29	جبله حلب	49	جبله حلب
10	جبله حلب	30	جبله حلب	50	جبله حلب
11	جبله حلب	31	جبله حلب	51	جبله حلب
12	جبله حلب	32	جبله حلب	52	جبله حلب
13	جبله حلب	33	جبله حلب	53	جبله حلب
14	جبله حلب	34	جبله حلب	54	جبله حلب
15	جبله حلب	35	جبله حلب	55	جبله حلب
16	جبله حلب	36	جبله حلب	56	جبله حلب
17	جبله حلب	37	جبله حلب	57	جبله حلب
18	جبله حلب	38	جبله حلب	58	جبله حلب
19	جبله حلب	39	جبله حلب	59	جبله حلب
20	جبله حلب	40	جبله حلب	60	جبله حلب
21	جبله حلب	41	جبله حلب	61	جبله حلب
22	جبله حلب	42	جبله حلب	62	جبله حلب
23	جبله حلب	43	جبله حلب	63	جبله حلب
24	جبله حلب	44	جبله حلب	64	جبله حلب
25	جبله حلب	45	جبله حلب	65	جبله حلب
26	جبله حلب	46	جبله حلب	66	جبله حلب
27	جبله حلب	47	جبله حلب	67	جبله حلب
28	جبله حلب	48	جبله حلب	68	جبله حلب
29	جبله حلب	49	جبله حلب	69	جبله حلب
30	جبله حلب	50	جبله حلب	70	جبله حلب
31	جبله حلب	51	جبله حلب	71	جبله حلب
32	جبله حلب	52	جبله حلب	72	جبله حلب
33	جبله حلب	53	جبله حلب	73	جبله حلب
34	جبله حلب	54	جبله حلب	74	جبله حلب
35	جبله حلب	55	جبله حلب	75	جبله حلب
36	جبله حلب	56	جبله حلب	76	جبله حلب
37	جبله حلب	57	جبله حلب	77	جبله حلب
38	جبله حلب	58	جبله حلب	78	جبله حلب
39	جبله حلب	59	جبله حلب	79	جبله حلب
40	جبله حلب	60	جبله حلب	80	جبله حلب
41	جبله حلب	61	جبله حلب	81	جبله حلب
42	جبله حلب	62	جبله حلب	82	جبله حلب
43	جبله حلب	63	جبله حلب	83	جبله حلب
44	جبله حلب	64	جبله حلب	84	جبله حلب
45	جبله حلب	65	جبله حلب	85	جبله حلب
46	جبله حلب	66	جبله حلب	86	جبله حلب
47	جبله حلب	67	جبله حلب	87	جبله حلب
48	جبله حلب	68	جبله حلب	88	جبله حلب
49	جبله حلب	69	جبله حلب	89	جبله حلب
50	جبله حلب	70	جبله حلب	90	جبله حلب
51	جبله حلب	71	جبله حلب	91	جبله حلب
52	جبله حلب	72	جبله حلب	92	جبله حلب
53	جبله حلب	73	جبله حلب	93	جبله حلب
54	جبله حلب	74	جبله حلب	94	جبله حلب
55	جبله حلب	75	جبله حلب	95	جبله حلب
56	جبله حلب	76	جبله حلب	96	جبله حلب
57	جبله حلب	77	جبله حلب	97	جبله حلب
58	جبله حلب	78	جبله حلب	98	جبله حلب
59	جبله حلب	79	جبله حلب	99	جبله حلب
60	جبله حلب	80	جبله حلب	100	جبله حلب

مخططات وخرائط

مدينة حلب القديمة وأحيائها

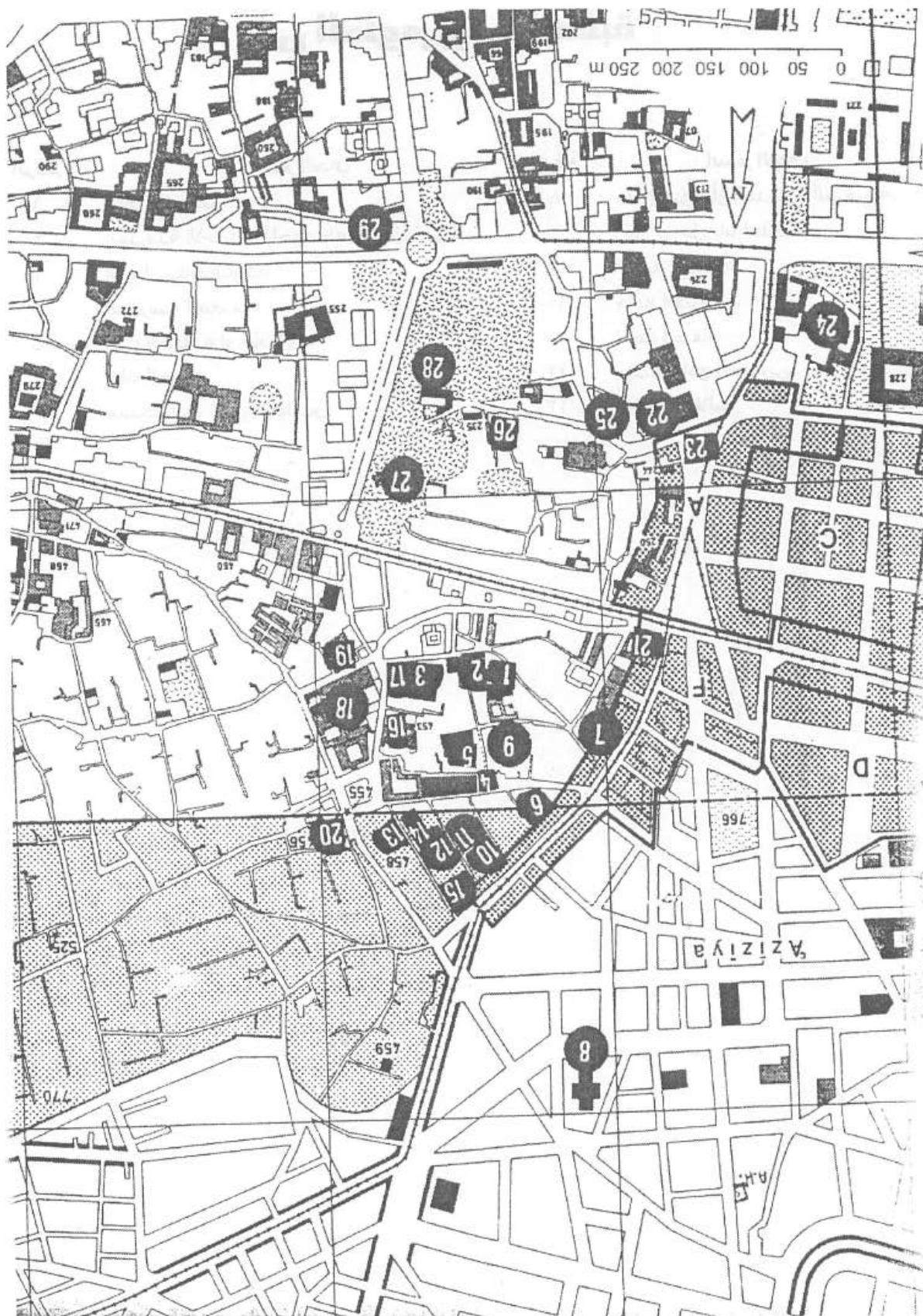
أحياء حلب

الرقم	اسم الحي	الرقم	اسم الحي	الرقم	اسم الحي
١	الجلوم الكبرى	٢٣	المعادي	٦٥	شميصاتية
٢	العقبة	٢٤	جسر السلاحف	٦٦	الملندي
٣	قلعة شريف	٢٥	الشماعين	٦٧	اغيور (اقيول)
٤	داخل باب قنشرين	٢٦	العينية	٦٨	الألمه جي
٥	ساحة بزة	٢٧	القوانصة	٦٩	الشرعسوس
٦	الفرافرة	٢٨	المشاركة	٧٠	قسطل المشط
٧	داخل باب النصر	٢٩	الكتاب	٧٤	بيت محب
٨	سويقة علي	٤٠	قارلق	٧٥	تراب الغرباء
٩	دباغة عتيقة	٤١	تاتارلر	٧٦	المرعشلي
١٠	البندرة	٤٢	الدلالين	٧٧	العريان
١١	المصابين	٤٣	الصفاء	٧٨	الماوردي
١٢	بحسيتا	٤٤	المشاطية	٧٩	خراب خان
١٣	جب اسد الله	٤٥	الغرايين (الفوقاني والتحتاني)	٨٠	عنتر
١٤	سويقة حاتم	٤٦	شاكر آغا	٨١	النوحية
١٥	الدحديلة	٤٧	حمزة بك	٨٢	الأكراد
١٦	البستان	٤٨	ابن يعقوب	٨٣	جسر الكعكة
١٧	الاعجام	٤٩	بلاط تحتاني	٨٤	الطباله
١٨	داخل باب المقام	٥٠	خان السبيل	٨٥	القواص
١٩	المغازلة	٥١	جقورجق	٨٦	المغربية
٢٠	داخل باب النيرب	٥٢	صاجليخان فوقاني	٨٧	العطوي الكبير
٢١	التونبوغا	٥٣	بلاط فوقاني	٨٨	العطوي الصغير
٢٢	القصيلة	٥٤	جب قرمان	٨٩	عبد الرحيم
٢٣	اوغليك	٥٥	صاجليخان تحتاني	٩٠	عبد الحي
٢٤	البياضة	٥٦	تلعرن	٩١	الهزارة
٢٥	المستدامية	٥٧	الضوضو	٩٢	الغطاس
٢٦	شاهين بك	٥٨	السخانة والبقارة	٩٣	التومايات
٢٧	الجبيلة	٥٩	محمد بك	٩٤	الصلبية
٢٨	قاضي عسكر	٦٠	الكتان	٩٥	بالي برغل
٢٩	كلاسة	٦١	بادنچك	٩٦	الشمالي
٣٠	المغابر	٦٢	الصفصافة	٩٧	كوجك كلاسة
٣١	الفردوس	٦٣	ابن ناصر	٩٨	القرباط
٣٢	المقامات	٦٤	الأبراج	٩٩	عرب المشاركة



حي الجديدة وحي البندرة

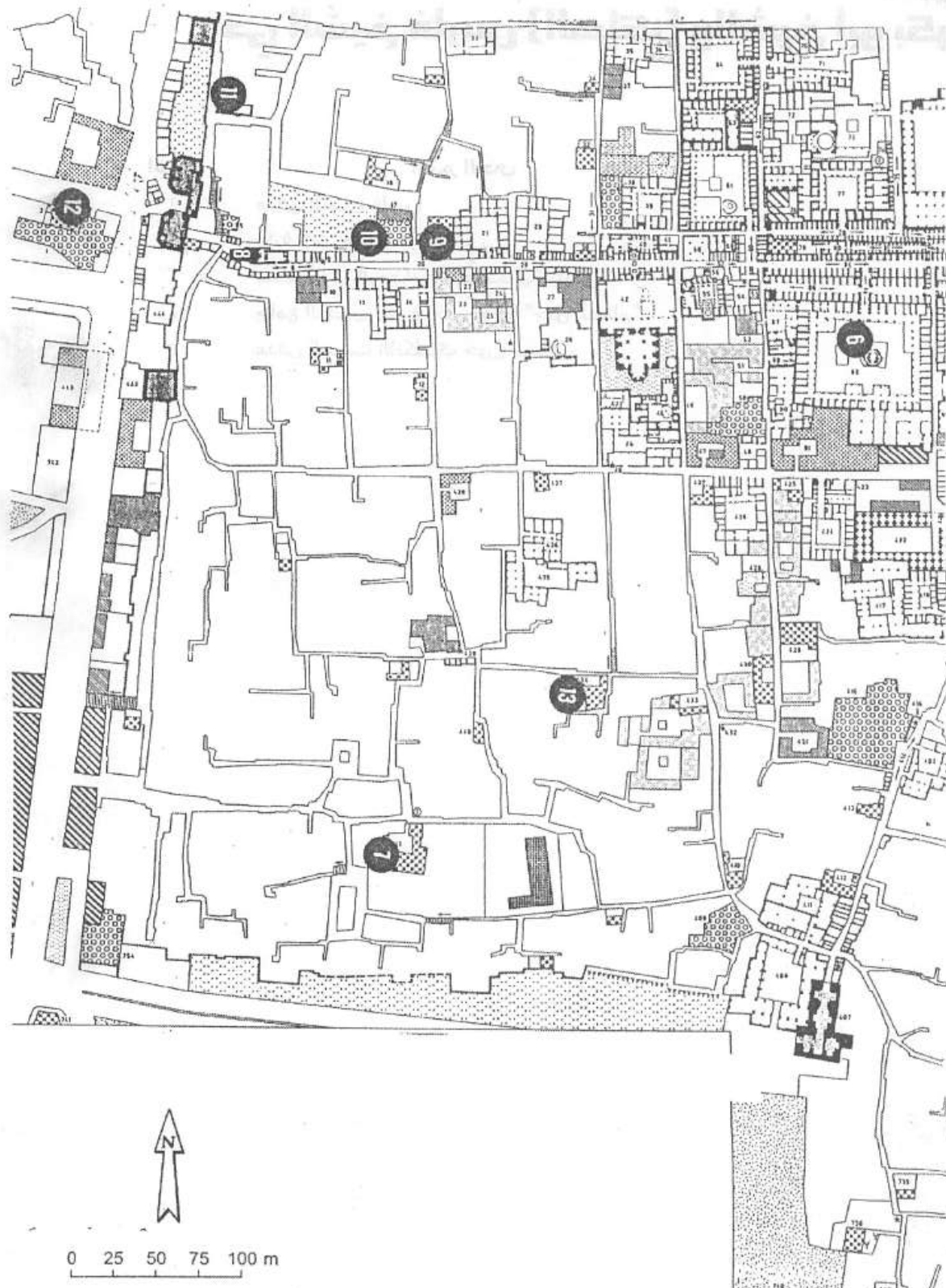
الرقم	اسم الحي	الرقم	اسم الحي
١	كنيسة الأربعين شهيد	١٦	بيت عزالة
٢	كنيسة الروم الارثوذكس	١٧	بيت اجقباش
٣	كنيسة السريان الكاثوليك	١٨	وقف إيشير باشا
٤	كنيسة الموارنة	١٩	حمام بهرم باشا
٥	كنيسة الروم الكاثوليك	٢٠	جامع شرف
٦	كنيسة الأرمن الكاثوليك	٢١	جامع وقبر السهروردي
٧	كنيسة السريان القديمة	٢٢	برج باب الفرج
٨	كنيسة اللاتين	٢٣	برج ساعة باب الفرج
٩	بيت كبة	٢٤	التكية المولوية
١٠	بيت صادر	٢٥	جامع بحسينا
١١	بيت بليط	٢٦	بقايا المدرسة القرمطية
١٢	بيت باسيل	٢٧	بيت رجب باشا
١٣	بيت دلال	٢٨	الجامع العمري
١٤	بيت وكيل	٢٩	جامع الدباغة العتيقة
١٥	بيت صانغ		



حي الجلوم وحي العقبة

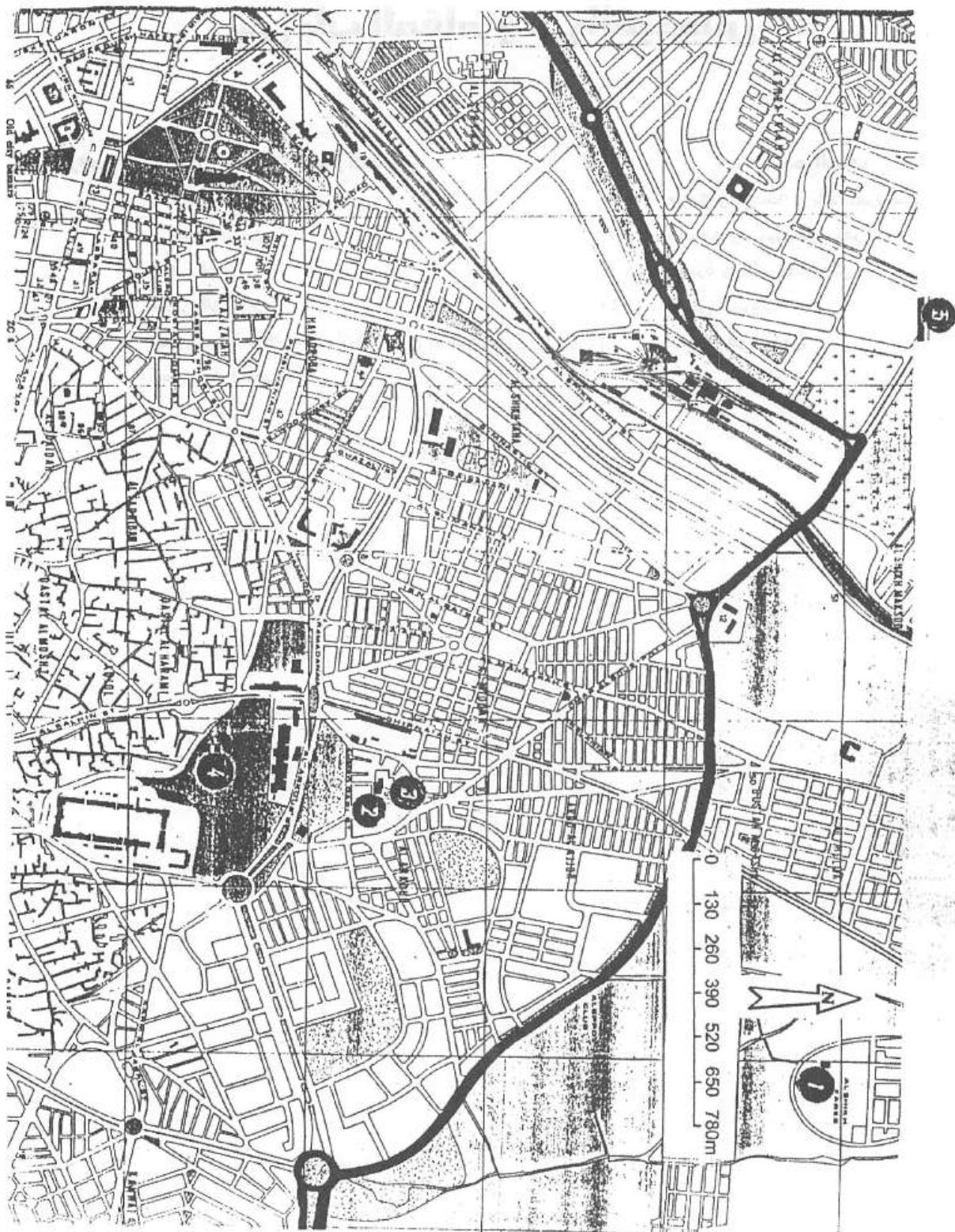
الرقم	اسم الحي	الرقم	اسم الحي
١	جامع البهرمية	٨	جامع التوتة أو المدرسة الشعبية
٢	المدرسة الأحمدية (احمد طه زادة الجليبي)		(في مدخل بابا انطاكية)
٣	البيمارستان النوري	٩	الزاوية الكمالية
٤	المدرسة المقدمة	١٠	جامع الكيزواني
٥	خان القصابية أو خان أبرك	١١	جامع القيقان
٦	خان الجمرک	١٢	مئذنة جامع الحجارين
٧	مسجد ابي يحي الكواکبي	١٣	الزاوية الهلالية

PLAN OF TOWN OF FLOUAT



حي الشيخ فارس [الهالك] والشيخ أبو بكر

الرقم	اسم الحي
١	مدفن الشيخ فارس
٢	تكية الشيخ أبو بكر الوفائي
٣	مستشفى الرضائية "العسكري" يندثر
٤	جامع البختي في مدخل مقبرة "جبل العظام"
٥	مدفن المنقب الانكليزي جورج سميت



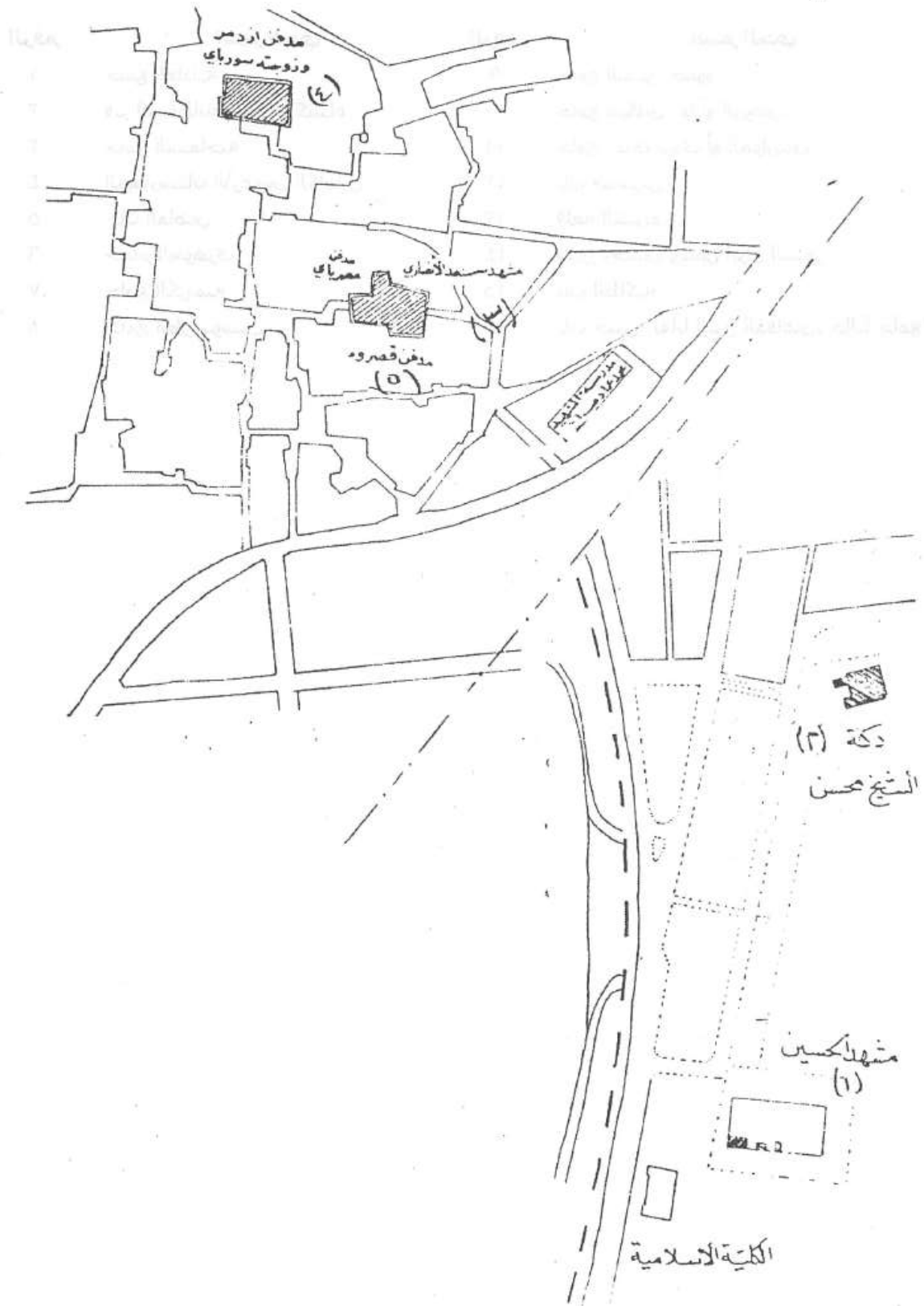
حي باب المقام وحي الفردوس

الرقم	اسم الحي	الرقم	اسم الحي
١	باب المقام	٧	جامع ومدرسة ورباط الفردوس
٢	ضريح خاير بك	٨	مشهد وسبيل قرسنقر
٣	مدفن اوغل بك	٩	مقبرة ومقام الصالحين
٤	مدفن الأزرجي	١٠	مدفن الهروي
٥	المدرسة الظاهرية البرانية (خارج الأسوار)	١١	خان النقر (اندثر)
٦	المدرسة الكاملية		



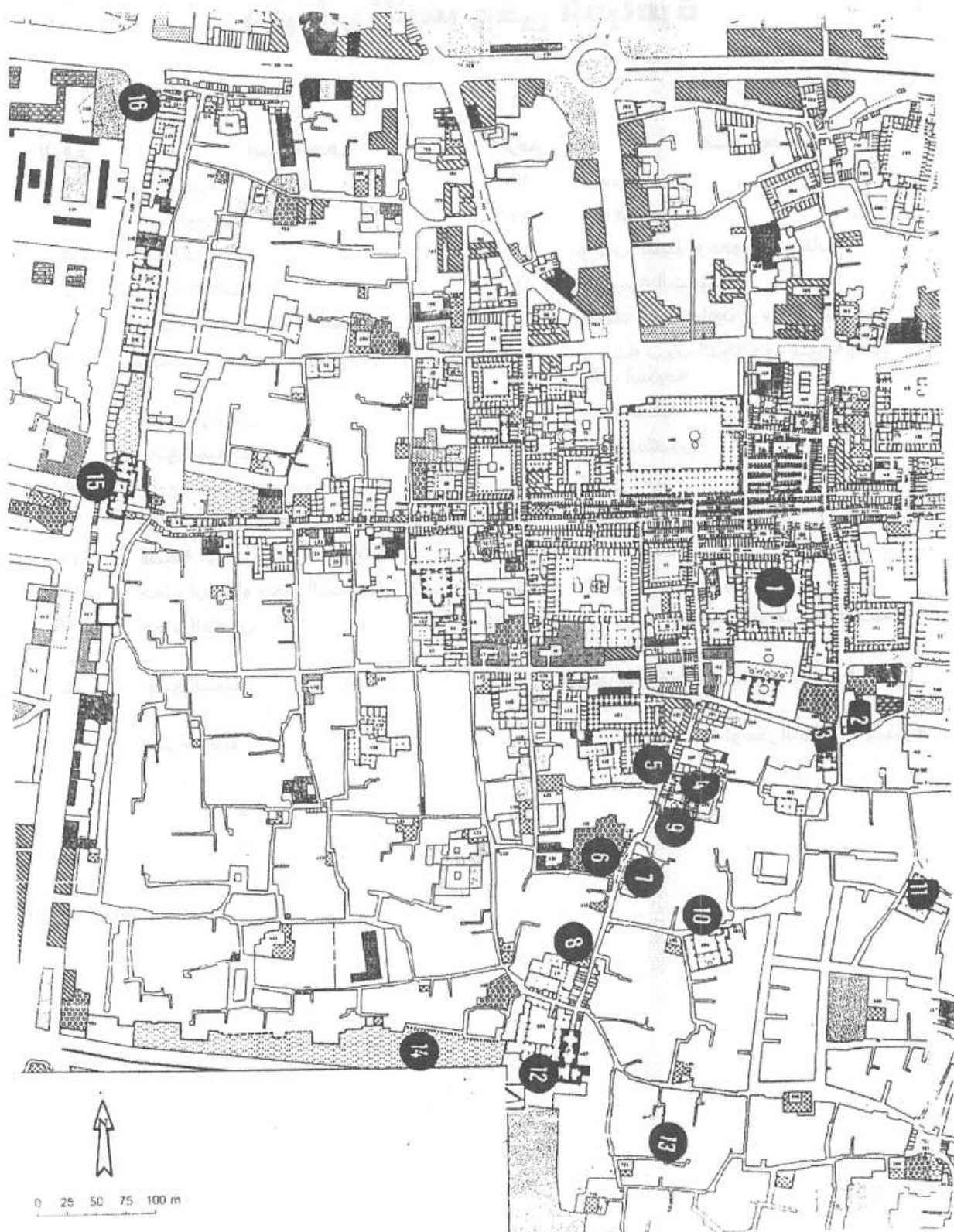
حي المشهد وحي سيف الدولة [الانصاري]

الرقم	اسم الحي
١	مشهد الحسين أو مشهد النقطة
٢	مشهد المسحن أو مشهد الدكة
٣	مشهد سعد الأنصاري
٤	مدفن أزدمر وزوجته سورياني
٥	مدفن قصره



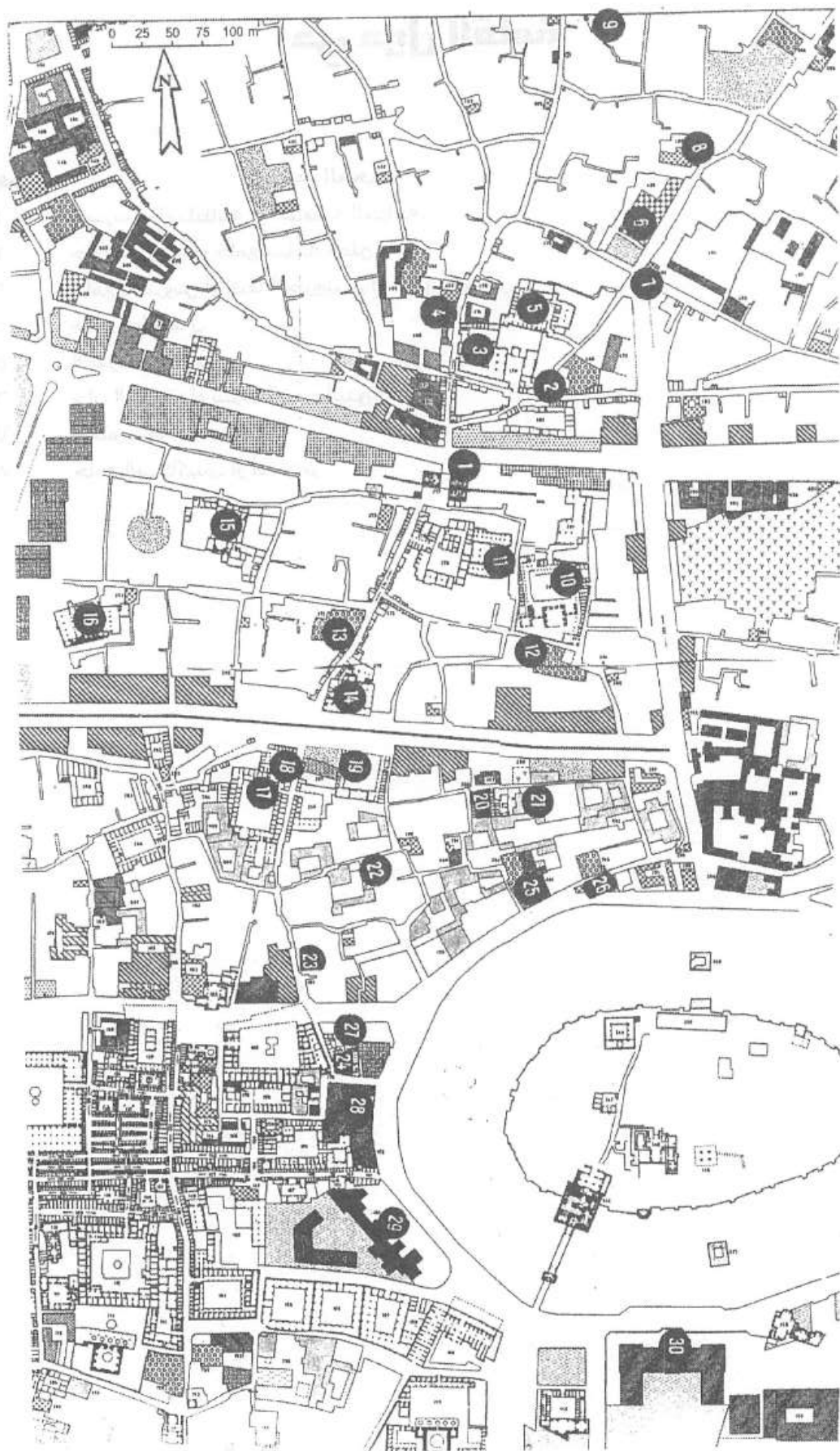
حي باب قنسرين وحي باب انطاكية

الرقم	اسم الحي	الرقم	اسم الحي
١	جامع العادلية	٩	جامع الشيخ حمود
٢	قبر السلطنة جوهر ملكشاه	١٠	جامع منكلي بغا أو الرومي
٣	جامع السفاحية	١١	جامع تغري بردي أو الموازيني
٤	البيمارستان الأرغوني الكاملي	١٢	باب قنسرين
٥	خان القاضي	١٣	قلعة الشريف
٦	حمام الجوهري	١٤	سور وخندق وبعض أبراج السور
٧	جامع الكريمة	١٥	باب انطاكية
٨	جامع الطرسوسي	١٦	باب جنين "بقايا البرج الدفاعي، حالياً جامع"



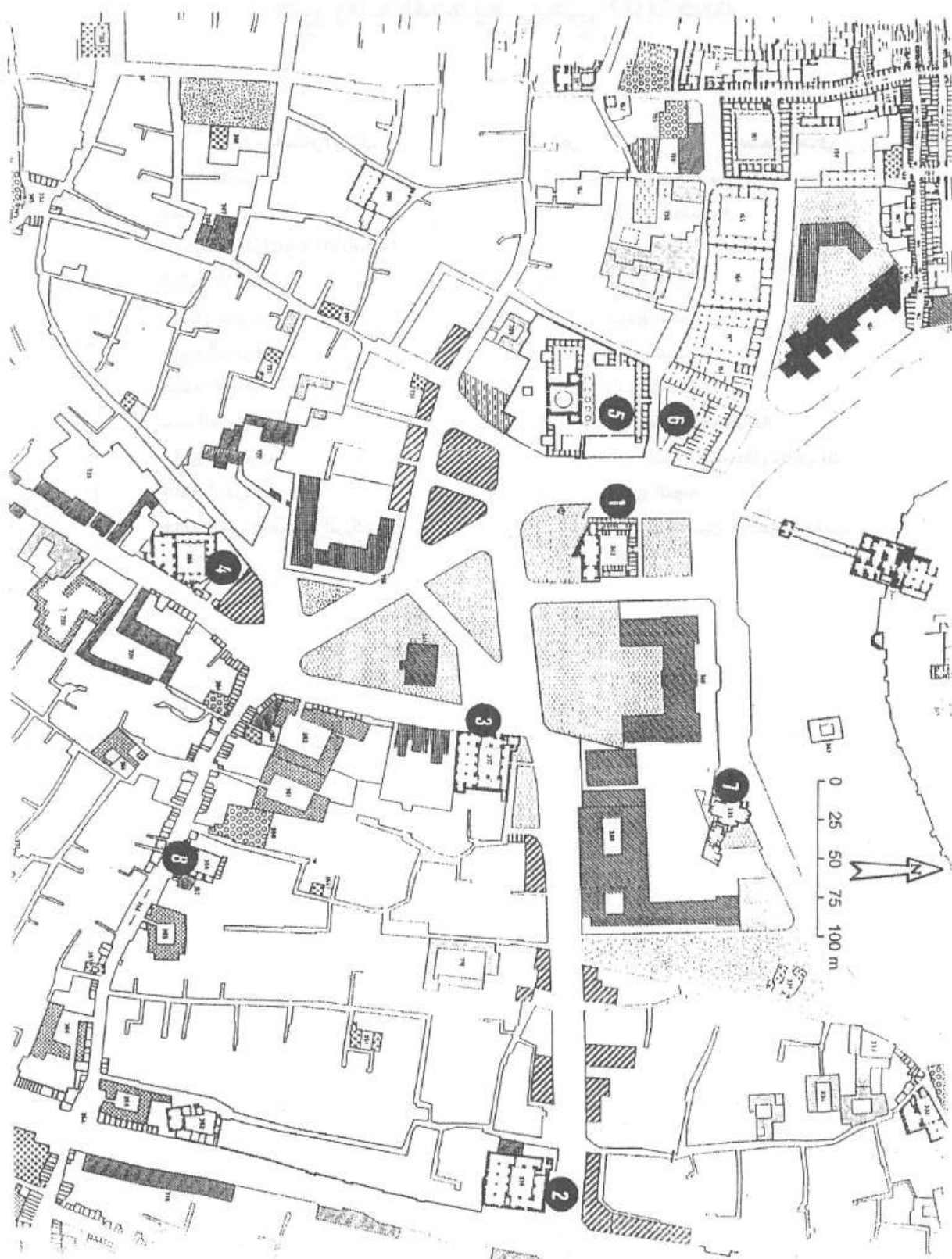
حي باب النصر وحي الغرافرة

الرقم	اسم الحي	الرقم	اسم الحي
١	باب النصر	١٦	كنيس البندرة
٢	خان "أوج خان"	١٧	خان قرط بك
٣	جامع الزكي	١٨	مقهى البليط أو مقهى البرتقان
٤	الزاوية الوفائية	١٩	المدرسة الشعبانية
٥	مصينة الزنابيلي (باب النصر)	٢٠	خانقاه ضيقة خاتون أو خانقاه الغرافرة
٦	كنيسة تراب الغرباء اليسوعية	٢١	مدرسة سيف الدولة مقر مديرية إحياء حلب القديمة
٧	جامع نور الدين	٢٢	زقاق القناية
٨	جامع الميداني	٢٣	زاوية المنصورية
٩	جامع قسطل الحرامي أو بردبك	٢٤	جامع الحيات
١٠	المدرسة العثمانية	٢٥	حمام السلطان
١١	مصيفة الزنابيلي (تراب الغرباء)	٢٦	قبر النسيمي
١٢	حمام أزدمر أو حمام النحاسين (دثرت)	٢٧	المدرسة العصرية
١٣	حمام القاضي	٢٨	المدرسة الرشدية مقر مديرية الخدمات الفنية
١٤	جامع الممندار	٢٩	المستشفى الوطني سابقاً ثم المعهد الصحي ثم ؟؟؟؟
١٥	قصر جنبلات	٣٠	السراي الجديدة أو مقر المحافظة ومديرية الشرطة



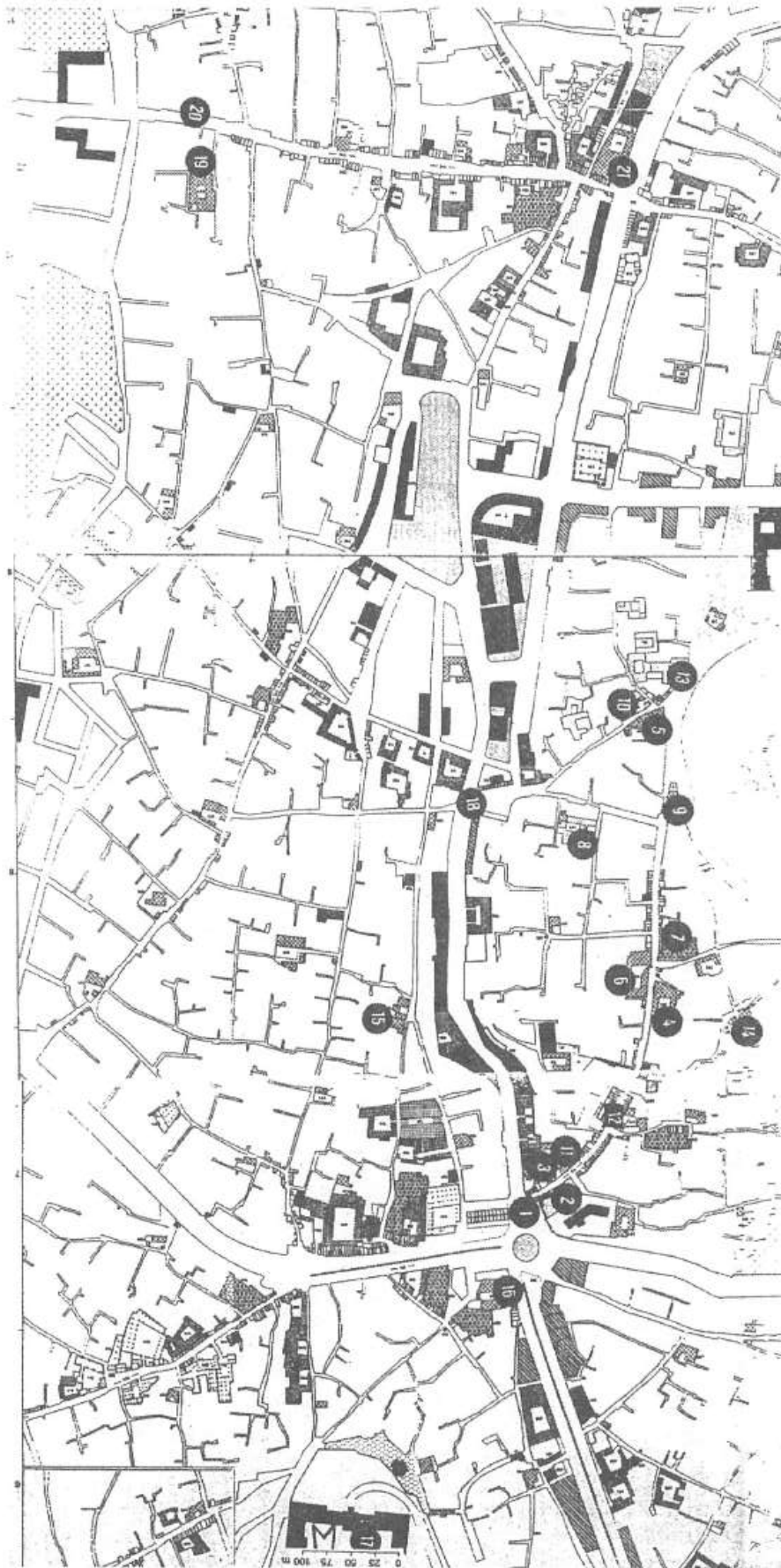
حي حول القلعة

الرقم	اسم الحي
١	المدرسة السلطانية أو الظاهرية الجوانية
٢	جامع الطونغا أو جامع ساحة الملح
٣	جامع الأطروش أو أقيغا الأطروشي أو جامع دمرdash
٤	جامع الطواشي
٥	المدرسة الخسروية
٦	خان الشونة، أو سوق المهن اليدوية
٧	حمام يليغا الناصري
٨	جامع السكاكيني أو أشقتمر



حي باب الحديد وحي البيضاء

الرقم	اسم الحي	الرقم	اسم الحي
١	باب الحديد	١٢	سوق الحدادين
٢	مخفر باب الحديد	١٣	الزاوية الصيادية
٣	المدرسة الكتاوية (الأتابكية)	١٤	جامع المستدامية
٤	التكية الإخلاصية	١٥	جامع الدرج
٥	سبيل حسبي	١٦	جامع الحدادين
٦	جامع الصروي	١٧	ثكنة الترك
٧	حمام البيضاء	١٨	باب الأحمر
٨	بيت الغوري	١٩	المدرسة الطرنطانية
٩	جامع الحموي	٢٠	باب النيرب وقسطل علي بك
١٠	جامع اوغل بك	٢١	جامع التوبة
١١	جامع الشيخ محمد الزركشي	٢٢	مشهد الشيخ جاكير والمقبرة



جدول المحتويات

٥	مقدمة.....
٩	أحيا، المدينة القديمة.....
١٢	محلة باب انطاكية.....
١٣	محلة باب قنسرين.....
١٤	محلة أرض الخناقية.....
١٥	محلة الأعجام.....
١٥	محلة اغيور - أقيول سابقاً.....
١٦	محلات : الأكراد والطنون بغا والأعرجي.....
١٧	محلة الأنصاري.....
١٧	محلة أوغل بك.....
١٨	محلات : بادنجك وبالي برغل وبانقوسا.....
٢٠	زقاق الزهراوي.....
٢٢	حي بحسيتا - محلة البختي - اغيور [أقيول].....
٢٤	حي بركة المسلخ.....
٢٦	حي البساتنة وحارة البستان.....
٢٧	بستان كل آب، محلة البلاط.....
٢٨	حي البندرة، حي البياضة.....
٣٠	محلات : قاتارلر وتراب الغربا، والتومايات.....
٣٢	محلتنا، جب اسد الله، وجب قرمان [حي البكره جي].....
٣٤	محلة الجابرية، وجادة البرقة وجادة الخندق.....
٣٦	محلتنا : جبل الغزالات والجبيلة [الكلناوية].....
٣٨	حي الجديدة.....
٣٩	حي جسر الحج.....
٤١	محلة جسر الصيرفي.....
٤٣	حي - جسر الكعكة -.....

٤٥	شارع " جسر الناعورة "
٤٧	حي " جسر المعزة "
٤٩	حي " جقورجق او سقرجق " او " سبع عوجات "
٥١	حي " الجلوم "
٥٣	محلة الحميدية
٥٥	ضاحية الحاضر السليمانى " الكلاسة "
٥٧	محلة الحوارنة
٥٩	محلة " خراب خان "
٦١	حي : تحت القلعة
٦٣	حي الشيخ طه
٦٥	حي الخناقية
٦٧	حي باب المقام
٦٩	محلة باب النمر
٧١	حي باب النيرب
٧٣	محلة الدباغة
٧٥	حي الدباغة الجديد او حي باب انطاكية
٧٧	درب الخطابين او زقاق خان التوتون
٧٩	زقاق الزهراوى
٨٠	محلة : بوابة القصب
٨٢	درب البنات او بوابة خان القاضي
٨٤	درب بني الخشاب او زقاق الفرن
٨٦	درب بني الديلم
٨٨	درب الزجاجين من دروب حي الجلوم
٩٠	حي الرمضانية في منطقة ميسلون
٩٢	زقاق الاربعين
٩٤	درب السبيعي
٩٦	زقاق الخواجة
٩٨	زقاق الصلبة في احيا : الجلوم والمشاركة وبنقوسا والتل والجديدة

١٠٠	زقاق الطويل
١٠٢	حي ساحة بزة
١٠٤	حي ساحة الملح
١٠٦	حي التل
١٠٨	محلة السفاحية
١١٠	محلة السليمانية
١١٢	محلة سراي إسماعيل باشا
١١٤	حي الجميلية - السليمية
١١٦	محلة سويقة حاتم
١١٨	محلة سويقة علي
١٢٠	محلة الهازرة أو محلة السيد علي
١٢٢	محلة شاهين بك
١٢٤	حي الشرعوس
١٢٦	محلة الشمالي
١٢٨	محلة الشميماتي
١٣٠	محلة - الشيخ أبو بكر -
١٣٢	محلة الطبلة
١٣٤	خان النحاسين
١٣٦	محلتا : عبد الحي وعبد الرحيم
١٣٨	حي العريان
١٤٠	حي العزيزية
١٤٢	حي العطوي
١٤٤	حي العوينة
١٤٦	محلة العقبة
١٤٨	زقاق الكتاوية في حي الجبيلة
١٥١	حي الفرافرة
١٥٤	حي الفردوس
١٥٦	حي الفيض

اللوحات

١٥٤	جمال المنزل التقليدي وزخارفه الرائعة
١٥٤	الإيوان في المنزل التقليدي
١٦٠	الزخارف الحجرية التقليدية. في منازل المدينة القديمة.
١٦٠	والخيط العربي في الأبواب والشبابيك
١٦١	الصراع بين الأصل والدخيل
	كيف كانت المدينة القديمة. وكيف أصبحت الأبنية العالية الدخيلة تصطاد
١٦٢	المنازل التقليدية وتمنع عنها الشمس والهوا.
	عناصر الراحة والزخرفة في المنازل من النموذج الثالث. واجهة إحدى الغرف والمربع.
١٦٣	الإيوان. قباب متنوعة فوق الأسطحة
١٦٤	عناصر الراحة والزخرفة في المنازل من النموذج الثالث. الباب الخارجي. قبة القاعة. داخل القاعة
١٦٥	عناصر الراحة والزخرفة في المنازل من النموذج الثالث. زخارف الجدران. الإيوان
١٦٦	المدرسة السفاحية
١٦٦	منزل في حي الفرافرة وقع تحت ثقل البناء الحديث
١٦٦	المدينة القديمة ونسيجها المعماري
١٦٧	حي ورا. الجامع وتحيط به الأبنية الحديثة
١٦٧	منزل في حي الجديدة والبناء الحديث بجانبه
١٦٨	حلب القديمة. نسيج عمراني قائم يتحدى الزمن
١٦٩	حلب القديمة وسرب الطيور يتمتع بأجوائها
١٧٠	أحد أبراج سور المدينة القديمة
١٧٠	البرج الجنوبي المتقدم في تحصينات قلعة حلب المحروسة
١٧١	محلة باب إخطاكية حمام الحي
١٧١	الأكشاك الخشبية تنتظر الاهتمام بها
١٧٢	أحد أسواق المدينة "سحر الشرق"

١٧٢	المدرسة الظاهرية الأيوبية - حي الفردوس
١٧٣	احياء، المدينة القديمة الأمان من الأخطار
١٧٣	احد اسواق الاحياء
١٧٤	الكشك الخشبي انتقل من المسكن التقليدي إلى الحديث
١٧٥	احد أزقة حي الجديدة "جوازة" صفا، وهدو
١٧٦	لقد قسم الشارع الحديث بين القديم والجديد
١٧٧	احد الأزقة التاريخية عراقية وأمان
١٧٨	حي سكني يسوده الهدو، والخصوصية
١٧٨	سوق الحي

مخططات وخرائط مدينة حلب القديمة وأحيائها

١٨١	احياء، حلب
١٨٣	حي الجديدة وحي البندرة
١٨٥	حي الجلوم وحي العقبة
١٨٧	حي الشيخ فارس [الهلك] والشيخ أبو بكر
١٨٩	حي باب المقام وحي الفردوس
١٩١	حي المشهد وحي سيف الدولة [الانصاري]
١٩٣	حي باب قنسرين وحي باب انطاكية
١٩٥	حي باب النصر وحي الفرازة
١٩٧	حي حول القلعة
١٩٩	حي باب الحديد وحي البياضة
٢٠١	جدول المحتويات

RAY
PUBLISHING & SCIENCE

الفايز الحقير

العائلة الخلبية والمجتمع في العهد العثماني

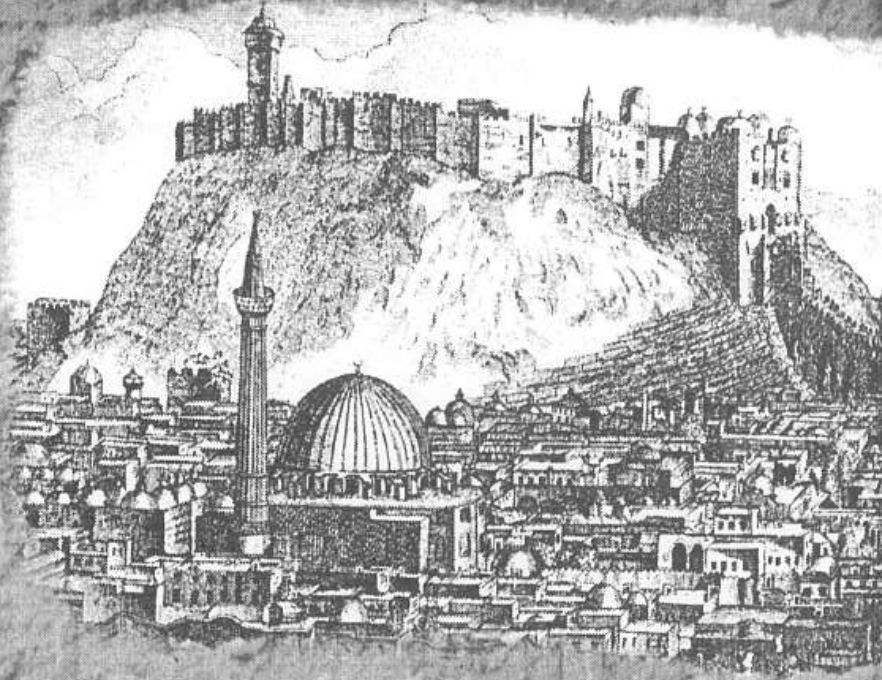
وأول الأتباع بعضهم راوي لبعض

Margaret Meriwether

ترجمة خالد الجبيلي

RAY
PUBLISHING & MARKETING

تاريخ حلب الطبيعي في القرن الثامن عشر



للاخوين الكسندر وياتريك راسل
ترجمة خالد الجبيلي

أحياء حلب القديمة



أمضى الدكتور محمود مصطفى حريثاني، أربعين عاماً، يهتم بمدينة حلب القديمة، دارساً لها ومسؤولاً عنها، ومحاضراً بتاريخها وعمرانها، ومدرّساً لمبادئ صيانتها وترميمها. كتاب (أحياء حلب القديمة)، جهد متميز في دراسة بعض أقسام المدينة القديمة، أزقتها ومحلاتها، وحتى بواباتها. تبرز في هذه الدراسة، مظاهر الصراع الكبير، بين القديم والحديث، بين الأصالة، وما يعرف بالحدثة، بين الحفاظ على التراث وضياعه، بل وتدميره.

تهتم الدراسة، بكل حي، وكل زقاق، وكل بوابة، بتاريخها منذ نشأتها، ثم تطورها عبر القرون الطويلة، وما طرأ عليها من تعديل، وما هو المستقبل الذي ينتظرها، من خلال المشاريع العمرانية التي توضع.

في هذا الكتاب اهتمام كبير بالبشر، مع الاهتمام بالحجر، فقد تناول الحديث عن: البناء، والسلطين، والولاة، إلى جانب رجال العلم، والقضاة والمحدثين والفقهاء، وحتى المؤقتين، أورد أماكن سكنائهم وإقامتهم، وزياراتهم.

أخيراً، في الكتاب، اهتمام بسكان هذه الأحياء: من هم؟ من أين جاءوا؟ وماذا فعلوا؟ وعلاقاتهم ببعضهم؟ وكيف نسجوا تاريخ بلدهم سدى ولحمة...

تاريخ عريق لشعب أصيل، شجاع، محب لوطنه، وبلده، وحيه، وجاره...

دراسة وحيدة في مدينة هي أقدم مدن الدنيا لاتزال عامرة، تنبض بالحياة، مصادر هذه الكتاب، هي الوثائق، والدراسة، والجولات الميدانية، جمعت بتأنٍ ووعي - واطلاع واسع.

70015



3960H04A 0175



<http://www.raypub.com>